مِنْ كُتُبِ اللهِ الأَوْلَى لِتَهْدِيَ النَّاسَ إِلَى الْجَنَّةِ

التَّسْهِيلُ لِتَأْوِيلِ التَّنْزِيلِ

تفسير

سُورَةِ القَصَص

فِي سُؤَال وَجَوَاب

تأليف

أَبِي عَبْدِ اللهِ مُصْطَفَى بْنِ الْعَدَوِيِّ



دار بلنسية للنشر والتوزيع

المملكة العربية السعودية - الرياض

ص.ب ٥٧٢٢٣ - الرمز البريدي: ١١٥٧٤

هاتف وفاكس : ٤٥١٧٥١٩

التَّسهيل لتأويل التَّنزيل

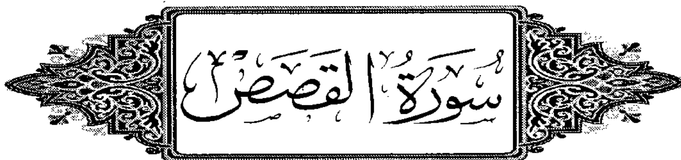
تفسير سورة القصص

في سؤال وجواب

تأليف
أبي عبد الله مصطفى بن العدوي

الناشر
مكتبة مكة

بسم الله الرحمن الرحيم


سورة القصص

الطبعة الأولى

١٤٢٣ هـ - ٢٠٠٢ م

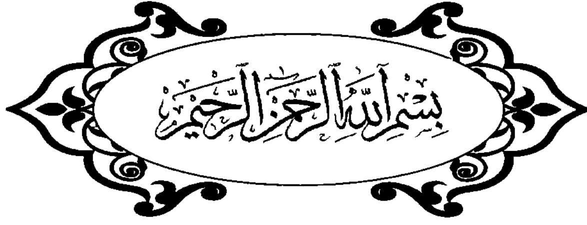
رقم الإيداع بدار الكتب المصرية

١٠٥٩١ / ٢٠٠٢

الناشر

مكتبة مكة

طنطا ت: ٠٤٠٣٣٤٥٧٤٥ - ٠١٢٣٤٨٩٨٥٣



مقدمة

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله .

وبعد:

فبين أيدينا سورة من أجمل السور ، تحمل قصةً من أجملِ القصص ، ألا وهي : «سورة القصص» ، تحمل قصةً من خير ما يذكر به ويُعتبر ، ألا وهي : قصة نبي الله موسىٰ عليه صلاة الله وسلامه وعلىٰ نبينا محمد وآله وصحبه .

* نبي الله موسىٰ عليه الصلاة والسلام ، ذلكم النبيُّ الحييُّ ، والرسول الوفيُّ الكليم الكريم ، الصابر الأمين!

* رسول من أولي العزم من الرسل صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين .

* رسولٌ كلَّمه الله تكليمًا ، وامتنَّ عليه امتنانًا!

* رسولٌ ألقىٰ الله عليه محبةً منه ، واصطنعه لنفسه ، وليُصنع علىٰ عينه .

* نبيٌّ كريم مُخلص ، ممَّن أنعم الله عليهم من النبيين ، ممن هداهم الله واجتباهم .

* نبيٌّ وجيهٌ في الدنيا والآخرة .

أمرنا الله بالاقتداء به، فذكره الله فيمن قال فيهم: ﴿**أُوْلَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهُدَاهُمُ اقْتَدِهْ**﴾ [الأنعام: ٩٠].

أشبهت سيرته وحياته في كثير من مراحلها سيرة نبي الله محمد ﷺ، وابتُليَ بابتلاءاتٍ من جنس تلك الابتلاءات التي ابتُلي بها النبي ﷺ.

* كان النبي ﷺ يتسلَّىٰ بسيرته ويتصبَّر، فقد كان صلوات الله وسلامه عليه يقول إذا أوذي: «**يرحم اللهُ موسى، قد أُوذي بأكثر من هذا فصبر**»[(١)].

* نزل القرآن علىٰ رسول الله ﷺ بسيرةِ موسىٰ وقصته وأمره في مكة كما نزل في المدينة أيضًا.

تعددتِ السور والآيات التي تحمل الحديثَ عن نبيِّ الله موسىٰ عليه الصلاة والسلام.

* وكما سلف، فإن ذلك لأن سيرته في الجملة أشبهت سيرة رسول الله ﷺ.

* ولذلك فإن طوائف الجن لما سمعوا القرآن من رسول الله ﷺ قالوا لقومهم: ﴿**يَا قَوْمَنَا إِنَّا سَمِعْنَا كِتَابًا أُنزِلَ مِنْ بَعْدِ مُوسَىٰ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ وَإِلَىٰ طَرِيقٍ مُّسْتَقِيمٍ**﴾ [الأحقاف: ٣٠].

مع أن القرآن نزل من بعد عيسىٰ عليه السلام أيضًا، وعيسىٰ أقرب لرسول الله ﷺ من موسىٰ في التأريخ.

وكذلك قال ورقة بن نوفل لرسول الله ﷺ - لما قصَّ النبي ﷺ خبر ما رأىٰ: «**هذا الناموس الذي أنزل الله على موسى عليه السلام**»[(٢)].

(١) أخرجه البخاري (حديث ٣٤٠٥)، ومسلم (حديث ١٠٦٢).
(٢) أخرجه البخاري (حديث ٣)، ومسلم (حديث ١٦٠).

وذلك كما ذكرنا لمشابهة أوضاع النبي ﷺ لأوضاع نبي الله موسىٰ، وأحواله لأحواله.

فابتلاءاتٌ وصعابٌ، واختباراتٌ ومشاقٌّ منذ الطفولة وحتىٰ الممات، ولكن في كل الأحوال ﴿فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْراً ۝ إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْراً﴾ [الشرح: ٥، ٦].

ولكن في كل الأحوال: (النصر مع الصبر والفرج مع الكرب).

* وُلد نبيُّنا محمد ﷺ يتيمًا، مات أبوه ولم يره.

ونبي الله موسىٰ عليه السلام منذ أن حملت به أمُّه وهي في هموم وغموم وخوفٍ وقلقٍ من بطش الفراعنة به، ومن شفار الذباحين الذين كُلفوا من فرعون وآله بذبح أبناء الإسرائيليين ولكن حفظ الله موسىٰ عليه الصلاة والسلام، بل وتربَّىٰ موسىٰ في بيت الفراعنة.

* وكذلك قيض الله لنبينا محمدٍ ﷺ من يرعاه ويحفظه بإذن الله ويدافع عنه وهو عمه أبو طالب الذي عاش كافراً ومات كافراً أيضًا.

وكذلك قيض الله لموسىٰ عليه السلام مَن يقوم بخدمته ويضمُّهُ إلىٰ بيته، وهو فرعون، أكبر طاغية عُرِف في التاريخ.

* ابْتُلِي النبي محمد ﷺ بعد البعثة بعُتاةٍ وطغاةٍ وفَجَرَةٍ وأشرارٍ، كأبي جهل بن هشام وعتبة بن ربيعة وشيبة بن ربيعة وأميّة بن خلف، ووصفوا النبيَّ الأمين محمد عليه الصلاة والسلام بالسحر والكهانة والشعر والكذب والافتراء.

وكذلك ابتلي نبي الله موسىٰ بهؤلاء الأشرار المفسدين كفرعون وهامان

وقارون، فقالوا عنه: ساحر، كذَّاب!!

وهكذا يُبتلى أهل الإيمان بمن يكذب عليهم ويفتري، ويبغي عليهم ويتطاول، وينال من عرضهم، ويقذف بالغيب من مكان بعيد.

ولكن ماذا بعد هذا؟ وماذا مع هذا؟ دائمًا ﴿ **وَالْعَاقِبَةُ لِلتَّقْوَى** ﴾ [طه: ١٣٢].

فنبذ فرعون وجنوده في اليمِّ، وأُلقي أبو جهلٍ ومن معه بعد قتلهم في قَلِيبٍ خبيثٍ ـ وهو قليب بدر ـ وهم جيفٌ نتنة.

* وكما أن الله قال في شأن فرعون: ﴿ **فَالْيَوْمَ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ لِتَكُونَ لِمَنْ خَلْفَكَ آيَةً** ﴾ [يونس: ٩٢]، فكذلك يقف النبي ﷺ على قليب بدر وينادي:

«يا أبا جهل بن هشام، يا أميّة بن خلف، يا عتبة بن ربيعة، يا شيبة بن ربيعة، أليس قد وجدتم ما وعد ربُّكم حقًا، فإني قد وجدتُ ما وعدني ربي حقًا»[1].

ودائمًا وأبدًا لا يُفلح الظالم حيث أتى.

* وكما أن نبي الله موسى خرج من بلاده خائفًا يترقب، فقد أُخرج النبيُّ ﷺ من مكة أيضًا.

وكما أن الله سبحانه وتعالى تفضَّل على نبيه موسى عليه السلام ومنَّ عليه وعلى من آمن به من قومه، وورث هو وقومُه جناتٍ وعيونٍ، وكنوزٍ ومقامٍ كريمٍ، ونعمةٍ كان فيها غيرهم فاكهين.

فكذلك نبينا محمد ﷺ فتح الله عليه مكة، فدخلها فاتحًا آمنًا مطمئنًا، كما قال تعالى: ﴿ **إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا...** ﴾ [الفتح: ١].

---

(١) مسلم (٢٨٧٤).

ولذلك نرىٰ في آخر سورة القصص قول الله لنبيه محمد ﷺ: ﴿**إِنَّ الَّذِي فَرَضَ عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لَرَادُّكَ إِلَىٰ مَعَادٍ**﴾ [القصص: ٨٥] أي: إلىٰ مكة.

فكما أنَّا رددنا موسىٰ فسنردُّك يا محمد إلىٰ مكة فاتحًا وكذا قال عددٌ من المفسرين. وكما أن الرسول ﷺ وُوجِهَ بأصحاب الأموال الذين حاربوا دعوته بأموالهم كما قال تعالىٰ حاكيًا عن بعضهم: ﴿**يَقُولُ أَهْلَكْتُ مَالاً لُّبَداً**﴾ [البلد: ٦] أي: مالاً كثيرًا في عداوة النبي ﷺ ودعوته.

* وكما قال تعالىٰ: ﴿**إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ لِيَصُدُّوا عَن سَبِيلِ اللَّهِ فَسَيُنفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً ثُمَّ يُغْلَبُونَ وَالَّذِينَ كَفَرُوا إِلَىٰ جَهَنَّمَ يُحْشَرُونَ**﴾ [الأنفال: ٣٦].

فكذلك ابتلي نبي الله موسىٰ بقارون الذي كانت مفاتحه تنوء بالعُصبة أولي القوّة، وابتلي ببغْي قارون وافتراء قارون، ولكن ما العاقبة؟ خسف الله بقارون وبداره الأرض، وما كان له من فئة ينصرونه من دون الله وما كان من المنتصرين.

* ومن عجيب الأمر: أن يبتلىٰ النبيُّ ﷺ بقريبٍ له يحارب دعوته، ويمشي خلفه يصِفه بالكذب ويتهمه بالجنون ألا وهو: عمه أبو لهبٍ.

ويبتلىٰ موسىٰ عليه السلام أيضًا بقارون الذي هو من قوم موسىٰ وقيل: هو ابن عمه.

فياعجبًا؛ كيف يأتي البلاء من الأقرباء؟

وكيف يأتي الافتراء من العشائر؟!

* ابتلي النبي ﷺ برأس النفاق: عبد الله بن أُبي بن سلول، ولابن سلول

أتباعٌ!!

كما ابتلي موسىٰ عليه السلام بالسامريِّ الكذَّاب، وللسامري أتباعٌ!

* أوذي النبي ﷺ أشدَّ الأذىٰ من أهل الإفك والافتراء، وطعنوا في زوجته الكريمة الشريفة السيدة الطاهرة العفيفة أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها.

كما أوذي موسىٰ، واتُّهم ووُصف بما لا يليق أن يوصف به رجل من عوام الناسِ، وموسىٰ عليه السلام من أولي العزم من الرسل الكرام، ولكن برَّأ الله سبحانه عائشة رضي الله عنها في آيات تتلىٰ في المحاريب وتحفظ في الصدور وتسطر في المصاحف، ألا هي قوله تعالىٰ: ﴿ **إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بِالْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِّنكُمْ** . . . ﴾ [النور: ١١]. وهكذا ينجي الله المتقين، ويُبرئ الله المؤمنين.

وفي المقابل يُلحق ربنا بالبغاة الأشرار ما هم له أهل، فالخبيثات للخبيثين والخبيثون للخبيثات.

* وكما أن موسىٰ عليه السلام قابلتْه الصعابُ والمشاقُّ والعنادُ من بني إسرائيل، فقد قُوبل نبينا محمد ﷺ بذلك من بني إسرائيل أيضًا، ومن أهلِ النفاقِ كذلك.

فقد جاء موسىٰ بالبينات واطَّلع بنو إسرائيل علىٰ ذلك، وأنجاهم الله من عدوهم، وفلق الله لهم البحر فكان كل فرق كالطود العظيم، وأغرق الله فرعونَ وآله أمام أعين الإسرائيليين وما هو إلا أن جاوزوا البحرَ، فأتوْا علىٰ قومٍ يعكفون علىٰ أصنام لهم: ﴿ **قَالُوا يَا مُوسَى اجْعَل لَّنَا إِلَهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ** ﴾ [الأعراف: ١٣٨].

فسبحان الله، جاء اليهود أيضًا إلىٰ نبينا محمد ﷺ وسألوه مسائل لا يعلمها إلا نبي، فأجابهم عليها خيرَ إجابةٍ، إجابة بوحي من السماء، فأقرُّوا بصحتها، ومع ذلك عاندوا وكفروا، والعياذ بالله.

* وكما أن الإسرائيليين سلكوا سبيل التخذيل لموسىٰ عليه السلام، إذ قال لهم: ﴿**يَا قَوْمِ ادْخُلُوا الأَرْضَ الْمُقَدَّسَةَ الَّتِي كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ وَلا تَرْتَدُّوا عَلَىٰ أَدْبَارِكُمْ فَتَنقَلِبُوا خَاسِرِينَ**﴾ [المائدة: ٢١]. . . ، ماذا قال الإسرائيليون لنبيهم الكريم موسىٰ عليه الصلاة والسلام، وقد أنجاهم الله علىٰ يديه: ﴿**قَالُوا يَا مُوسَىٰ إِنَّ فِيهَا قَوْمًا جَبَّارِينَ وَإِنَّا لَن نَّدْخُلَهَا حَتَّىٰ يَخْرُجُوا مِنْهَا فَإِن يَخْرُجُوا مِنْهَا فَإِنَّا دَاخِلُونَ**﴾ [المائدة: ٢٢].

وقالوا أيضًا: ﴿**يَا مُوسَىٰ إِنَّا لَن نَّدْخُلَهَا أَبَدًا مَّا دَامُوا فِيهَا فَاذْهَبْ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلا إِنَّا هَاهُنَا قَاعِدُونَ**﴾ [المائدة: ٢٤] ونحو هذا المسلك من مسالك التخذيل سَلَكه أهلُ النفاقِ مع نبينا محمد ﷺ، فرجع عبد الله بن أُبي بن سلول يومَ أُحُدٍ بثُلُثِ الجيش لتخذيل أهل الإيمان[١] أمام أهل الكفر والطغيان، ولكن دائمًا العاقبة للتقوىٰ.

نصر الله أنبياءه وأولياءَه وخذل ربُّ العالمين أعداءَه وأعداءَ المرسلين.

* وفي الختام:

فإن الله سبحانه يجعل موتة نبيه محمد ﷺ في المدينة وليست ببلدته التي وُلد فيها، ليست بمكة البلد الحرام، وكذلك يموت موسىٰ قريبًا من الأرض المقدسة رمية بحجرٍ[٢]، فسبحان الله، تشابهتْ سيرهما، وتشابهتْ حياتُهما،

(١) انظر كتابنا: «التسهيل»: تفسير سورة النساء عند قوله تعالىٰ: ﴿والله أركسهم بما كسبوا﴾ ففيها شيءٌ حول هذا. [النساء: ٨٨].

(٢) أي بمسافة رمية حجر.

وتشابهتِ الابتلاءاتُ التي ابتليا بها عليهما صلوات الله وسلامه.

فهكذا أشبهت سيرةُ نبينا محمدٍ ﷺ سيرةَ نبي الله موسىٰ عليه السلام، ومِن ثَمَّ فقد تكرر ذكر قصة موسىٰ، ونزلت سورٌ مدنية ومكيّة بذلك، وذلك ـ والله أعلم ـ لأن نبينا محمداً ﷺ لاقىٰ في مكة من التعب والعناء والجهد من أئمة الكفر نحو الذي لقيه موسىٰ من فرعون وهامان وقارون وكذلك لاقىٰ نبينا محمد ﷺ بالمدينة، من العناء والجهد مع اليهود وأهل النفاق نحواً من المعاناة التي عاناها موسىٰ عليه السلام مع بني إسرائيل ونحوذ لك يواجهه الدعاة إلىٰ الله.

فَمِنْ ثَمَّ؛ لزمنا تدبر قصة موسىٰ عليه السلام وسيرة نبينا محمد ﷺ نلتمس من ذلك كله الزاد!

ونتعلم من ذلك كله الصبر!

ونستلهم العون من الله أولاً وآخراً.

والتوفيق بالله وحده.

تناولت هذه السورة المباركة الميمونة أموراً يجب أن تدرك ويجب أن تُتأمل، ويتفكر فيها المتفكر ويعتبر بها المعتبر.

* تجلت في هذه السورة الكريمة مظاهر قدرة الله عز وجل، وأنه تبارك وتعالىٰ يفعل ما يريد، وهو سبحانه غالبٌ علىٰ أمره، له الخلق وله الأمر، قدره نافذٌ في خلقه، لا يُخلف وعده، ولا يُهزم جندُه.

* فانظر إلىٰ آثار قدرة الله ورحمة الله، وكيف حفظ نبيه موسىٰ من الغرق ومن العدو؟ وكيف ألقىٰ الله محبة موسىٰ في قلب من رآه؟ حتىٰ

قالت امرأة فرعون: ﴿لا تَقْتُلُوهُ عَسَىٰ أَن يَنفَعَنَا أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَدًا﴾ [القصص: ٩] ثم كيف تجتمع المراضع لإرضاعه وهو يأبى؟ إذ الله قد حرَّم عليه المراضع ثم كيف جاءت أمه فالتقم ثديها؟!

* ثم كيف قيض الله لموسى رجلاً أتى من أقصى المدينة يسعى يقول: ﴿يَا مُوسَىٰ إِنَّ الْمَلأَ يَأْتَمِرُونَ بِكَ لِيَقْتُلُوكَ فَاخْرُجْ إِنِّي لَكَ مِنَ النَّاصِحِينَ﴾ [القصص: ٢٠].

* ثم تتساءل لماذا وجِّه موسى إلى «مَدْيَن»؟

* ومن الذي هداه السبيل إليها ويسر له أمر الوصول إليها؟

* وسبحان الله؛ كيف وجد المرأتين وسقى لهما بدون شرط ولا أجر؟

* ثم كيف دعا وكيف استجاب الله دعاءه؟ فجاءته إحداهما تمشي على استحياءٍ قالت: ﴿إِنَّ أَبِي يَدْعُوكَ لِيَجْزِيَكَ أَجْرَ مَا سَقَيْتَ لَنَا﴾ [القصص: ٢٥].

* وبعدُ، فكيف أعانه الله وواجه فرعونَ؟!

* ثم كيف أنجاه الله، وأُخذ عَدُوه فنبذ في اليمّ؟!

* تجلت قدرة الله في هذه السورة المباركة، فالمحفوظ مَن حفِظَهُ اللهُ، والمهتدي منَ هداه الله، والمختارُ من اختاره الله واصطفاه، ولا ينفع حذرٌ من قَدَرٍ.

* استقرئ هذه المعاني الجميلة من سيرة موسى عليه السلام؛ استقرئها من قوله تعالى: ﴿وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ مَا كَانَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ﴾ [القصص: ٦٨]، فالذي يخلق ويختار هو الله.

* ومن قوله تعالى: ﴿إِنَّكَ لا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَن يَشَاءُ

وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾ [القصص: ٥٦] فالذي يهدي هو الله.

*وسبحان الله، فَمَنِ الذي ربط على قلب أم موسى؟ لا شك أنه الله.

*استقرئ أيضًا قوله تعالى: ﴿**وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِي الأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ (٥) وَنُمَكِّنَ لَهُمْ فِي الأَرْضِ وَنُرِيَ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا مِنْهُم مَّا كَانُوا يَحْذَرُونَ﴾** [القصص: ٥، ٦] فالذي يمنّ على العباد هو الله، والذي يختار الأئمة هو الله، والذي يمكّن هو الله.

*وكذلك فاقرأ قوله تعالى: ﴿**فَرَدَدْنَاهُ إِلَىٰ أُمِّهِ كَيْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ﴾** [القصص: ١٣].

تدرك من هذه السورة الكريمة إدراكًا تامًّا، أن الله يتولى الصالحين، ويُدبر لهم أمورهم، ويُصلح لهم شئونهم، ويختار لهم خيرًا مما يختارونه لأنفسهم، فمهما دبَّرتْ أم موسى، ومهما فكَّرتْ، ومهما رتَّبتْ من أمور لحفظ ولدها؛ هل كانت ستصل إلى الثمرة الطيبة التي تفضل الله بها عليها؟!

إنها مهما فكّرتْ؛ فغاية تفكيرها أن يحفظ ولدها من القتل لكنها لم تكن لتفكر - إلا بوحي الله - في أن يرجع ولدها إليها ترضعه آمنة مطمئنة.

*ثم كيف أقرَّ اللهُ عينَها وأذهبَ عنها الحزن، تغدق عليها الهدايا، وتأتيها المنح، وهي المتفضلة المشكورة على القوم بإرضاع ولدها.

*وأيضًا؛ كيف دبَّر اللهُ أمر موسى عليه السلام، وتولاَّه في سفره وحضره، وفي غربته وبلده؟!

*وكيف تزوج ورُزق واستقرَّ زمنًا وهو آمن مطمئن بعد أن أنجاه الله من

القوم الظالمين؟!

إن فضل الله على العباد واسع، يرزقهم من حيث لا يحتسبون، ويدافع عنهم، ويدفع، وهم لا يدرون ولا يشعرون، ويسبغ عليهم من نعمه الظاهرة والباطنة ما لا يتوقعونه ولا يخطر لهم على بال.

* انظر: كيف يقول الله لنبيه محمد ﷺ في هذه السورة الكريمة المباركة: ﴿**وَمَا كُنتَ تَرْجُو أَن يُلْقَىٰ إِلَيْكَ الْكِتَابُ إِلَّا رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ**﴾ [القصص: ٨٦]؟!

* فهل كان رسول الله ﷺ - قبل أن يُوحىٰ إليه - يتصور يومًا أن يكون سيد ولد آدم، سيد الأولين والآخرين؟!

* هل كان عليه الصلاة والسلام يتوقع أن ينزل عليه وحيٌ من السماء؟! وأن يُعرج به إلىٰ السموات العُلَىٰ؟! وأن تفرض هنالك عليه الصلوات؟!

* هل كان يتوقع أن يُسرىٰ به في ليلةٍ من المسجد الحرام إلىٰ المسجد الأقصىٰ؟!

* وسبحان الله، هل ظن رسولنا محمد ﷺ قبل بعثته أنه سيكون أول شافع وأول مشفَّع؟! وأول من تنشق عنه الأرض يوم القيامة؟! وأنه صاحب الشفاعة العظمىٰ، ولن تفتح أبواب الجنة لأحدٍ قبله؟!

* فسبحان الله الكريم المنَّان؛ سبحان من له النعمة وله الفضل وله الثناء الحسن.

* ودومًا فكما يقول الله: ﴿**وَهُوَ يَتَوَلَّى الصَّالِحِينَ**﴾ [الأعراف: ١٩٦].

* إن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها لَمَّا رماها أهلُ الإفك والكذبِ

والبهتانِ بما رموها به؛ لم تكن تتوقع يومًا أن ينزل في شأنها وحيٌ يتلىٰ، يتلوه أئمة المساجد في المحاريب والأطفال في الكتاتيب، ويتلوه أهلُ الإيمان، ويحفظونه في الصدور تقول أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها[١] في حديث الإفك: . . . وأنا والله حينئذ أعلم أني بريئة، وأن الله مبرئي ببراءتي، ولكن، والله ما كنتُ أظن أن ينزل في شأني وحيٌ يتلىٰ ولشأني كان أحْقَرَ في نفسي من أن يتكلم اللهُ عز وجل فيَّ بأمرٍ يتلىٰ، ولكن أرجو أن يرىٰ رسولُ الله ﷺ في النوم رؤيا يبرئني الله بها. قالت: فوالله، ما رام رسول الله ﷺ مجلسه، ولا خرج من أهل البيت أحد حتىٰ أنزل الله عز وجل علىٰ نبيه ﷺ. . . فذكرتْ آيات الإفك: ﴿**إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بِالإِفْكِ عُصْبَةٌ مِّنكُمْ . . .**﴾ [النور: ١١].

* فسبحان الله، كيف يدبر الله أمر أهل الصلاح أحسن تدبير وأجمله ويختار لهم أفضل السبل وأقومها؟ فله الحمد آناء الليل وأطراف النهار.

نرى في هذه السورة الكريمة عاقبة الظُّلْمِ والبغي والطغيان والتكبر والتعالي على الخلق والخالق سبحانه وتعالى.

* فها هو الذي كان يذبح الأبناء ويستحيي النساء ويقول: ﴿**أَنَا رَبُّكُمُ الأَعْلَى**﴾ [النازعات: ٢٤]، ويقول: ﴿**يَا أَيُّهَا الْمَلأُ مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَهٍ غَيْرِي**﴾ [القصص: ٣٨] ها هو يُنْبَذُ وجنودُهُ في اليمِّ، ويجعله الله آيةً وعبرةً لم خلفه.

* وها هو قارون الطاغي الباغي بماله وخزائنه، المختال في زينته تُخسف به وبداره الأرض.

---

(١) البخاري (حديث ٤٧٥٠)، ومسلم (حديث ٢٧٧٠)، واللفظ له.

ولا يظن ظانٌّ أن الانتقام قاصرٌ على فرعون وهامان وقارون فحسب، بل هو عام على كل ظالم.

* فها هي القرىٰ الظالمة عمومًا يُدمرها الله عز وجل: ﴿وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَرْيَةٍ بَطِرَتْ مَعِيشَتَهَا فَتِلْكَ مَسَاكِنُهُمْ لَمْ تُسْكَن مِّنْ بَعْدِهِمْ إِلاَّ قَلِيلاً وَكُنَّا نَحْنُ الْوَارِثِينَ﴾ [القصص: ٥٨].

* وقال تعالىٰ: ﴿وَكَم مِّن قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا فَجَاءَهَا بَأْسُنَا بَيَاتًا أَوْ هُمْ قَائِلُونَ﴾ [الأعراف: ٤].

فسبحان من يُعِزُّ ويُذِلُّ، ويرفع ويخفض ويقبض ويبسط.

نرى في هذه السورة الكريمة آيات بينات يطمئن الله بها نفوس عباده وبها تتأكد نبوة نبينا محمد ﷺ.

* من ذلك قوله تعالىٰ: ﴿وَمَا كُنتَ بِجَانِبِ الْغَرْبِيِّ إِذْ قَضَيْنَا إِلَىٰ مُوسَى الأَمْرَ وَمَا كُنتَ مِنَ الشَّاهِدِينَ﴾ [القصص: ٤٤].

* وقوله تعالىٰ: ﴿وَمَا كُنتَ ثَاوِيًا فِي أَهْلِ مَدْيَنَ تَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِنَا وَلَكِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ﴾ [القصص: ٤٥].

* وقوله تعالىٰ: ﴿وَمَا كُنتَ بِجَانِبِ الطُّورِ إِذْ نَادَيْنَا﴾ [القصص: ٤٦].

فهذه آيات بينات نيِّرات تدل علىٰ نبوة نبينا محمد ﷺ، وتبين صدقه، فلم يكن في هذه الأماكن أثناء هذه الأحداث، ومع كونه كان أُميًا لكنه قصَّ علىٰ أصحابه هذه القصة أجمل اقتصاص صلوات الله وسلامه عليه.

نرى في هذه السورة الكريمة جبلات البشر التي جُبلوا عليها، من اليقين، والضعف والخوف والاغترار والكبر والتطاول والشهامة والمروءة ، والتهافت والتهاوي والثبات والاعتصام، إلى غير ذلك مما جُبل عليه البشر.

* فنرىٰ أم موسىٰ عليها السلام يتسرب إليها الخوف والحزن بل وأصبح فؤادها فارغًا من كل شيء إلا من ذكر موسىٰ عليه السلام، لكن يطمئنها ربُّها ويربط علىٰ قلبها لتكون من المؤمنين.

* نرىٰ نبي الله موسىٰ عليه السلام، وقد خرج من المدينة خائفًا يترقب وأيضًا، فلما رأىٰ العصىٰ تهتز كأنها جانٌّ ولىٰ مدبراً ولم يعقب، وكذلك نقرأ قوله: ﴿ وَأَخِي هَـٰرُونُ هُوَ أَفْصَحُ مِنِّي لِسَانًا فَأَرْسِلْهُ مَعِيَ رِدْءًا يُصَدِّقُنِي إِنِّي أَخَافُ أَن يُكَذِّبُونِ ﴾ [القصص: ٣٤].

ومع ذلك كله؛ نراه مُعتصمًا بالله مُكثراً من ذكر الله، نتعلم منه كيف نكثر من الذكر والشكر والاستغفار.

* فتقرأ قوله: ﴿ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي فَاغْفِرْ لِي ﴾ [القصص:١٦].

* وقوله: ﴿ رَبِّ بِمَا أَنْعَمْتَ عَلَيَّ فَلَنْ أَكُونَ ظَهِيرًا لِّلْمُجْرِمِينَ ﴾ [القصص: ١٧].

* وقوله: ﴿ رَبِّ نَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴾ [القصص: ٢١].

* وقوله: ﴿ عَسَىٰ رَبِّي أَن يَهْدِيَنِي سَوَاءَ السَّبِيلِ ﴾ [القصص: ٢٢].

* وقوله: ﴿ رَبِّ إِنِّي لِمَا أَنزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ ﴾ [القصص: ٢٤].

فسبحان الله ، ما أجمل ذكر الله وما أحسنه! به تطمئن القلوب ، ويسكن الفؤاد ، وتتنزل السكينة ، وترتفع الدرجات في عليين .

*نرىٰ في هذه السورة الكريمة أهل الدنيا الذين يريدونها ، وكيف تتجه أنظارهم إلىٰ قارون وقد خرج في زينته مختالاً في مشيته وهم يقولون متهافتين : ﴿ **يَا لَيْتَ لَنَا مِثْلَ مَا أُوتِيَ قَارُونُ إِنَّهُ لَذُو حَظٍّ عَظِيمٍ** ﴾ [القصص : ٧٩] ، ولكنهم سرعان ما قالوا متراجعين : ﴿ **لَوْلا أَن مَّنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا لَخَسَفَ بِنَا وَيْكَأَنَّهُ لا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ** ﴾ [القصص : ٨٢] .

*نرىٰ أيضًا أهل العلم العاملين به ، الذين يرجون ثواب الله ، الذين جعلهم الله منارات خير علىٰ الدوام ، ودلالات هدىٰ في كل زمان ومكان .

نراهم قد قاموا بما أوجبه الله عليهم لإنقاذ قومهم من الضلال ، ولرد الأفئدة إلىٰ رشدها ، فنراهم يقولون محذرين ومذكرين وقد اغتر قوم بقارون وثروته ومراكبه وزينته ، يقولون لأقوامهم : ﴿ **وَيْلَكُمْ ثَوَابُ اللَّهِ خَيْرٌ لِّمَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا وَلا يُلَقَّاهَا إِلاَّ الصَّابِرُونَ** ﴾ [القصص : ٨٠] .

ونرى مكارم الأخلاق أيضًا متجليةً في هذه السورة الكريمة:

*فنرىٰ المروءة والشهامة والنجدة في تصرف موسىٰ ؛ إذ سقىٰ للمرأتين من غير شط ولا طَلَبِ أجرٍ .

*ونرىٰ الحياء وقد كُسيت به المرأة ابنة العبد الصالح .

*تقرأ صفات الذين صبروا ويدرءون بالحسنة السيئة ، وأنفقوا مما رزقهم الله ، نراهم ﴿ ... **إِذَا سَمِعُوا اللَّغْوَ أَعْرَضُوا عَنْهُ وَقَالُوا لَنَا أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ**

أَعْمَالُكُمْ سَلامٌ عَلَيْكُمْ لا نَبْتَغِي الْجَاهِلِينَ﴾ [القصص: ٥٥].

وفي ثنايا هذه السورة المباركة لفتاتٌ طيبةٌ في أبواب الفقه والتعامل مع الناس:

* كعرض الرجل الصالح إحدىٰ ابنتيه علىٰ موسىٰ عليه السلام للزواج بها، وهكذا يفعل الفضلاء مع أهل الصلاح.

* ومن ذلك أيضًا مشروعية الإجارة، والإشارة إلىٰ أن الكسب من عمل اليد أولىٰ من التسول ومد اليد.

* ثم تختم السورة الكريمة بالحث علىٰ الدعوة إلىٰ الله والإقبال عليه، والإعراض عن الشرك وعن مظاهرة المشركين.

* ثم بيان وحدانية الله عز وجل، وأن لا إله إلا هو، وأن كل شيء هالك إلا وجهه، له الحكمُ وإليه المرجع والمآب.

... وفي الجملة: فإن السورة الكريمة فيها بيان للحياة الدنيا بإيجاز واختصار، وأن الإنسان خلق فيها في كبد ومشقة، وأنها لا تثبت لأحدٍ علىٰ حالٍ، فحتىٰ أهل الفضل والصلاح يعتريهم الخوف والرجاء ولكن دائمًا ﴿فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا﴾ [الشرح: ٥].

وأيضًا فأهل النعيم في هذه الحياة الدنيا لا يثبت لهم فيها نعيمٌ ولا يدوم؛ فالعباد دوْمًا يركبُنَّ طبقًا عن طبقٍ، وقد خلقهم الله أطوارًا، وتلك الأيام يداولها الله بين الناس، فيومٌ يُتبَلَّي فيه الناس، ويوم يسعدون، ويوم لهم ويوم عليهم، وهذا عزيزٌ يومه هذا وغدًا ذليل، وهذا حقير ووضيعٌ وغدًا عزيز وكريم، يعز ربي من يشاء ويذل ويخفض ربي من يشاء، ويرفع

له الخلق وله الأمر ، ثم الهلاك لاحق بكل شيء ، وكل شيء هالك إلا وجهه .

وهذا الذي ذكرناه في هذه المقدمة غيضٌ من فيض من فوائد هذه السورة المباركة الميمونة ، فنترك القارئ ينظر في ثناياها ، ويقف على معانيها ، سائلين الله تبارك وتعالى التوفيق لجميع المسلمين ، وأن يرفع راية الإسلام والمسلمين عالية خفاقةً .



وصلِّ اللهمَّ على نبينا وعلى آله وصحبه وسلِّم تسليمًا

كتبه
أبو عبد الله
مصطفى بن العدوي شلباية

سُورَةُ القَصَصِ

ترتيبها ٢٨ — آياتها ٨٨

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

طسٓمٓ ﴿١﴾ تِلۡكَ ءَايَٰتُ ٱلۡكِتَٰبِ ٱلۡمُبِينِ ﴿٢﴾ نَتۡلُواْ عَلَيۡكَ
مِن نَّبَإِ مُوسَىٰ وَفِرۡعَوۡنَ بِٱلۡحَقِّ لِقَوۡمٖ يُؤۡمِنُونَ ﴿٣﴾ إِنَّ
فِرۡعَوۡنَ عَلَا فِي ٱلۡأَرۡضِ وَجَعَلَ أَهۡلَهَا شِيَعٗا يَسۡتَضۡعِفُ
طَآئِفَةٗ مِّنۡهُمۡ يُذَبِّحُ أَبۡنَآءَهُمۡ وَيَسۡتَحۡيِۦ نِسَآءَهُمۡۚ إِنَّهُۥ كَانَ
مِنَ ٱلۡمُفۡسِدِينَ ﴿٤﴾ وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى ٱلَّذِينَ ٱسۡتُضۡعِفُواْ
فِي ٱلۡأَرۡضِ وَنَجۡعَلَهُمۡ أَئِمَّةٗ وَنَجۡعَلَهُمُ ٱلۡوَٰرِثِينَ ﴿٥﴾
وَنُمَكِّنَ لَهُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَنُرِيَ فِرۡعَوۡنَ وَهَٰمَٰنَ وَجُنُودَهُمَا
مِنۡهُم مَّا كَانُواْ يَحۡذَرُونَ ﴿٦﴾

س: اذكر معنى ما يلي:

(طسٓمٓ ـ الكتاب ـ المبين ـ نتلو عليك ـ نبأ ـ بالحق ـ يؤمنون ـ علا ـ شيعًا ـ يستضعف ـ يستحيي ـ نمنَّ ـ أئمة ـ نمكن لهم).

ج:

الكلمة	معناها
طسٓمٓ	أحرفٌ بُدئت بها السورة، لا يعلم معناها إلا اللَّه. ثم إن من أهل العلم من قال: إنها سيقت للتحدي وبيان الإعجاز.
الكتاب	القرآن.
المبين	المُظهر المُوضِّح، مظهرٌ وموضحٌ للحلال والحرام والعقائد والأحكام وأخبار الأولين والآخرين، وصفات رب العالمين، وسننه في خلقه، وجنته وناره، وأوامره وحقوقه، إلى غير ذلك.
نتلوا عليك	نقرأ عليك ـ نقصُّ عليك.
نبأ	خبر.
بالحق	بالصدق الذي لا ريب فيه ولا كذب.
يؤمنون	يُصدّقون (يصدقون بالقرآن ويعلمون أنه من عند اللَّه، ويصدقون بنبوة النبي محمد ﷺ

	ورسالته، والبعث والجزاء، وكل ما هو من مقتضيات الإيمان.
علا	تكبَّر - تجبَّر - بغىٰ - تعظَّم بسلطانه.
شيعًا	فِرقًا، - أصنافًا؛ (فرَّقهم وخالف بينهم لإضعافهم).
يستضعف	يستعبد.
يستحيي	يستبقي - يتركهن أحياء.
نمنّ	نُنْعِم - نتفضَّل.
أئمةً	قادةً في الخير - ولاةً للأمر.
نمكن لهم	نجعلهم مقتدرين علىٰ الأرض متحكمين فيها.

س: قال الله تعالى: ﴿ نَتْلُو عَلَيْكَ مِن نَّبَإِ مُوسَىٰ وَفِرْعَوْنَ بِالْحَقِّ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴾ فهل القرآن للمؤمنين فقط؟

ج: القرآن نزل لهداية الجميع، ولكن لما كان المنتفعون به هم المؤمنون فقط، فمن ثمَّ قال تعالى: ﴿ **لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ** ﴾.

وورد عن قتادة بإسناد حسن عند الطبري أنه قال: قوله: ﴿ **نَتْلُو عَلَيْكَ مِن نَّبَإِ مُوسَىٰ وَفِرْعَوْنَ بِالْحَقِّ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ** ﴾ يقول: في هذا القرآن نبؤهم. وقوله: ﴿ **لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ** ﴾ يقول لِقَوْمٍ يصدِّقون بهذا الكتاب، ليعلموا أن ما نتلو عليك من نبئهم فيه نبؤهم، وتطمئن نفوسهم بأن سنتنا فيمن خالفك وعاداك من المشركين سنتُنا فيمن عادىٰ موسىٰ، ومن آمن به من بني إسرائيل من فرعون وقومه، أن نهلكهم كما أهلكناهم، وننجيهم منهم كما أنجيناهم.

قال السعدي رحمه الله:

﴿ **لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ** ﴾ فإليهم يساق الخطاب ويوجَّه الكلام؛ حيث إن معهم من الإيمان ما يقبلون به على تدبُّر ذلك وتلقيه بالقبول والاهتداء بمواقع العبر، ويزدادون به إيمانًا ويقينًا وخيرًا إلىٰ خيرهم، وأما من عداهم فلا يستفيدون منه إلا إقامة الحجة عليهم، وصانه الله عنهم، وجعل بينهم وبينه حجابًا أن يفقهوه». اهـ.

* * *

س: أيُّ أرض هذه التي علا فيها فرعون؟

ج: الأرض أرض مصر.

* * *

س: اذكر بعض السبل التي يسلكها أهل الكفر لصرف المؤمنين عن دينهم؟

ج: من ذلك ما يلي:

القتل والقتال: قال تعالى: ﴿وَلا يَزَالُونَ يُقَاتِلُونَكُمْ حَتَّىٰ يَرُدُّوكُمْ عَن دِينِكُمْ إِنِ اسْتَطَاعُوا﴾ [البقرة: ٢١٧].

* وكما حكى الله عن فرعون قوله: ﴿فَلأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُم مِّنْ خِلافٍ وَلأُصَلِّبَنَّكُمْ فِي جُذُوعِ النَّخْلِ﴾ [طه: ٧١].

* وكما قال تعالى: ﴿وَكَانَ فِي الْمَدِينَةِ تِسْعَةُ رَهْطٍ يُفْسِدُونَ فِي الأَرْضِ وَلا يُصْلِحُونَ ﴿٤٨﴾ قَالُوا تَقَاسَمُوا بِاللَّهِ لَنُبَيِّتَنَّهُ وَأَهْلَهُ ثُمَّ لَنَقُولَنَّ لِوَلِيِّهِ مَا شَهِدْنَا مَهْلِكَ أَهْلِهِ وَإِنَّا لَصَادِقُونَ﴾ [النمل: ٤٩].

الحروب الاقتصادية والتضييق على المسلمين في البيع والشراء والتعاملات: كما حدث للرسول ﷺ وأصحابه في شعب أبي طالب، وكما أوصى أهل النفاق بعضهم بذلك فقالوا: ﴿لا تُنفِقُوا عَلَىٰ مَنْ عِندَ رَسُولِ اللَّهِ حَتَّىٰ يَنفَضُّوا﴾ [المنافقون: ٧].

التشويش على القرآن وعلى السنة واللغو فيهما ومحاولة الخلط والتحريف: قال تعالى: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لا تَسْمَعُوا لِهَٰذَا الْقُرْآنِ وَالْغَوْا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَغْلِبُونَ﴾ [فصلت: ٢٦].

اتباع المتشابه وترك المحكم وإثارة الشُّبه في أوساط المسلمين:

* قال تعالى: ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ﴾ [آل عمران: ٧].

* وقد قال النبي ﷺ لعائشة وقد تلا قوله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي أَنزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُّحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلاَّ اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلاَّ أُوْلُوا الأَلْبَابِ﴾ [آل عمران: ٧].

* قال النبي ﷺ: «إذَا رَأيتَ الرجُلَ يَتْبَعُ المُتَشَابِه، ويتركُ المُحكَمَ فَأُولئكَ الذينَ سَمَّى اللهُ عزَّ وجَلَّ فَاحْذَرْوهُم»[1].

إثارة النعرات الجاهلية والعصبيات الجاهلية: كما قالوا: ﴿يَقُولُونَ لَئِن رَّجَعْنَا إِلَى الْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ الأَعَزُّ مِنْهَا الأَذَلَّ﴾ [المنافقون: ٨].

نشر الشائعات والأراجيف في أوساط المسلمين: كما صنعوا في حديث الإفك، وكما ذكَّرنا الله بقوله: ﴿لَئِن لَّمْ يَنتَهِ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ وَالْمُرْجِفُونَ فِي الْمَدِينَةِ لَنُغْرِيَنَّكَ بِهِمْ ثُمَّ لا يُجَاوِرُونَكَ فِيهَا إِلاَّ قَلِيلاً﴾ [الأحزاب: ٦٠].

التلويح والتهديد بالطرد والإبعاد والإخراج من البلاد: كما قال تعالى: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِرُسُلِهِمْ لَنُخْرِجَنَّكُم مِّنْ أَرْضِنَا أَوْ لَتَعُودُنَّ فِي مِلَّتِنَا﴾ [إبراهيم: ١٣]، وكما قال قوم لوط: ﴿أَخْرِجُوا آلَ لُوطٍ مِّن قَرْيَتِكُمْ إِنَّهُمْ أُنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ﴾ [النمل: ٥٦]، وكما قال قوم شعيب: ﴿لَنُخْرِجَنَّكَ يَا شُعَيْبُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَكَ مِن قَرْيَتِنَا أَوْ لَتَعُودُنَّ فِي مِلَّتِنَا﴾ [الأعراف: ٨٨]، وكما قال تعالى: ﴿وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ

---

(١) البخاري (حديث ٤٥٤٧).

ويمكرون ويمكر الله والله خير الماكرين ﴾ [الأنفال: ٣٠].

التهديد بالسجون: كما قال فرعون لموسىٰ عليه السلام: ﴿ لَئِنِ اتَّخَذْتَ إِلَهًا غَيْرِي لأَجْعَلَنَّكَ مِنَ الْمَسْجُونِينَ ﴾ [الشعراء: ٢٩].

قتل الدعوات في مهدها: وهو الذي يسميه البعض «تجفيف المنابع» كما كان فرعون يفعل من ذبح الأبناء.

مبدأ تفريق المسلمين: وهو الشعار الذي يرفعه أهل الكفر، (فرِّقْ تَسُدْ) وهو ما كان يصنعه فرعون: ﴿ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا ﴾ [القصص: ٤]، وقد قال تعالىٰ: ﴿ وَلا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ ﴾ [الأنفال: ٤٦].

اعتناق الأديان لتخريبها: كما أخبر الله تعالىٰ عن صنيع اليهود السيء في هذا الباب، فقال تعالىٰ: ﴿ وَقَالَت طَّائِفَةٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ آمِنُوا بِالَّذِي أُنزِلَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَجْهَ النَّهَارِ وَاكْفُرُوا آخِرَهُ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴾ [آل عمران: ٧٢].

اللهو واللعب والكذب الصُّراح: لصرف الناس عن دينهم.

وصف أئمة الهُدى ومنارات الخير للناس بأوصاف لا تليق بهم: كما وصفوا المرسلين بأنهم سحرة وكهنة وكذبة ومفسدون ومتخلفون ورجعيون.

نشر الشر والفساد والحض على اتباع الشهوات وتزيينها: قال تعالىٰ: ﴿ وَيُرِيدُ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الشَّهَوَاتِ أَن تَمِيلُوا مَيْلاً عَظِيمًا ﴾ [النساء: ٢٧].

قتل المعاني الجميلة والخصال الطيبة: كالعفاف والستر والنقاء والطهارة والكرم والجود والشجاعة والنجدة والشهامة.

ليُّ الكلام وتحريفه عن مواضعه: وإلباس الباطل ثوب الحق.

الطعن في أركان الإيمان عمومًا وكذلك أركان الإسلام.

التفريق في الإيمان بين بعض الرسل وبعض، وبعض الكتب وبعضها.

* * *

س: ذكر بعض العلماء أن قوله تعالى: ﴿وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ ۝ وَنُمَكِّنَ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَنُرِيَ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا مِنْهُم مَّا كَانُوا يَحْذَرُونَ﴾ هذا مفسر لآية ما هذه الآية؟

ج: هذه الآية هي قوله تعالى: ﴿وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ الْحُسْنَىٰ عَلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ بِمَا صَبَرُوا﴾ [الأعراف: ١٣٧]، فالآية الكريمة التي هي ﴿وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ. .﴾ تفسير لقوله تعالى: ﴿وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ الْحُسْنَىٰ عَلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ. . .﴾.

* * *

س: لماذا كان فرعون يذبح الأبناء ويستحيي النساء؟

ج: ذلك لأمورٍ ذكرها العلماء:

أولها: لكونهم يعبدون غيره.

الثاني: لتخوفه من ذهاب ملكه على أيديهم.

الثالث: العصبية ضد بني إسرائيل، فأراد من ثمَّ إهانتهم واحتقارهم.

قال الحافظ ابن كثير رحمه الله:

«وقوله: ﴿يَسْتَضْعِفُ طَائِفَةً مِّنْهُمْ﴾ يعني: بني إسرائيل، وكانوا في ذلك الوقت خيار أهل زمانهم، هذا، وقد سُلط عليهم هذا الملك الجبار العنيد، يستعملهم في أخس الأعمال، ويَكُدُّهُم ليلاً ونهاراً في أشغاله وأشغال رعيته، ويقتل مع هذا أبناءهم ويستحيي نساءهم؛ إهانة لهم واحتقاراً وخوفًا من أن يوجد منهم الغلام الذي كان قد تخوف هو وأهل مملكته من أن يوجد منهم غلام يكون سبب هلاكه وذهاب دولته على يديه، وكانت القبط قد تلقوا هذا من بني إسرائيل فيما كانوا يدرسونه من قول إبراهيم الخليل، حين ورد الديار المصرية، وجرىٰ له مع جبارها ما جرىٰ، حين أخذ سارة ليتخذها جارية، فصانها الله منه، ومنعه منها بقدرته وسلطانه، فبشر إبراهيم عليه السلام ولده أنه سيولد من صلبه وذريته من يكون هلاك مَلك مصر علىٰ يديه، وكانت القبط تتحدث بهذا عند فرعون، فاحترز فرعون من ذلك، وأمر بقتل ذكر بني إسرائيل، ولن ينفع حذرٌ من قدر؛ لأن أجل الله إذا جاء لا يؤخر، ولكل أجل كتاب» اهـ.

قال القرطبي رحمه الله:

ذلك لأن الكهنة قالوا له: إن مولودًا يولد في بني إسرائيل يذهب ملكُكَ علىٰ يديه، أو قال له المنجمون ذلك، أو رأت رؤيا فعبِّرت كذلك.

* * *

س: من الذين استُضعفوا في الأرض آنذاك؟

ج: هم بنو إسرائيل، ومما يؤيد ذلك قولُهُ تعالىٰ: ﴿وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ

الْحُسْنَىٰ عَلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ بِمَا صَبَرُوا وَدَمَّرْنَا مَا كَانَ يَصْنَعُ فِرْعَوْنُ وَقَوْمُهُ وَمَا كَانُوا يَعْرِشُونَ ﴾ [الأعراف: ١٣٧].

* وقد أخرج الطبري بإسناد حسن عن قتادة قال: ﴿ **وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِي الْأَرْضِ** ﴾ قال: بنو إسرائيل.

* * *

س: ما السبب الذي من أجله جعل الله بني إسرائيل أئمة؟

ج: أولاً: وقبل كل شيء، فالله سبحانه وتعالىٰ يمن علىٰ من يشاء من عباده بما يشاء من نعمه.

* ثم من باب التماس الأسباب التي جعل الله بني إسرائيل أئمة من أجلها فذلك ـ والله أعلم ـ لكونهم ظُلموا وصبروا علىٰ الظلم، وأيقنوا بأن نصر الله قريب وآتٍ.

* قال تعالىٰ: ﴿ **وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ** ﴾ [السجدة: ٢٤].

* * *

س: قوله تعالىٰ: ﴿ **وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ** ﴾ يرثون ماذا؟

ج: ورثوا ملك آل فرعون وديار آل فرعون بعد هلاك الفراعنة وجندهم كما قال الله تبارك وتعالىٰ: ﴿ **وَأَوْرَثْنَا الْقَوْمَ الَّذِينَ كَانُوا يُسْتَضْعَفُونَ مَشَارِقَ الْأَرْضِ وَمَغَارِبَهَا** ﴾ [الأعراف: ١٣٧]، وكما قال تعالىٰ في شأن آل فرعون: ﴿ **كَمْ تَرَكُوا مِن جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ (٢٥) وَزُرُوعٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ (٢٦) وَنَعْمَةٍ كَانُوا فِيهَا فَاكِهِينَ (٢٧) كَذَٰلِكَ وَأَوْرَثْنَاهَا قَوْمًا آخَرِينَ** ﴾ [الدخان: ٢٥ـ٢٨].

س: ما الذي كان يحذره فرعون وهامان وجنودهما؟

ج: كانوا يحذرون زوال ملكهم على يد بعض بني إسرائيل، وصح عن قتادة (١) أنه قال: ﴿**وَنُمَكِّنَ لَهُمْ فِي الأَرْضِ وَنُرِيَ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا مِنْهُم مَّا كَانُوا يَحْذَرُونَ**﴾ شيئًا ما حذر القوم قال: وذُكر لنا أن حازيًا حزا لعدوّ الله فرعون، فقال: يولد في هذا العام غلام من بني إسرائيل يسلبك ملكك، فتتبَّع أبناءهم ذلك العام، يقتل أبناءهم، ويستحيي نساءه حذراً مما قال له الحازي». اهـ.

* * *

(١) الطبري (٢٧١٦٩، ٢٧١٧٠).

وَأَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰٓ أُمِّ مُوسَىٰٓ
أَنۡ أَرۡضِعِيهِۖ فَإِذَا خِفۡتِ عَلَيۡهِ فَأَلۡقِيهِ فِي ٱلۡيَمِّ وَلَا تَخَافِي
وَلَا تَحۡزَنِيٓۖ إِنَّا رَآدُّوهُ إِلَيۡكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ ٱلۡمُرۡسَلِينَ ٧
فَٱلۡتَقَطَهُۥٓ ءَالُ فِرۡعَوۡنَ لِيَكُونَ لَهُمۡ عَدُوّٗا وَحَزَنًاۗ إِنَّ
فِرۡعَوۡنَ وَهَٰمَٰنَ وَجُنُودَهُمَا كَانُواْ خَٰطِـِٔينَ ٨
وَقَالَتِ ٱمۡرَأَتُ فِرۡعَوۡنَ قُرَّتُ عَيۡنٖ لِّي وَلَكَۖ لَا تَقۡتُلُوهُ عَسَىٰٓ
أَن يَنفَعَنَآ أَوۡ نَتَّخِذَهُۥ وَلَدٗا وَهُمۡ لَا يَشۡعُرُونَ ٩ وَأَصۡبَحَ
فُؤَادُ أُمِّ مُوسَىٰ فَٰرِغًاۖ إِن كَادَتۡ لَتُبۡدِي بِهِۦ لَوۡلَآ أَن
رَّبَطۡنَا عَلَىٰ قَلۡبِهَا لِتَكُونَ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ١٠ وَقَالَتۡ
لِأُخۡتِهِۦ قُصِّيهِۖ فَبَصُرَتۡ بِهِۦ عَن جُنُبٖ وَهُمۡ لَا يَشۡعُرُونَ
١١ ۞ وَحَرَّمۡنَا عَلَيۡهِ ٱلۡمَرَاضِعَ مِن قَبۡلُ فَقَالَتۡ هَلۡ أَدُلُّكُمۡ
عَلَىٰٓ أَهۡلِ بَيۡتٖ يَكۡفُلُونَهُۥ لَكُمۡ وَهُمۡ لَهُۥ نَٰصِحُونَ ١٢
فَرَدَدۡنَٰهُ إِلَىٰٓ أُمِّهِۦ كَيۡ تَقَرَّ عَيۡنُهَا وَلَا تَحۡزَنَ وَلِتَعۡلَمَ
أَنَّ وَعۡدَ ٱللَّهِ حَقّٞ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَهُمۡ لَا يَعۡلَمُونَ ١٣

س: اذكر معنى ما يلي:

(اليمّ - خاطئين - قُرة عين - فارغًا - لتبدي به - ربطنا على قلبها - قُصِّيه - فبصرت به - عن جُنُبٍ - حرمنا عليه المراضع - يكفلونه - ناصحون).

ج:

الكلمة	معناها
اليم	المراد به هنا النيل[1] (نهر النيل).
خاطئين	آثمين - عاصين - بعيدين عن الصواب.
قرة عين	تستقر به أعيينا فلا ننظر إلى غيره، وتطمئن به نفوسنا.
فارغًا	فارغًا من كل شيء (إلا من ذكر موسى عليه السلام) فلا تفكر في شيء في الدنيا إلا في ولدها.
لتبدي به	لتظهر أمره - تقول إنه ولدي - تقول يا ابناه (وذلك من شدة حزنها وخوفها عليه).
ربطنا على قلبها	ألهمناها الصبر - قوينا قلبها وقذفنا فيه الصبر والإيمان.
قُصِّيه	اتبعي أثره، وانظري ما يُفعل به، (ومنه قوله تعالى: ﴿فارتدا على آثارهما قَصَصا﴾.

(١) كذا عند أكثر المفسرين، وقد نقل السمعاني إجماع المفسرين على ذلك.

فبصرت به عن جُنب	أبصرته. عن بُعد وإعراض، تنظر إليه مستخفيةً وكأنها لا تريده.
حرمنا عليه المراضع	منعناه من[1] الارتضاع من ثدي النساء، والمراضع هنَّ النسوة اللواتي يُرضعنَ، وقيل: المراد موضع الرضاع وهو الثدي، والتحريم هنا معناه المنع.
يكفلونه لكم	يرضعونه ويقومون على رعايته - يحفظونه لكم - يضمونه إليهم ويربونه.
ناصحون	مشفقون، لا يقصرون في إرضاعه.

س: ما المراد بالوحي في قوله تعالى: ﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ أُمِّ مُوسَىٰ أَنْ أَرْضِعِيهِ﴾؟

ج: المراد بالوحي: القذف في القلب، والمراد الإلهام أيضًا.

*قال قتادة رحمه الله: ﴿أَوْحَيْنَا إِلَىٰ أُمِّ مُوسَىٰ﴾ وحيًا جاءها من الله فقذف في قلبه - وليس بوحي نبوة - أن أرضعي موسىٰ.

*ونقل القرطبي أقوالاً أُخر، منها أن هذا كان قولاً لها في منامها (أي رؤيا منامية).

ومنها: أن ملكًا تمثل لها فأخبرها بذلك، ولكنه (أي: القرطبي) قال: وأجمع الكلُّ علىٰ أنها لم تكن نبيّة، وإنما إرسال الملك إليها علىٰ نحو تكليم الملك للأقرع والأبرص والأعمىٰ في الحديث المشهور خرَّجَهُ البخاريُّ ومسلمٌ، وغير ذلك من تكليم الملائكة للناس من غير نبوة، وقد سلَّمت الملائكة علىٰ عمران بن حصين فلم يكن بذلك نبيًا.

* * *

س: جمع قوله تعالى: ﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ أُمِّ مُوسَىٰ أَنْ أَرْضِعِيهِ فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِي الْيَمِّ وَلَا تَخَافِي وَلَا تَحْزَنِي إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ﴾ بين أمرين ونهيين وخبرين وبشارتين، وضح ذلك.

ج: أما الأمران: ففي قوله تعالىٰ: ﴿أَرْضِعِيهِ﴾، وقوله: ﴿فَأَلْقِيهِ﴾.

وأما النهيان: ففي قوله: ﴿وَلَا تَخَافِي وَلَا تَحْزَنِي﴾.

وأما الخبران والبشارتان: ففي قوله: ﴿إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ﴾.

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿وَلَا تَخَافِي وَلَا تَحْزَنِي﴾.

ج: المعنى - والله أعلم - لا تخافي على ولدك، ولا تحزني على فراقه.

قال الطبري رحمه الله:

* وقوله: ﴿**وَلَا تَخَافِي وَلَا تَحْزَنِي**﴾: لا تخافي على ولدك من فرعون وجنده أن يقتلوه، ولا تحزني لفراقه.

* وأورد بإسناد صحيح عن ابن زيد قال: لا تخافي عليه البحر ولا تحزني لفراقه.

* * *

س: هل التقط آلُ فرعون موسى عليه السلام وهم يريدون أن يكون لهم عدواً وحزناً؟

ج: لم يلتقطوه وفي نياتهم ذلك، ولكنهم التقطوه فكانت العاقبة (عاقبة الالتقاط) أنه كان لهم عدواً وحزناً، فاللام هنا مِن العلماء من يسميها لام العاقبة، كما يقال لشخصٍ فعل شيئاً يظن أنه ينفع نفسه بهذا الفعل، يُقال له: ما فعلتَ ذلك إلا لضر نفسك.

أو «لام» الصيرورة، ومنه قول الشاعر:

أموالُنَا لذَوِي الميراث نجمعها   ودُورُنا لخرابِ الدهرِ نبْنيها

وانظر السؤال الآتي وجوابه.

* * *

س: اللام في قوله تعالى: ﴿ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَزَنًا ﴾ لام ماذا؟

ج: **من أهل العلم من قال:** إن اللام هنا لام العاقبة، فيكون المعنى: فالتقطه آلُ فرعون فكان عاقبة التقاطهم له أنه كان عدواً لهم وحزنًا.

قال القرطبي رحمه الله:

قوله تعالى: ﴿ **فَالْتَقَطَهُ آلُ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَزَنًا** ﴾ لما كان التقطاهم إياه يؤدي إلى كونه لهم عدواً وحزنًا، فاللام في «ليكون» لام العاقبة ولام الصيرورة، لأنهم إنما أخذوه ليكون لهم قرَّة عين، فكان عاقبة ذلك أن كان لهم عدواً وحزنًا، فذكر الحال بالمآل، كما قال الشاعر:

وللمنايا تُرَبِّي كلُّ مُرْضِعَةٍ ... ودُورُنَا لِخَرابِ الدهر نبْنِيها

وقال آخر:

فللموت تَغْذُو الوالداتُ سِخَالَهَا ... كما لخراب الدهر تُبْنَى المساكنُ

أي: فعاقبة البناء الخراب وإن كان في الحال مفروحًا به.

وقال الحافظ ابن كثير رحمه الله:

قال محمد بن إسحاق وغيره: «اللام - هنا - لام العاقبة، لا لام التعليل؛ لأنهم لم يريدوا بالتقاطه ذلك». ولا شك أن ظاهر اللفظ يقتضي ما قالوه، ولكن إذا نُظر إلى معنى السياق فإنه تبقى اللام للتعليل؛ لأن معناه أن الله تعالى قيضهم لا لتقاطه ليجعله لهم عدواً وحزنًا. فيكون أبلغ في إبطال حذرهم منه، ولهذا قال: ﴿ **إِنَّ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا كَانُوا خَاطِئِينَ** ﴾ [القصص:٨]. هذا، وقد اختار الشنقيطي رحمه الله أن اللام للتعليل وانتصر لذلك بقوة.

س: ما وجه العداوة والحزن في قوله: ﴿لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَزَنًا﴾؟

ج: وجه ذلك ـ والله أعلم ـ أنه كان عدواً لهم في دينهم وحزنًا عليهم لما لحقهم بعد ذلك من المكروه على يديه بعد إعراضهم عن الاستجابة له.

* * *

س: وضح المراد بالخطيئة في قوله تعالى: ﴿إِنَّ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا كَانُوا خَاطِئِينَ﴾؟

ج: المراد بـ«الخطيئة» هنا ـ والله أعلم ـ: الشرك والذنب العظيم؛ أي: كانوا خاطئين فيما هم عليه من الكفر والظلم.

قال الشنقيطي رحمه الله تعالى «أضواء البيان»:

وقوله تعالى في هذه الآية الكريمة: ﴿**إِنَّ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا كَانُوا خَاطِئِينَ**﴾ أي: مرتكبين الخطيئة التي هي الذنب العظيم كقوله تعالى: ﴿**مِّمَّا خَطِيئَاتِهِمْ أُغْرِقُوا فَأُدْخِلُوا نَارًا**﴾ [نوح: ٢٥]، وقوله تعالى: ﴿**بَلَىٰ مَن كَسَبَ سَيِّئَةً وَأَحَاطَتْ بِهِ خَطِيئَتُهُ**﴾ [البقرة: ٨١].

قال: ومن إطلاق الخاطئ على المذنب العاصي قوله تعالى: ﴿**وَلَا طَعَامٌ إِلَّا مِنْ غِسْلِينٍ (٣٦) لَا يَأْكُلُهُ إِلَّا الْخَاطِئُونَ**﴾ [الحاقة: ٣٦، ٣٧]، وقوله تعالى: ﴿**نَاصِيَةٍ كَاذِبَةٍ خَاطِئَةٍ**﴾ [العلق: ١٦]، أو قوله: ﴿**إِنَّكِ كُنتِ مِنَ الْخَاطِئِينَ**﴾ [يوسف: ٢٩]، والعلم عند الله تعالى.

* * *

س: في قول امرأة فرعون: ﴿قُرَّتُ عَيْنٍ لِّي وَلَكَ﴾ مقدرٌ، ما هو؟

ج: هذا المقدر هو: ﴿**هذا**﴾، فالمعنى: هذا قرة عين لي ولك، وتعني

بذلك موسىٰ عليه السلام.

* * *

س: قوله تعالى: ﴿وَهُمْ لا يَشْعُرُونَ﴾ لا يشعرون بماذا؟

ج: لأهل العلم في ذلك أقوال:

أحدها: لا يشعرون أن هلاكهم على يديه(١).

الثاني: لا يشعرون أنه عدو لهم من بني إسرائيل.

الثالث: لا يشعرون بما هو كائن من أمره.

الرابع: لا يشعرون أنهم على خطأ - بالنسبة لهم - في التقاطه.

* * *

س: قوله تعالى: ﴿وَأَصْبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَىٰ فَارِغًا﴾ فارغًا من ماذا؟

ج: قول أكثر أهل العلم في هذا المقام على أنه أصبح فارغًا من كل شيء إلا من ذكر موسىٰ عليه السلام؛ أي: أنها لم تعد تفكر في شيءٍ من أمر الدنيا إلا في ولدها موسىٰ عليه السلام وقد ورد ذلك عن قتادة من وجوه؛ قال قتادة: أي: لاغيًا من كل شيء إلا من ذِكر موسىٰ.

* ومن العلماء من قال: أصبح فارغًا من الوحي الذي أوحاه الله إليها بقوله: ﴿**إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ**﴾ [القصص: ٧].

* صح عن ابن زيد في قوله تعالىٰ: ﴿**وَأَصْبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَىٰ فَارِغًا**﴾ [القصص: ١٠] قال: فارغًا من الوحي الذي أوحىٰ الله إليها حين أمرها أن تلقيه

---

(١) وصح نحو هذا عن قتادة عند الطبري.

في البحر، ولا تخاف ولا تحزن، قال: فجاءها الشيطان، فقال: يا أم موسى، كرهتِ أن يقتل فرعون موسى، فيكون لك أجره وثوابه وتولَّيت قتله، فألقيتِه في البحر وغرَّقتِه، فقال الله: ﴿وَأَصْبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَىٰ فَارِغًا﴾ من الوحي الذي أوحاه إليها.

* * *

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿إِن كَادَتْ لَتُبْدِي بِهِ﴾.

ج: أما معنى ﴿تُبدي﴾ فهو تُظهر، ومنه قوله تعالى: ﴿وَتُخْفِي فِي نَفْسِكَ مَا اللَّهُ مُبْدِيهِ﴾ [الأحزاب:٣٧]، وقوله: ﴿وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا تَكْتُمُونَ﴾ [المائدة:٩٩].

* أما المعنى فهو ـ والله أعلم ـ: وأوشكت أم موسى أن تقول إن هذا ولدي، أو شكت أن تقول: يا ابناه؛ أوشكت أن تخبر الناس بخبرها وخبر ما صنعت بولدها وما صُنع به.

* وصح عن ابن عباس[١] أنه قال: ﴿إِن كَادَتْ لَتُبْدِي بِهِ﴾: أن تقول: يا ابناه.

* وبإسناد حسنٍ عن قتادة[٢] أنه قال: أي: لتبدي به أنه ابنها من شدة وجدها.

* * *

(١) الطبري (٢٧٢٠٨، ٢٧٢٠٩).
(٢) الطبري (٢٧٢١١).

س:وضح المراد بقوله تعالى: ﴿لَوْلا أَن رَّبَطْنَا عَلَىٰ قَلْبِهَا لِتَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾.

ج: المعنىٰ ـ والله أعلم ـ لولا أن ثبتناها ووفقناها وقوينا قلبها وقذفنا فيه الصبر والإيمان لتكون من المصدقين بوعد الله، الموقنين به.

* * *

س: قوله تعالى: ﴿فَبَصُرَتْ بِهِ عَن جُنُبٍ وَهُمْ لا يَشْعُرُونَ﴾ لا يشعرون بماذا؟

ج: لا يشعرون أنها تنظر إليه، لا يشعرون أنها أخته.

* * *

س:وضح معنى قوله تعالى: ﴿وَحَرَّمْنَا عَلَيْهِ الْمَرَاضِعَ مِن قَبْلُ﴾.

ج: المعنىٰ ـ والله أعلم ـ: معناه من الارتضاع من المرضعات التي أتوه بها.

* وصح عن ابن عباس[١] أنه قال: كان لا يؤتىٰ بمرضعٍ فيقبلها.

* وبإسناد حسنٍ عن قتادة[٢] قال: جعل لا يؤتىٰ بامرأةٍ إلا لم يأخذ ثديها.

* أما قوله: ﴿مِن قَبْلُ﴾ أي: من قبل أن نرده إلىٰ أمه، ومن قبل أن تقول لأخته قُصِّيه.

* * *

(١) الطبري (٢٧٢٣٤).
(٢) الطبري (٢٧٢٣٦).

س: ما الوعد المشار إليه بقوله تعالى: ﴿ وَلِتَعْلَمَ أَنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ ﴾؟

ج: هو قوله تعالى: ﴿ إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ ﴾.

* * *

س: قوله تعالى: ﴿ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لا يَعْلَمُونَ ﴾؛ لا يعلمون ماذا؟

ج: لا يصدقون بأن وعد الله حق ولا يعلمون ذلك.

* * *

س: اذكر طرفًا من فضل الله على أم موسى؟

ج: من ذلك ما يلي:

* وحْيُ الله إليها أن أرضعيه فإذا خفت عليه فألقيه في اليم ولا تخافي ولا تحزني إنا رادوه إليك وجاعلوه من المرسلين.

* رجوع ولدها إليها يتربى في بيتها وهي عليه آمنة مطمئنة، بل وتتقاضى أجراً على ذلك أيضًا، وتُغدق عليها الهدايا والمنح من أجل ذلك.

* ومن ذلك أن الله قذف محبة موسى في قلب كل من رآه كما قال تعالى: ﴿ وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِّنِّي ﴾ [طه: ٣٩].

* ومن ذلك أن الله ألهمها الصبر وربط على قلبها.

* * *

وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُۥ وَٱسْتَوَىٰٓ ءَاتَيْنَٰهُ حُكْمًا وَعِلْمًا ۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى
ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٤﴾ وَدَخَلَ ٱلْمَدِينَةَ عَلَىٰ حِينِ غَفْلَةٍ مِّنْ أَهْلِهَا
فَوَجَدَ فِيهَا رَجُلَيْنِ يَقْتَتِلَانِ هَٰذَا مِن شِيعَتِهِۦ وَهَٰذَا مِنْ عَدُوِّهِۦ ۖ
فَٱسْتَغَٰثَهُ ٱلَّذِى مِن شِيعَتِهِۦ عَلَى ٱلَّذِى مِنْ عَدُوِّهِۦ فَوَكَزَهُۥ مُوسَىٰ
فَقَضَىٰ عَلَيْهِ ۖ قَالَ هَٰذَا مِنْ عَمَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ ۖ إِنَّهُۥ عَدُوٌّ مُّضِلٌّ مُّبِينٌ
﴿١٥﴾ قَالَ رَبِّ إِنِّى ظَلَمْتُ نَفْسِى فَٱغْفِرْ لِى فَغَفَرَ لَهُۥٓ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ
ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٦﴾ قَالَ رَبِّ بِمَآ أَنْعَمْتَ عَلَىَّ فَلَنْ أَكُونَ
ظَهِيرًا لِّلْمُجْرِمِينَ ﴿١٧﴾ فَأَصْبَحَ فِى ٱلْمَدِينَةِ خَآئِفًا يَتَرَقَّبُ فَإِذَا
ٱلَّذِى ٱسْتَنصَرَهُۥ بِٱلْأَمْسِ يَسْتَصْرِخُهُۥ ۚ قَالَ لَهُۥ مُوسَىٰٓ إِنَّكَ لَغَوِىٌّ
مُّبِينٌ ﴿١٨﴾ فَلَمَّآ أَنْ أَرَادَ أَن يَبْطِشَ بِٱلَّذِى هُوَ عَدُوٌّ لَّهُمَا قَالَ
يَٰمُوسَىٰٓ أَتُرِيدُ أَن تَقْتُلَنِى كَمَا قَتَلْتَ نَفْسًۢا بِٱلْأَمْسِ ۖ إِن تُرِيدُ إِلَّآ
أَن تَكُونَ جَبَّارًا فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا تُرِيدُ أَن تَكُونَ مِنَ ٱلْمُصْلِحِينَ ﴿١٩﴾

س: اذكر معنى ما يلي:

(بلغ أشده واستوى - حُكمًا - شيعته - فاستغاثه - فوكزه - فقضى عليه - بما أنعمت عليّ - ظهيرًا للمجرمين - يترقب - استنصره - يستصرخه - غويٌّ مبين - جبَّارًا).

ج:

الكلمة	معناها
بلغ أشده واستوى	بلغ أشَدَّ قوته وتمام عقله.
حُكمًا	إصابة في الأمور.
شيعته	جماعته وأقاربه، الذي هم على دينه؛ وهم بنو إسرائيل. وشيعة الرجل عمومًا هم الذين يشايعونه ويعاونونه على ما هو عليه.
فاستغاثه	فطلب إغاثته؛ (طلب منه أن يغيثه).
فوكزه	ضربه بجمع كفه.
فقضى عليه	فقتله.
بما أنعمت عليَّ	بإنعامك عليَّ.
ظهيرًا للمجرمين	معينًا للمجرمين؛ (على إجرامهم).

يترقب	ينتظر الطلب أن يدركه - يتحسس الأخبار - ينظر نتائج الأمور .
استنصره	طلب نصرته ومساعدته .
يستصرخه	يستغيث به ، وأصله من الصُّراخ ، فالمستصرخ يصرخ كي يأتيَه الناس .
غويٌّ مبين	خائب - ذو غواية ، موقعٌ في الغواية ؛ لأنه أوقع موسىٰ عليه السلام في قتل النفس التي لم يؤمر بقتلها (فهي بمعنىٰ مغوي) . وقيل : خائب ؛ لقتاله من لا يطيق قتاله . وقيل : بمعنىٰ غاوٍ في قتالك من لا تطيق دفع شره .
جبارًا	قتَّالاً . وقيل : الجبار الذي لا يتواضع لأمر اللَّه عزَّ وجلَّ .

س:ما السن التي عندها يكون بلوغ الأشد؟

ج: لأهل العلم في ذلك أقوال؛ منها: أنها أربعون سنة، ومنها: أن ذلك عند بلوغ ثلاث وثلاثين.

* * *

س:ما فائدة ختام الآية الكريمة بقوله تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ﴾؟

ج: فائدة ذلك تعميم الجزاء، فكل محسن يجازيه الله سبحانه وتعالى أحسن الجزاء:

* كما قال تعالى: ﴿**كَذَلِكَ نَجْزِي مَن شَكَرَ**﴾ [القمر: ٣٥] وذلك بعد ذكر نبي الله نوح ﷺ.

* وكما قال تعالى: ﴿**وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ**﴾ [آل عمران: ١٤٤].

* وكما قال تعالى بعد ذكر امتنانه على عبده أيوب عليه السلام: ﴿**وَذِكْرَى لِلْعَابِدِينَ**﴾ [الأنبياء: ٨٤] أي: يتذكرها العباد فيعملوا كعمله فيثابوا كما أثيب عليه السلام.

وقد قدمنا مزيداً لذلك في سورة يوسف عليه السلام.

* * *

س:لماذا دخل موسى المدينة على حين غفلةٍ من أهلها؟ ومتى كانت هذه الغفلة؟

ج: من أهل العلم من قال: لم يتعمد موسى ذلك، وإنما وافق دخولُه غفلةً من أهلها، أما الغفلة فهي منتصف النهار.

وأورد الطبري جملة أقوال في ذلك؛ فقال:

واختلف أهل العلم في السبب الذي من أجله دخل موسىٰ هذه المدينة في هذا الوقت، فقال بعضهم: دخلها متبعًا أثر فرعون، لأن فرعون ركب وموسىٰ غير شاهد، فلما حضر علم بركوبه فركب واتبع أثره، وأدركه المقيل في هذه المدينة. وذكر القائلين بذلك.

* **وقال آخرون:** بل دخلها مستخفيًا من فرعون وقومه؛ لأنه كان قد خالفهم في دينهم وعاب ما كانوا عليه.

* **وقال آخرون:** بل كان فرعون قد أمر بإخراجه من مدينته حين علاه بالعصا، فلم يدخلها إلا بعد أن كبر وبلغ أشدَّه.

* **قالوا:** ومعنىٰ الكلام: ودخل المدينة علىٰ حين غفلة من أهلها لذكر موسىٰ أي من بعد نسيانهم خبره وأمر، والله تعالىٰ أعلم.

* * *

س:مَن المعْنيّ بقوله: ﴿مِن شِيعَتِهِ﴾ و﴿مِنْ عَدُوِّهِ﴾؟

ج: المعنيُّ بالذي من شيعته: هو الإسرائيلي الذي هو من أهل دين موسىٰ.

أما الذي من عدوه: فهو من القبط من آل فرعون.

* * *

س:وضح المراد بقول موسى عليه السلام: ﴿رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي﴾؟

ج: يعني نبي الله موسىٰ عليه السلام، أنه ظلم نفسه بقتل نفسٍ لم يؤمر

بقتلها، ولذلك فإنه يقول يوم القيامة إذا أتاه الناسُ فقالوا له: يا موسىٰ أنت رسول الله؛ فضلك الله برسالاته، وبتكليمه على الناس، اشفع لنا إلىٰ ربك ألا ترىٰ إلىٰ ما نحن فيه؟ ألا ترىٰ إلىٰ ما قد بلغنا؟ فيقول لهم موسىٰ ﷺ: **«إن ربي قد غضب اليوم غضبًا لم يغضب قبله مثله، ولن يغضب بعده مثله، وإني قتلت نفسًا لم أومر بقتلها. نفْسِي نفْسِي...»**[(1)].

* * *

س: كثير من أهل العلم رحمهم الله يقولون بعصمة الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، فكيف وجهوا صنيع موسى عليه السلام إذ قتل نفسًا لم يؤمر بقتلها؟

ج: لأهل العلم على ذلك أجوبة:

أحدها: أنه فعل ذلك قبل النبوة.

الثاني: أن هذا لم يصدر منه عن عمد؛ فالوَكْزَة في الغالب لا تفضي إلىٰ القتل.

الثالث: أن هذا كان من باب دفع العدو الصائل.

* * *

س: قوله: ﴿رَبِّ بِمَا أَنْعَمْتَ عَلَيَّ﴾ أنعمت عليَّ بماذا؟

ج: الإنعام هنا عام، ويدخل فيه الإنعام عليه بالحكم والعلم والإيمان، وبلوغ القوة والأشد، ومغفرة الذنوب أيضًا وعدم العقوبة عليه، والله أعلم.

---

(١) أخرجه البخاري (حديث ٤٧١٢)، ومسلم (حديث ١٩٤) من حديث أبي هريرة رضي اللَّه عنه... عن النبي ﷺ.

س: وضح المراد بقوله: ﴿رَبِّ بِمَا أَنْعَمْتَ عَلَيَّ فَلَنْ أَكُونَ ظَهِيرًا لِّلْمُجْرِمِينَ﴾؟

ج: المراد - والله أعلم - يا رب لإحسانك إليَّ ونعمك التي أنعمت بها عليَّ فلن أعاون المجرمين على إجرامهم؛ أي: فلن أقابل الإحسان بالإساءة، ولن أتعاون مع الظلمة وأهل الشر والفساد، هذا هو المعنى الذي أرتضيه في هذا المقام.

وقد أورد القرطبي رحمه الله جملة أقوال في ذلك فقال:

قال الزمخشري: قوله تعالى: ﴿بِمَا أَنْعَمْتَ عَلَيَّ﴾ يجوز أن يكون قسمًا جوابه محذوف تقديره: أقسم بإنعامك عليّ بالمغفرة لأتوبنّ ﴿فَلَنْ أَكُونَ ظَهِيرًا لِّلْمُجْرِمِينَ﴾ وأن يكون استعطافًا كأنه قال: رب اعصمني بحق ما أنعمت عليّ من المغفرة فلن أكون - إن عصمتني - ظهيراً للمجرمين.

وأراد بمظاهرة المجرمين إما صحبة فرعون وانتظامه في جملته، وتكثير سواده، حيث كان يركب بركوبه كالولد مع الوالد، وكان يسمى ابن فرعون، وإما بمظاهرة من أدّت مظاهرته إلى الجرم والإثم، كمظاهرة الإسرائيلي، المؤدّية إلى القتل الذي لم يحلّ له قتله. وقيل: أراد إني - وإن أسأت في هذا القتل الذي لم أومر به، فلا أترك نصرة المسلمين على المجرمين، فعلى هذا كان الإسرائيلي مؤمنًا ونصرة المؤمن واجبة في جميع الشرائع.

وقيل في بعض الروايات: إن ذلك الإسرائيلي كان كافراً، وإنما قيل له إنه من شعيته لأنه كان إسرائيليًا ولم يرد الموافقة في الدين. فعلى هذا ندم لأنه أعان كافراً على كافر، فقال: لا أكون بعدها ظهيراً للكافرين.

وقيل: ليس هذا خبراً بل هو دعاء؛ أي: فلا أكون بعد هذا ظهيراً؛ أي: فلا تجعلني يا رب ظهيراً للمجرمين، وقال الفراء: المعنى: اللهم فلن أكون ظهيراً للمجرمين، وزعم أن قوله هذا هو قول ابن عباس.

قال النحاس: وأن يكون بمعنى الخبر أولى وأشبه بنسق الكلام، كما يقال: لا أعصيك لأنك أنعمت عليّ، وهذا قول ابن عباس على الحقيقة لا ما حكاه الفراء؛ لأن ابن عباس قال: لم يستثن فابتلي من ثاني يوم؛ والاستثناء لا يكون في الدعاء، لا يقال: اللم اغفر لي إن شئت، وأعجب الأشياء أن الفراء روى عن ابن عباس هذا ثم حكى عنه قوله». اهـ.

* * *

س: اذكر بعض الأدلة التي تنهى عن مظاهرة أهل الإجرام والظلم ومعاونتهم؟

ج: من ذلك ما يلي:

* قوله تعالى: ﴿وَلا تَرْكَنُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا فَتَمَسَّكُمُ النَّارُ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ اللَّهِ مِنْ أَوْلِيَاءَ ثُمَّ لا تُنصَرُونَ﴾ [هود: ١١٣].

* قوله تعالى: ﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ وَلا تَعَاوَنُوا عَلَى الإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ﴾ [المائدة: ٢].

* وقوله تعالى: ﴿وَلا تُجَادِلْ عَنِ الَّذِينَ يَخْتَانُونَ أَنفُسَهُمْ إِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ مَن كَانَ خَوَّانًا أَثِيمًا﴾ [النساء: ١٠٧].

* وقوله تعالى: ﴿وَلا تَكُن لِّلْخَائِنِينَ خَصِيمًا﴾ [النساء: ١٠٥].

* وقوله تعالى: ﴿فَلا تَكُونَنَّ ظَهِيرًا لِّلْكَافِرِينَ﴾ [القصص: ٨٦].

* وقوله تعالىٰ: ﴿ وَإِذَا رَأَيْتَ الَّذِينَ يَخُوضُونَ فِي آيَاتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ وَإِمَّا يُنسِيَنَّكَ الشَّيْطَانُ فَلا تَقْعُدْ بَعْدَ الذِّكْرَىٰ مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴾ [الأنعام: ٦٨].

* وقوله تعالىٰ: ﴿ وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ آيَاتِ اللَّهِ يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلا تَقْعُدُوا مَعَهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ إِنَّكُمْ إِذًا مِّثْلُهُمْ إِنَّ اللَّهَ جَامِعُ الْمُنَافِقِينَ وَالْكَافِرِينَ فِي جَهَنَّمَ جَمِيعًا ﴾ [النساء: ١٤٠].

* وقال النبي ﷺ: «انصر أخاك ظالمًا أو مظلومًا»(١)، قيل: يا رسول الله كيف أنصره ظالمًا؟ قال: «تمنعه من الظلم».

* * *

س: من أهل العلم من ذكر أن موسى عليه السلام نسي أمرًا كان ينبغي أن يفعله؛ عندما قال: ﴿ رَبِّ بِمَا أَنْعَمْتَ عَلَيَّ فَلَنْ أَكُونَ ظَهِيرًا لِّلْمُجْرِمِينَ ﴾ ما هذا الأمر؟

ج: قال السمعاني في تفسره:

«وفي بعض التفاسير أن قوله: ﴿ فَلَنْ أَكُونَ ظَهِيرًا لِّلْمُجْرِمِينَ ﴾ كانت زلة من موسىٰ عليه السلام حين لم يقرن به مشيئة الله أو الاستغاثة من الله، وقلما يقول الإنسان هذا القول، ويطلق هذا الإطلاق إلا ابتلي، فابتلي موسىٰ في اليوم الثاني بما ذكره الله تعالىٰ: ﴿ فَأَصْبَحَ فِي الْمَدِينَةِ خَائِفًا يَتَرَقَّبُ... ﴾ الآية [القصص: ١٨]. اهـ.

قلت (مصطفى): مما يدل علىٰ أن موسىٰ عليه السلام كان ذاكرًا لربِّه في هذا المقام قوله: ﴿ رَبِّ بِمَا أَنْعَمْتَ عَلَيَّ ﴾، ولكن لعل الذي صدر قد صدر

(١) البخاري (حديث ٢٤٤٤)، ومسلم (٢٥٨٤).

ليعلمنا ربنا أن الشخص لا ييأس من رحمة الله وعفوه سبحانه.

* * *

س: من القائل: ﴿يَا مُوسَىٰ أَتُرِيدُ أَن تَقْتُلَنِي كَمَا قَتَلْتَ نَفْسًا بِالْأَمْسِ﴾؟

ج: قائل ذلك هو الإسرائيلي؛ توقع - لما أراد موسىٰ أن يبطش بالذي هو عدوٌّ لهما - توقع أن موسىٰ يريد قتله، ولم يكن موسىٰ يريد ذلك، فقال: ﴿يَا مُوسَىٰ أَتُرِيدُ أَن تَقْتُلَنِي كَمَا قَتَلْتَ نَفْسًا بِالْأَمْسِ﴾؟!

وهذا قول جمهور المفسرين، ولم يحك الطبريُّ قولاً سواهُ.

وقال ابن الجوزي في «زاد المسير»:

«هذا قول الإسرائيلي من غير خلافٍ علمناه بين المفسرين». اهـ.

* وتقلَّده الحافظ ابن كثير أيضًا فقال: ثم عزم (أي: موسىٰ) علىٰ البطش بذلك القبطي فاعتقد الإسرائيلي - لخوره وضعفه وذلته - أن موسىٰ إنما يريد قصده لما سمعه يقول ذلك، فقال يدفع عن نفسه: ﴿يَا مُوسَىٰ أَتُرِيدُ أَن تَقْتُلَنِي كَمَا قَتَلْتَ نَفْسًا بِالْأَمْسِ﴾؟ وذلك لأنه لم يعلم به إلا هو وموسىٰ عليه السلام، فلما سمعها ذلك القبطي لقَفها من فمه، ثم ذهب بها إلىٰ باب فرعون فألقاها عندهم، فعلم بذلك، فاشتد حنقه، وعزم علىٰ قتل موسىٰ فطلبوه، وبعثوا وراءه ليحضروه لذلك.

* وثمَّ قول آخر أن القائل هو القبطي الذي كان يقاتل الإسرائيلي لكن القائلون به قلةٌ، والله أعلم.

* * *

س: حتى أهل الفضل والصلاح قد تصدر منهم الذنوب، بل وقد تتكرر، ولكنهم لا ييأسون من رحمة الله، دلِّلْ على ذلك ووضحه.

ج: نعم، قد تصدر من أهل الصلاح ذنوبٌ وقد تتكرر ولكنهم لا يقنطون من رحمة الله عز وجل، وقد قال سبحانه وتعالىٰ: ﴿ **وَمَن يَقْنَطُ مِن رَّحْمَةِ رَبِّهِ إِلاَّ الضَّالُّونَ** ﴾ [الحجر: ٥٦]، وقال سبحانه: ﴿ **إِنَّهُ لا يَيْأَسُ مِن رَّوْحِ اللَّهِ إِلاَّ الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ** ﴾ [يوسف: ٨٧].

*وقد ذهب فريق من أهل العلم إلىٰ أن المراد بقوله سبحانه وتعالىٰ: ﴿ **وَلا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ** ﴾ [البقرة: ١٩٥] أن العبد يُذنب ثم يظن أن ذنبه لا يغفر فيترك الاستغفار ويترك الرجوع إلىٰ الله، فمن ثَمَّ يقع في الهلكة(١)، والعياذ بالله.

*وفي «الصحيح» عن النبي ﷺ(٢) فيما يحكي عن ربِّه عز وجل قال: «**أَذْنَبَ عَبْدٌ ذَنْبًا، فَقَالَ: اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي ذَنْبِي، فَقَالَ اللهُ تبارك وتَعَالَى: أَذْنَبَ**

---

(١) أخرج الطبري (٣١٦٧) بإسناد صحيح عن البراء بن عازب في قوله تعالىٰ: ﴿ولا تُلقوا بأيديكم إلىٰ التهلكة﴾ [البقرة: ١٩٥] قال: هو الرجل يصيب الذنوب فيلقي بيده إلىٰ التهلكة يقول: لا توبة لي.

وفي رواية (٣١٦٩): «هو الرجل يذنب فيقول: لا يغفر اللَّه له». وأخرج الطبري نحوه عن عبيدة أيضًا، فأخرج بإسناد صحيح (٣١٧٤) عن ابن سيرين قال: سألت عبيدة السلماني عن ذلك فقال: هو الرجل يُذنب الذنب فيستسلم ويُلقي بيده إلىٰ التهلكة ويقول: لا توبة له - يعني قوله: ﴿ولا تلقوا بأيديكم إلىٰ التهلكة﴾ [البقرة: ١٩٥].

وقال الطبري - بعد أن أورد جملة أقوال في تفسير الآية الكريمة -: وكذلك الآيس من رحمة اللَّه لذنب سلف منه مُلق بيديه إلىٰ التهلكة لأن اللَّه قد نهىٰ عن ذلك فقال: ﴿ولا تيأسوا من روح اللَّه إنه لا ييأس من روح اللَّه إلا القومُ الكافرون﴾ [يوسف: ٨٧].

(٢) أخرجه البخاري (٧٥٠٧)، ومسلم (٢٧٥٨) من حديث أبي هريرة رضي اللَّه عنه، عن =

عَبْدي ذَنْبًا، فَعَلِمَ أنَّ لَهُ ربًا يَغْفِـرُ الذَّنْبَ ويأخُذُ بالذَّنْب، ثُمَّ عادَ فأذْنَبَ، فَقَالَ: أيْ: ربِّ اغْفِرْ لي ذَنْبي، فقَالَ ـ تبارَكَ وتَعالَى ـ: عَبْدي أذْنَبَ ذَنْبًا، فعلِمَ أنَّ لَهُ ربًّـا يَغْفِـرُ الذَّنْبَ ويأخُذُ بالذَّنْب، ثُمَّ عادَ فـأذْنَبَ فَقَالَ: أيْ: رَبِّ! اغْـفِرْ لي ذَنْبي. فقَالَ ـ تبارَكَ وتعالَى : أذْنَـبَ عَبْدي ذَنْبًا، فَعلِمَ أنَّ لَهُ ربًّـا يَغْفِـرُ الذَّنْبَ ويأخُذُ بالذَّنْبِ، اعْمَلْ مَا شِئْتَ فَقَدْ غَفَرْتُ لَكَ».

* وها هو رجل يُكثر من شـرب الخمـر فيـؤْتىٰ به إلىٰ رسـول الله ﷺ، فأخرج البخاري (١) من حديث عمر رضي الله عنه أن رجلاً كان علىٰ عهد النبي ﷺ كان اسمه عبد الله وكان يلقب «حِمَارًا»، وكان يُضْحِكُ رسولَ الله ﷺ، وكان النبي ﷺ قد جلده في الشراب، فأتي به يومًا فأمرَ به فجلد فقال رجلٌ من القومِ: اللهم العنه، ما أكثر ما يؤتىٰ به! فقال النبيُّ ﷺ: «**لا تَلْعَنُوه فوَاللّه مَا (٢) عَلِمْتُ أنَّه يُحِبُّ اللهَ ورَسُولَهُ**»(٣).

* وفي رواية أن رجلاً قال: ما له أخزاه الله! فقال رسولُ الله ﷺ: «**لا**

= النبي ﷺ.

(١) أخرجه البخاري (٦٧٨٠).

(٢) نقل الحافظ ابن حجر في (ما) هنا أقوالاً: أقربها: ما نقله عن أبي البقاء في «إعراب الجمع» أنه قال: ما زائدة أي فوالله علمت أنه. والهمزة على هذا مفتوحة. قال: ويحتمل أن يكون المفعول محذوفًا؛ أي: علمت عليه أو فيه سوءًا ثم استأنف فقال: «إنه يحب الله ورسوله».

(٣) عند أبي يعلىٰ (١/ ١٦١) من طريق هشام بن سعد، عن زيد بن أسلم، عن أبيه، عن عمر، أن رجلاً كان يلقب «حمارًا» وكان يهدي لرسول الله ﷺ العكة من السمن والعكة من العسل، فإذا جاء صاحبها يتقاضاها جاء به إلىٰ رسول الله ﷺ فيقول: يا رسول الله، أعط هذا ثمن متاعه. فما يزيد رسول الله ﷺ علىٰ أن يبتسم ويأمر به فيعطىٰ... فذكر الحديث وفي آخره: «لا تلعنوه فإنه يحب الله ورسوله». وإسناده حسن.

تَكُونُوا عَوْنَ الشَّيْطانِ على أخيكُمْ»(١) .

فـجديرٌ بالعـبد أن لا يقنط أبدًا مـن رحمـة الله عز وجل بل كلمـا سقط ووقع في ذنب قام واستغـفر وأناب، فليس ثمَّ أحدٌ بمعصوم من الذنب، وقد قال تعالىٰ في شأن المتقين الذين أعدت لهم الجنان: ﴿وَسَارِعُوا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَوَاتُ وَالأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ﴾ [آل عمران: ١٣٣]، فذكر من صفاتهم: ﴿وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَن يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلاَّ اللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَىٰ مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿١٣٥﴾ أُوْلَئِكَ جَزَاؤُهُم مَّغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَجَنَّاتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ﴾ [آل عمران: ١٣٥، ١٣٦].

فحتى التَّـقيُّ قد تصدر منه كبـيرة، قد تزل قدمُه ويقع في فـاحشة، ولكنه يُقلع عنها وينيب إلى ربه ويستغفر:

* وها هم المرسلون، قـال تعالىٰ: ﴿إِنِّي لا يَخَافُ لَدَيَّ الْمُرْسَلُونَ ﴿١٠﴾ إِلاَّ مَن ظَلَمَ ثُمَّ بَدَّلَ حُسْنًا بَعْدَ سُوءٍ فَإِنِّي غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [النمل: ١٠، ١١] وموسىٰ الكليم عليه أفضل صلاة وأتم تسليم وعلىٰ نبينا محمد عليه الصلاة والسلام قتل نفسًا فقال: ﴿رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي فَاغْفِرْ لِي فَغَفَرَ لَهُ إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾ [القصص: ١٦].

* وهؤلاء الذين جاءوا بالصدق وصدَّقوا به، قال اللهُ عنهم: ﴿لِيُكَفِّرَ اللَّهُ عَنْهُمْ أَسْوَأَ الَّذِي عَمِلُوا﴾ [الزمر: ٣٥] ففيه دليل علىٰ أنهم عمِلوا شيئًا من السوء.

* * *

(١) هي عند البخاري (٦٧٨١).

وَجَآءَ رَجُلٞ مِّنۡ أَقۡصَا ٱلۡمَدِينَةِ يَسۡعَىٰ قَالَ يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّ ٱلۡمَلَأَ
يَأۡتَمِرُونَ بِكَ لِيَقۡتُلُوكَ فَٱخۡرُجۡ إِنِّي لَكَ مِنَ ٱلنَّٰصِحِينَ ﴿٢٠﴾
فَخَرَجَ مِنۡهَا خَآئِفٗا يَتَرَقَّبُۖ قَالَ رَبِّ نَجِّنِي مِنَ ٱلۡقَوۡمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٢١﴾
وَلَمَّا تَوَجَّهَ تِلۡقَآءَ مَدۡيَنَ قَالَ عَسَىٰ رَبِّيٓ أَن يَهۡدِيَنِي سَوَآءَ
ٱلسَّبِيلِ ﴿٢٢﴾ وَلَمَّا وَرَدَ مَآءَ مَدۡيَنَ وَجَدَ عَلَيۡهِ أُمَّةٗ مِّنَ
ٱلنَّاسِ يَسۡقُونَ وَوَجَدَ مِن دُونِهِمُ ٱمۡرَأَتَيۡنِ تَذُودَانِۖ
قَالَ مَا خَطۡبُكُمَاۖ قَالَتَا لَا نَسۡقِي حَتَّىٰ يُصۡدِرَ ٱلرِّعَآءُۖ وَأَبُونَا
شَيۡخٞ كَبِيرٞ ﴿٢٣﴾ فَسَقَىٰ لَهُمَا ثُمَّ تَوَلَّىٰٓ إِلَى ٱلظِّلِّ فَقَالَ
رَبِّ إِنِّي لِمَآ أَنزَلۡتَ إِلَيَّ مِنۡ خَيۡرٖ فَقِيرٞ

س: اذكر معنى ما يلي:

(يسعى ـ الملأ ـ يأتمرون بك ـ يترقب ـ توجَّـه ـ تلقاء مدين ـ يهدين سـواء السـبـيل ـ ورد مـاء مـدين ـ أُمَّـة ـ من دونـهم ـ تذودان ـ مـا خطبكما ـ يُصدر الرعاء ـ فقير).

ج:

الكلمة	معناها
يسعى	يعجل ـ يُسرع
الملأ	أشراف القوم
يأتمرون بك	يتآمرون لقتلك، ويبحثون في أمرك وما هم بك صانعون.
يترقب	ينتظر الطلب أن يُدركه
توجَّه	جعل وجهه وسيره.
تلقاء مدين	ناحية بلاد مدين.
يهديني سواء	يرشدني إلى الطريق السوي المستقيم.
السبيل	يرشـدني إلى الطريق السـمح الموصل إلى بلاد مدين[1].
ورد ماء	بلغ الماء الذي يسقي منه أهل مدين مـواشيـهم ويشربون منه.
مدين	
أمةً	جماعة.
من دونهم	من سواهم.

تذودان	تمنعان ـ تحبسان ـ تكفان أنعامهما وأغنامهما لئلا تختلطان بأنعام الرعاة وأغنامهم .
ما خطبكما	ما شأنكما .
يُصدر الرعاء	الرعاء : جمع راعٍ ، ويصدر الرعاء ، ينصرف الرعاة بعد سقي مواشيهم وأنعامهم .
فقير	محتاج .

س: هل من قول بأن الرجل الذي جاء يسعى هو مؤمن آل فرعون؟

ج: ورد عن قتادة بإسناد حسنٍ [(١)] عند الطبري أنه قال: كنا نحدَّث أنه مؤمن آل فرعون.

ولكن لا دليل على ذلك، وقتادة لم يرفعه إلى رسول الله ﷺ ولا أسنده إليه.

* * *

س: ينبغي أن يؤازر المؤمنون الدعاةَ إلى اللهِ ويعاونوهم وينصحوهم، دلِّل على ذلك.

ج: من الأدلة على ذلك ما يلي:

* مجيء الرجل من أقصى المدينة يسعى لنصح موسى وتحذيره كما قال تعالى: ﴿ **وَجَاءَ رَجُلٌ مِّنْ أَقْصَا الْمَدِينَةِ يَسْعَى . . .** ﴾ إلى قوله: ﴿ **فَاخْرُجْ إِنِّي لَكَ مِنَ النَّاصِحِينَ** ﴾ [القصص: ٢٠].

* ونحو هذا الصنيع صنيع صاحب سورة يس: قال تعالى في شأنه: ﴿ **وَجَاءَ مِنْ أَقْصَا الْمَدِينَةِ رَجُلٌ يَسْعَى قَالَ يَا قَوْمِ اتَّبِعُوا الْمُرْسَلِينَ ۝٢٠ اتَّبِعُوا مَن لاَّ يَسْأَلُكُمْ أَجْرًا وَهُم مُّهْتَدُونَ** ﴾ [يس: ٢٠].

* وقول الحواريين إذ قال لهم عيسى عليه السلام: ﴿ **مَنْ أَنصَارِي إِلَى اللَّهِ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنصَارُ اللَّهِ** ﴾ [الصف: ١٤].

هذه فضلاً على العمومات الآمرة بالتعاون على البرِّ والتقوى والنصح

(١) الطبري (٢٧٢٩٠).

لكل مسلم.

* * *

س: ما الذي كان يترقبه موسى عليه السلام؟

ج: كان يترقب أن يؤخذ بما صنعه من قتل النفس.

وأيضًا يترقب الأخبار وأحاديث الناس في الصدد.

* * *

س:الخوف الجِبلِّي قد يتسرب إلى أهل الفضل والصلاح. دلِّلْ على ذلك.

ج: نعم، قد يتسرب الخوف الجبلِّي إلى أهل الفضل والصلاح، ولكنهم يجأرون إلى الله ويستعينون به فينجيهم الله عز وجل. أما تسربه إليهم؛ فقد قال تعالى في شأن نبيه موسى عليه السلام: ﴿**فَخَرَجَ مِنْهَا خَائِفًا يَتَرَقَّبُ**﴾ [القصص: ٢١]. وقال موسى أيضًا: ﴿**إِنِّي أَخَافُ أَن يُكَذِّبُونِ**﴾ [الشعراء: ١٢]، وقال تعالى: ﴿**وَاذْكُرُوا إِذْ أَنتُمْ قَلِيلٌ مُّسْتَضْعَفُونَ فِي الْأَرْضِ تَخَافُونَ أَن يَتَخَطَّفَكُمُ النَّاسُ فَآوَاكُمْ وَأَيَّدَكُم بِنَصْرِهِ**﴾ [الأنفال: ٢٦].

* * *

س: في قول موسى للمرأتين: ﴿مَا خَطْبُكُمَا﴾ وفي حديثهما معه ما يدل على جواز مخاطبة الرجل للمرأة الأجنبية. دلِّلْ على ذلك بمزيد من الأدلة، ووضح فقه المسألة باختصار.

ج: من الأدلة على ذلك ما يلي:

* قوله تعالى: ﴿**وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَاعًا فَاسْأَلُوهُنَّ مِن وَرَاءِ**

حِجَابٍ﴾ [الأحزاب: ٥٣].

* قـوله تعـالىٰ: ﴿**وَلا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا عَرَّضْتُم بِهِ مِنْ خِطْبَةِ النِّسَاءِ**﴾ [البقرة: ٢٣٥].

* وقـال سبحـانه: ﴿**وَلَمَّا وَرَدَ مَاءَ مَدْيَنَ وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةً مِّنَ النَّاسِ يَسْقُونَ وَوَجَدَ مِن دُونِهِمُ امْرَأَتَيْنِ تَذُودَانِ قَالَ مَا خَطْبُكُمَا قَالَتَا لا نَسْقِي حَتَّىٰ يُصْدِرَ الرِّعَاءُ وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ (٢٣) فَسَقَىٰ لَهُمَا ثُمَّ تَوَلَّىٰ إِلَى الظِّلِّ فَقَالَ رَبِّ إِنِّي لِمَا أَنزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ (٢٤) فَجَاءَتْهُ إِحْدَاهُمَا تَمْشِي عَلَى اسْتِحْيَاءٍ قَالَتْ إِنَّ أَبِي يَدْعُوكَ لِيَجْزِيَكَ أَجْرَ مَا سَقَيْتَ لَنَا ...**﴾ [القصص: ٢٣-٢٥].

* وقال تعـالىٰ: ﴿**قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِي إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَا إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ**﴾ [المجادلة: ١].

* وأخـرج البخـاري من حـديث أبي مـوسىٰ رضي الله عنه(١): بـلـغـنـا مـخـرج النبي ﷺ ونحن باليـمن، فـخـرجنا مـهـاجـرين إليـه أناوأخـوانٌ لي أنا أصغرهم؛ أحـدهمـا أبو بردة، والآخـر أبو رهـم - إمـا قـال: في بضـع، وإمـا قال: في ثلاثة وخمسين، أو اثنين وخمسين رجـلاً من قـومي - فركبنا سفينة، فألقتنا سفينتنا إلىٰ النجاشي بالحبشة، فـوافقنا جعفر بن أبي طالب، فـأقمنا معـه حتىٰ قـدمنا جميعًـا فوافقنا النبي ﷺ حين افتتح خيبر، وكـان أناس من الناس يقولون لنا - يعني لأهل السفينة -: سبـقناكم بالهجرة، ودخلت أسماء بنت عُمَيْس - وهي ممن قـدم معنـا - علىٰ حـفـصـة زوج النبي ﷺ زائرةً، وقـد كانت هاجرت إلىٰ النجـاشي فيمن هاجر، فـدخل عمر علىٰ حفصـة وأسماء عندها، فقـال عمر حين رأىٰ أسمـاء: من هذه؟ قالت: أسماء بنت عـميس،

---

(١) البخاري (حديث ٤٢٣٠).

قال عمر : آلحبشية هذه؟ آلبحرية هذه؟ قالت أسماء : نعم . قال : سبقناكم بالهجرة ، فنحن أحق برسول الله منكم ، فغضبت وقالت : كلا والله ، كنتم مع رسول الله ﷺ يطعم جائعكم ويعظ جاهلكم ، وكنا في دار - أو في أرض - البُعداء البغضاء بالحبشة ، وذلك في الله وفي رسوله ﷺ ، وايم الله ، لا أطعم طعامًا ولا أشرب شرابًا حتىٰ أذكر ما قلت لرسول الله ﷺ ، ونحن كنا نؤذىٰ ونخاف ، وسأذكر ذلك للنبي ﷺ وأسأله ، والله لا أكذب ولا أزيغ ولا أزيد عليه .

فلما جاء النبي ﷺ قالت : يا نبي الله ، إن عمر قال كذا وكذا ، قال : «فَمَا قُلْتِ لَهُ؟» قالت : قلت له كذا وكذا ، قال : **«ليسَ بأحَقَّ بي مِنْكُمْ، ولَهُ ولأصحابه هِجْرَةٌ واحِدةٌ ، ولَكُمْ أنْتُمْ أهْلَ السَّفِينَة هِجْرَتَان»** ، قالت : فلقد رأيت أبا موسىٰ وأصحاب السفينة يأتونني أرسالاً ليسألوني عن هذا الحديث ، ما من الدنيا شيء هم به أفرح ولا أعظم في أنفسهم مما قال لهم النبي ﷺ .

* وأخرج البخاري من حديث أنس رضي الله عنه قال : لما ثقل النبي ﷺ جعل يتغشاه ، فقالت فاطمة عليها السلام : واكرب أباه ، فقال لها : **«ليْسَ علَى أبيكِ كَرْبٌ بَعْدَ اليَوْم»** فلما مات ، قالت :

يا أبتاه، أجاب ربًا دعاه يا أبتاه، مَنْ جنةُ الفردوس مأواه؟

يا أبتاه، إلى جبريل ننعاه

فلما دُفن قالت فاطمة عليها السلام : يا أنس ، أطابت نفوسُكم أن تحثُوا علىٰ رسول الله ﷺ الترابَ؟! .

* * *

س: ما الأدب المستفاد من قول المرأتين: ﴿لَا نَسْقِي حَتَّىٰ يُصْدِرَ الرِّعَاءُ﴾؟

ج: هذا الأدب يتمثل في حيائهما، وابتعادهما عن مزاحمة ومخالطة الرجال.

وفي الحديث عن رسول الله ﷺ أنه قال: «**لَيْسَ لِلنِّسَاءِ وَسَطُ الطَّرِيقِ**»(١).

* * *

س: ما فائدة تذكير المرأتين بشيخوخة أبيهما إذ قالتا: ﴿وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ﴾؟

ج: ذكر بعض أهل العلم فائدتين لذلك:

إحداهما: دفع شبهة والتماس عذر؛ فكأن المرأتين أجابتا مُسبقًا عن سؤال قد يوجَّه إليهما: فلماذا خرجتما إذن؟ وما دمتما لا تختلطان فلماذا لا تقران في بيوتكما؟

فأجابتا بما حاصله: إنه ليس من شيمتنا الخروج، ولا مخالطة الرجال ولكنا اضطُررنا للخروج لكون أبينا شيخًا كبيراً.

الثاني: قال بعض أهل العلم: إن المرأتين استعطفتا موسىٰ بهذا القول كي يسقي لهما، والله أعلم.

* * *

(١) حسن بمجموع طرقه، وقد أخرجه ابن حبان (موارد الظمآن: ١٩٦٩)، وابن ماجه (٣٧٥٠)، وانظر كتابنا: «جامع أحكام النساء» (٤/ ٣٦٢).

س: ما اسم هذا الشيخ الكبير؟

ج: لم يصح في اسم هذا الشيخ خبرٌ عن رسول الله ﷺ، فالإمساكُ عن تسميته أولى، وإن كان بعض أهل العلم قد قال: إنه شعيبٌ عليه السلام.

ولا دليل على هذا إلا التوافق في البلدة وأنها مدْين.

وقال آخرون: إنه يثرون. وقيل غير ذلك.

قال السعدي رحمه الله «تيسر الكريم الرحمن»:

وهذا الرجل - أبو المرأتين - صاحب مدين - ليس بشعيبٍ النبيُّ المعروف كما اشتهر عند كثير من الناس؛ فإن هذا قول لم يدل عليه دليل.

وغاية ما يكون: أن شعيبًا - عليه السلام - قد كانت بلده مدين، وهذه القضية جرت في مدين، فأين الملازمة بين الأمرين؟ وأيضًا: فإنه غير معلوم أن موسى أدرك زمان شعيب - فكيف بشخصه؟!

ولو كان ذلك الرجل شعيبًا لذكره الله تعالى، ولسمته المرأتان، وأيضًا: فإن شعيبًا، عليه الصلاة والسلام - قد أهلك الله قومَه بتكذيبهم إياه، ولم يبق إلا من آمن به، وقد أعاذ اللهُ المؤمنين به أن يرضوا لبنتي نبيهم، بمنعهما عن الماء وصد ما شيتهما، حتى يأتيَهُما رجل غريب فيحسن إليهما، ويسقي ماشيتهما، وما كان شعيب ليرضى أن يرعى موسى عنده ويكون خادمًا له وهو أفضل منه وأعلى درجة، إلا أن يقال: هذا قبل نبوة موسى، فلا منافاة.

وعلى كل حال، لا يعتمد على أنه شعيبٌ النبيُّ، بغير نقل صحيح عن النبي ﷺ، والله أعلم.

س:وضح معنى قوله: ﴿رَبِّ إِنِّي لِمَا أَنزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ﴾.

ج: قال أبو المظفر السمعاني في تفسيره:

«أجمع المفسرون على أنه طلب من الله الطعام لجوعه، قال ابن عباس: فَلْقَةُ خبزٍ أو قبضةُ تمرٍ. وقال سعيد بن جبير: لم يكن على وجه الأرض أكرم منه، وكان محتاجًا إلى شق تمرة. وقال مجاهد: طلب الخبز». اهـ.

* * *

س: اذكر بعض المعاني التي يُطلق عليها الخير.

ج: قال القرطبي رحمه الله:

«فالخير يكون بمعنى: «الطعام» كما في هذه الآية، ويكون بمعنى «المال» كما قال: ﴿إِن تَرَكَ خَيْرًا﴾ [البقرة: ١٨٠]، وقوله: ﴿وَإِنَّهُ لِحُبِّ الْخَيْرِ لَشَدِيدٌ﴾ [العاديات: ٨]» ويكون بمعنى «القوّة» كما قال: ﴿أَهُمْ خَيْرٌ أَمْ قَوْمُ تُبَّعٍ﴾ [الدخان: ٣٧]، ويكون بمعنى «العبادة» كقوله: ﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِمْ فِعْلَ الْخَيْرَاتِ﴾ [الأنبياء: ٧٣].

قال ابن عباس: وكان قد بلغ به الجوع، واخضرّ لونُه من أكل البقل في بطنه، وإنه لأكرم الخلق على الله.

ويروى أنه لم يصل إلى مدين حتى سقط باطن قدميه. وفي هذا معتبر وإشعار بهوان الدنيا على الله.

وقال أبو بكر بن طاهر في قوله: ﴿إِنِّي لِمَا أَنزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ﴾ [القصص: ٢٤]: أي: إني لما أنزلتَ من فضلك وغناك فقير إلى أن تغنيني بك عمن سواك».

فَجَآءَتۡهُ إِحۡدَىٰهُمَا
تَمۡشِي عَلَى ٱسۡتِحۡيَآءٖ قَالَتۡ إِنَّ أَبِي يَدۡعُوكَ لِيَجۡزِيَكَ
أَجۡرَ مَا سَقَيۡتَ لَنَاۚ فَلَمَّا جَآءَهُۥ وَقَصَّ عَلَيۡهِ ٱلۡقَصَصَ قَالَ
لَا تَخَفۡۖ نَجَوۡتَ مِنَ ٱلۡقَوۡمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٢٥﴾ قَالَتۡ إِحۡدَىٰهُمَا
يَٰٓأَبَتِ ٱسۡتَـٔۡجِرۡهُۖ إِنَّ خَيۡرَ مَنِ ٱسۡتَـٔۡجَرۡتَ ٱلۡقَوِيُّ ٱلۡأَمِينُ
﴿٢٦﴾ قَالَ إِنِّيٓ أُرِيدُ أَنۡ أُنكِحَكَ إِحۡدَى ٱبۡنَتَيَّ هَٰتَيۡنِ عَلَىٰٓ أَن
تَأۡجُرَنِي ثَمَٰنِيَ حِجَجٖۖ فَإِنۡ أَتۡمَمۡتَ عَشۡرٗا فَمِنۡ عِندِكَۖ
وَمَآ أُرِيدُ أَنۡ أَشُقَّ عَلَيۡكَۚ سَتَجِدُنِيٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ
ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٢٧﴾ قَالَ ذَٰلِكَ بَيۡنِي وَبَيۡنَكَۖ أَيَّمَا ٱلۡأَجَلَيۡنِ
قَضَيۡتُ فَلَا عُدۡوَٰنَ عَلَيَّۖ وَٱللَّهُ عَلَىٰ مَا نَقُولُ وَكِيلٞ ﴿٢٨﴾

س: اذكر معنى ما يلي:

(استأجره - أُنكحك - تأجرني - حِجج - قضيتُ - فلا عدوان عليَّ - وكيل).

ج:

الكلمة	معناها
استأجره	اتخذه أجيراً.
أُنكحك	أُزوجك.
تأجرني	تعمل أجيراً عندي.
حجج	سنوات.
قضيتُ	أتممتُ.
فلا عدوان عليَّ	لا اعتداء عليَّ، ولا أُطالَب بمزيد.
وكيل	شهيد - حفيظ.

س: كيف جاءت المرأة تمشي على استحياء؟

ج: صح[1] عن أمير المؤمنين عمر رضي الله عنه أنه قال: جاءت تمشي على استحياء قائلةً بثوبها على وجهها، ليست بسلفعٍ من النساءِ ولاجَّة خرَّاجة».

* وفي لفظ عند الحاكم: عن عمر رضي الله عنه: فجاءته إحداهما تمشي على استحياء. قال: كانت تجيء وهي خراجةٌ ولاجةٌ، واضعةً يدها على وجهها.

* * *

س: ذكر بعض أهل العلم فائدة في قوله تعالى: ﴿تَمْشِي عَلَى اسْتِحْيَاءٍ﴾، وضح هذه الفائدة.

ج: إيضاح ذلك: أن الاستحياء لم يكن عند كلامها مع موسى فقط، إنما كان في مشيتها أيضًا، فلم يكن استحياءً متكلفًا أمام موسى عليه السلام، بل جُبلت على الحياء وكان ديدنَها، والله أعلم.

قال صديق حسن خان في «فتح البيان»:

﴿تَمْشِي﴾ كائنةً ﴿عَلَى اسْتِحْيَاءٍ﴾ حالتي المشي والمجيء لا عند المجيء فقط، وهذا دليل على كمال إيمانها وشرف عنصرها؛ لأنها كانت تدعوه إلى ضيافتها ولم تعلم أيجيبها أم لا، فأتته مستحية.

* * *

(١) أخرجه ابن أبي حاتم بسند صحيح، والحاكم (٢/ ٤٠٧)، وقال صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه، ووافقه الذهبي.

س: في قوله تعالى: ﴿تَمْشِي عَلَى اسْتِحْيَاءٍ﴾ ما يدل على فضيلة للمرأة، وفضيلة لموسى عليه السلام، وضح ذلك.

ج: أما فضيلة المرأة فظاهرة واضحة؛ فهذا يدل على شدة حيائها وكريم خُلقها فالحياء من مكارم الأخلاق، وخصوصًا من النساء.

* أما بالنسبة لموسى فهذا أيضًا يدل على حسن خلق موسى، وكرم نفسه؛ فلو كان أجيراً متبذلاً يُعلم أنه أجير فإن الحياء منه في الغالب يكون قليلاً، فالحياء من الخدم أقل منه مع السادة وأهل الصلاح والفضل وأهل الكرم والعفاف، فالرجل الصالح الشهم النبيل يُستحيا منه في الغالب. فهذا وجه فضيلة موسى عليه السلام، والله أعلم.

* * *

س: في قول المرأة: ﴿إِنَّ أَبِي يَدْعُوكَ لِيَجْزِيَكَ أَجْرَ مَا سَقَيْتَ لَنَا﴾ أدب من آداب التخاطب، وضح ذلك.

ج: هذا الأدب يتمثل في عدم جرح الأشخاص وإحراجهم عند الحديث معهم وعند إكرامهم.

ووجه ذلك أن المرأة لم تقل: إن أبي يدعوك للإحسانِ إليك ولإكرامك.

فتكون هذه منة منها عليه، ولكنها قالت: ليجزيك أجر ما سقيت لنا، فأنت الذي ابتدأت بالإحسان فأردنا أن نكافئك على إحسانك.

فالدِّقة في انتقاء الألفاظ مطلوبة؛ فينبغي أن تنتقي الكلمات وتختار الألفاظ والعبارات التي تؤدي إلى الغرض المطلوب.

فالرفق ما كان في شيء إلا رانه، وما نُزع من شيء إلا شانَه[1] كما قال الرسول ﷺ، فالكلمة الواحدة يمكن أن تجلب همًا وغمًا، ويمكن أن تبدل بكلمة تجلب انشراحًا وسعادة، وها نحن نورد بعض نماذج ذلك:

* فرقٌ بين قولك لشخص ضربه آخر وظلمه: «أين المضروب؟»، وبين قولك: «أين صاحب الحق؟، فالمضروب هو صاحب الحق، ولكن في قولك له: أين المضروب؟، أو: أنت المضروب؟ مزيدُ إهانة وإذلالٍ، لكن في قولك: أين صاحب الحق؟ ردٌ للأمور إلىٰ نصابها.

* وفرق كذلك بين قولك إذا ناديت قومًا في بيتهم نارٌ موقدة: «يا أهل النار، ويا أصحاب النار». وبين ندائك لهم: «يا أهل الضوء، أو: يا أصحاب النور».

* وكذلك ثمَّ فرقٌ بين قولك لرجلٍ تزوج باثنتينِ: «مَنْ هي الزوجة القديمة؟» وقولك: «مَنْ هي الزوجة الأولىٰ؟»، أو بين قول الزوج نفسه متحدثًا عن زوجته: «الزوجة القديمة» وبين قوله: «الزوجة الأولىٰ، أم فلان وأم فلان (بكنيتها)».

وانظر إلىٰ أدب عليٍّ رضي الله عنه ومعه صحابيٌّ[2] آخر لما أرسلهما النبيُّ ﷺ للبحث عن الماء فالتقيا بامرأة بين مزادتين ـ أو سطيحتين ـ من ماء علىٰ بعيرٍ لها فقالا لها: «انطلقي إذًا.

قالت: إلىٰ أين؟

---

(١) أخرجه مسلم (حديث ٢٥٩٤)، ولفظه: «إن الرفق لا يكون في شيء إلا زانه ولا ينزع من شيء إلا شانه».

(٢) الرجل الآخر، أشار الحافظ إلىٰ أنه عمران بن حصين رضي اللّه عنه.

قالا: إلىٰ رسول الله ﷺ، قالت: الذي يُقال له: الصابئ؟ قالا: هو الذي تعنين... الحديث[1].

* فانظر إلىٰ هذا الأدب فلم يقولا لها (لا) حتىٰ يقعا في الكذب ولم يقولا لها (نعم) فيكون في مقالتهما إقرارٌ علىٰ أنه (الصابئ) وإن كان كلمة «الصابئ» تتحمل جملة، إذ «الصابئ» هو الذي ترك دينه واعتنق دينًا آخر.

* ولكن لا يليق بحال وصف النبي ﷺ بأنه «صابئ»، فقد استقرَّ في ذهن الناس آنذاك أن من وُصف بهذا فهو مذموم ولذلك عدلَ عليٌّ رضي الله عنه ومن معه إلىٰ هذه الكلمة: (هو الذي تعنين).

قال الحافظ ابن حجر رحمه الله تعالى[2]:

«وفيه أدب حسن، ولو قالا لها: «لا» لفات المقصود، أو: «نعم» لم يحسن بهما، إذ فيه تقرير ذلك، فتخلصا أحسن تخلص.

قلت: فيا سبحان الله، من علَّم هؤلاء الأُمِّيينَ هذا العلم؟! ومن أدبهم بهذا الأدب؟!

فالحمد لله علىٰ نعمة الإسلام، وجزىٰ اللهُ خيراً نبيَّنا محمداً عليه أفضل صلاة وأتم السلام.

* وانظر أيضًا إلىٰ ما في هذه الآية الكريمة، فقد قال الله تعالىٰ: ﴿**وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنكُمْ شَيْئًا وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ الأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُم مُّدْبِرِينَ**﴾ [التوبة: ٢٥].

---

(١) البخاري (حديث ٣٤٤).
(٢) فتح الباري (١/ ٥٣٨).

فأثبت اللهُ تعالىٰ أن الصحابة يوم حنين وَلَّوْا مُدْبِرِينَ ولكن لما سُئل البراءُ رضي الله عنه ترىٰ كيف أجاب؟! .

* ففي «الصحيح»[١] : أن البراء بن عازب رضي الله عنهما جاءه رجلٌ فقال له : يا أبا عمارة أتوليت يوم حنين، فقال : أما أنا فأشهد علىٰ النبي ﷺ أنه لم يُوَلِّ . . . » .

* وفي رواية : أفررتم[٢] عن رسول الله ﷺ يوم حنين؟ فقال : لكن رسول الله ﷺ لم يفر . . .

فقد يتوهم السائل من إجابة البراء إذا أجابه بقوله : «نعم فررنا» أن رسول الله ﷺ فرَّ معهم، فأراد البراء أن يدفع هذا التوهم بقوله : لكن رسولَ الله ﷺ لم يفر . فنعم هذا الأدب .

وقد قال النووي رحمه الله تعالى: هذا الجواب من بديع الأدب؛ لأن تقدير الكلام فررتُم كلم؟ فيدخل فيهم النبي ﷺ، فقال البراء : لا، والله ما فرَّ رسولُ الله ﷺ .

* ومن ذلك قول النبي ﷺ لما بلغه أن خالداً قتل القوم الذين قالوا : «صبأنا . صبأنا» ولم يحسنوا أن يقولوا : «أسلمنا»، وأمر أيضًا بقتل الأسرىٰ منهم، فقال النبيُّ ﷺ : **«اللَّهُمَّ إني أبْرَأُ إليْكَ مِمَّا صَنَعَ خالدٌ»**[٣] .

* ففرقٌ بين قول : «اللهم إني أبرأ إليك منْ خالد»، وقول : **«اللهم إني أبرأ إليك مما صنع خالدٌ»** .

* * *

(١) البخاري (٤٣١٥) .
(٢) البخاري (٤٣١٧) .
(٣) البخاري (٧١٨٩) .

س: أمران يجب أن يُراعيا عند استئجار الأجير، وضحهما بأدلتهما.

ج: هذان الأمران هما القوّة والأمانة، قوة على أداء العمل تتضمن خبرةً به، وأمانة في الأداء، وأمانة على العموم.

وهذه طائفة من الأدلة على ذلك:

* قال الله تعالى: ﴿قَالَتْ إِحْدَاهُمَا يَا أَبَتِ اسْتَأْجِرْهُ إِنَّ خَيْرَ مَنِ اسْتَأْجَرْتَ الْقَوِيُّ الأَمِينُ﴾ [القصص: ٢٦] فوصفته بوصفين: القوّة، والأمانة.

* وهذا العفريت من الجن الذي عرض على سليمان عليه السلام أن يأتي بالعرش يقول: ﴿أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَن تَقُومَ مِن مَّقَامِكَ وَإِنِّي عَلَيْهِ لَقَوِيٌّ أَمِينٌ﴾ [النمل: ٣٩] فوصف نفسه بالوصفين أيضًا: بالقوّة، والأمانة.

* ويقول ربنا سبحانه وتعالى في شأن سفيره جبريل ﷺ: ﴿ذِي قُوَّةٍ عِندَ ذِي الْعَرْشِ مَكِينٍ ۝٢٠ مُطَاعٍ ثَمَّ أَمِينٍ﴾ [التكوير: ٢٠، ٢١] فوصف بـ «القوّة» في قوله: ﴿ذِي قُوَّةٍ﴾، وبـ «الأمانة» كما في قوله: ﴿أَمِينٍ﴾.

* وقال الله سبحانه وتعالى في شأن موسى ﷺ: ﴿وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَاسْتَوَىٰ آتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا وَكَذَٰلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ﴾ [القصص: ١٤]. فجمع بين القوة في قوله: ﴿وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَاسْتَوَىٰ﴾، وبين الحكم والعلم والإحسان في قوله: ﴿آتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا وَكَذَٰلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ﴾، وهذه تتضمن الأمانة أيضًا.

* وفي شأن الأنبياء عليهم الصلاة والسلام قال تعالى: ﴿وَاذْكُرْ عِبَادَنَا إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ أُولِي الأَيْدِي وَالأَبْصَارِ ۝٤٥ إِنَّا أَخْلَصْنَاهُم بِخَالِصَةٍ

﴿ذِكْرَى الدَّارِ﴾ [ص: ٤٥، ٤٦] فقوله تعالى: ﴿أُولِي الْأَيْدِي﴾ يخبر بقوتهم، وقوله: ﴿وَالْأَبْصَارِ﴾ يتضمن العلم والفهم والأمانة، خاصةً إذا ضم إليها قوله: ﴿إِنَّا أَخْلَصْنَاهُم بِخَالِصَةٍ ذِكْرَى الدَّارِ﴾ أي: خصصناهم بخاصيّة، وهي كثرة تذكر الدار الأخرى، فهذا التذكر يتطلب منهم الأمانة والدِّين.

* وقوله تعالى - في شأن يوسف ﷺ - أيضًا: ﴿وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ آتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا وَكَذَٰلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ﴾ [يوسف: ٢٢].

* وقول ملك مصر ليوسف عليه السلام: ﴿إِنَّكَ الْيَوْمَ لَدَيْنَا مَكِينٌ أَمِينٌ﴾ [يوسف: ٥٤].

* وكذلك قول يوسف ﷺ عن نفسه لما طلب العمل على خزائن الأرض زكّى نفسه بشيئين فقال: ﴿اجْعَلْنِي عَلَىٰ خَزَائِنِ الْأَرْضِ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٌ﴾ [يوسف: ٥٥] فقوله: ﴿حَفِيظٌ﴾ يتضمن الأمانة، وقوله: ﴿عَلِيمٌ﴾ يتضمن القوّة والقدرة على العمل.

وهذا يَجرُّنا إلى شيء؛ ألا وهو:

توضيح معنى القوّة المصاحبة للأمانة:

أيُّ قوّةٍ هذه، وما المراد بها؟ فلإيضاحها أقول:

إن المراد بـ «القوّة» القوّة الملائمة والمناسبة للعمل الذي يكلف به الشخص:

* فقوّة **العامل** المكلف بحمل أشياء، والسعي في أمور والذهاب والإياب والدفاع والهجوم ونحو ذلك: تكمن في بدنه، فيختار لها العامل قوي البدن.

* **وقوّة العالم**: تكمن في حفظه وذكائه وقوة استنباطه، وإنزال الفتاوىٰ في منازلها، ووضع الأمور في نصابها.

* **وقـوة الطـبـيب**: تكمن في قـدرته علىٰ تشـخـيص المرض، ووصف العلاج المناسب له.

* **وقوّة الطباخ في البيت**: تكمن في جودة الطهي.

* **وقـــوة المدرس**: تكمن في حـصليته العـمليّة، وقـدرته علىٰ إفـهـام الطلاب.

* **وقوة المهندس**: تكمن في حسن تخطيطه، ومهارته في التنفيذ.

* **وقوة الـفلاح**: تكمن في بدنه، وفي معـرفته بالزراعة والحرث ورعاية الماشية.

* **وقوة الأمـير فـي الحرب**: تكمـن في بدنه أيضًـا، وفي علـمـه بـفنون الحرب وفي شجاعته.

* **وكل صانع**: تكمن قوته في معرفته بصنعته، ومهارته فيها.

* **وكل عـالِم**: يكمن علمه في تخـصصه الذي يقوم بتدريسه وتعليمه. وهكذا كل الأعمال.

فليـست القـوّة المرادة هي القـوّة البـدنيّـة في كـل الأحـوال؛ وذلك لأن احتياجات الناس تختلف وتتنوع، وكذلك قدراتهم تختلف وتتنوع:

* فابن مـسعـود رضي الله عنه: رجل نحيف البـدن، ولكنه [1] مـن أعـلـم الصحابة بالتفسير.

---

(١) أخرجه البخاي (٥٠٠٢)، ومسلم (٢٤٦٢) من حديث عبد اللّه بن مسعود رضي اللّه =

* وخالدٌ سيفٌ سلَّه اللهُ على المشركين(١) ومع ذلك رواياته للأحاديث قليلة جدًا لا تكاد تُذكر .

* وأبو ذرٍّ : رجل قَوَّالٌ بالحقِّ ، جريءٌ فيه ، فما أقلَّت الغبراء ولا أظلَّتِ الخضراء أصدق لهجة من أبي ذر(٢) ومع ذلك هو مع الإمارة ضعيف ؛ قال النبي ﷺ : «**يا أبَا ذَرٍّ، إنِّي أراكَ ضعيفًا، وإنِّي أُحبُّ لكَ ما أُحِبُّ لِنَفْسِي: لا تأمَّرَنَّ على اثْنَيْنِ، ولا تَوَلَّيَنَّ مالَ يتيمٍ**» .

= عنه قال : واللَّه الذي لا إله غيره ما أُنزلت سورة من كتاب اللَّه إلا أنا أعلم أين أُنزلت ، ولا أُنزلت آية من كتاب اللَّه إلا أنا أعلم فيمن أُنزلت ، ولو أعلم أحدًا أعلم مني بكتاب اللَّه تبلغه الإبل لركبتُ إليه .

وفي رواية أخرى عند البخاري (٥٠٠٠) ، ومسلم (٢٤٦٢) من طريق شقيق بن سلمة قال : خطبنا ابن مسعود فقال : واللَّه لقد أخذت من فيِّ رسول اللَّه ﷺ بضعًا وسبعين سورة ، واللَّه لقد علم أصحاب النبي ﷺ أني من أعلمهم بكتاب اللَّه ، وما أنا بخيرهم ، قال شقيق : فجلست في الحِلَقِ أسمع ما يقولون ما سمعت رادًا يقول غير ذلك .

وفي «مسند الإمام أحمد» بسند صحيح (١/ ٤٢٠ - ٤٢١) عن ابن مسعود أنه كان يجتني سواكًا من الأراك وكان دقيق الساقين فجعلت الريح تكفؤه فضحك القوم منه ، فقال رسول اللَّه ﷺ : «مم تضحكون؟» قالوا : يا نبي اللَّه ، من دقَّة ساقيه ، فقال : «والذي نفسي بيده لهما أثقل في الميزان من أُحد» .

(١) قال رسول اللَّه ﷺ في شأن خالد ، كما في «مسند الإمام أحمد» بسند صحيح (٥/ ٢٩٩) : «اللهم هو سيف من سيوفك فانصره» . وانظر أيضًا البخاري (٤٢٦٢) .

(٢) أخرج الإمام أحمد (٦/ ٤٤٢) بإسناد صحيح لغيره من حديث أبي الدرداء رضي اللَّه عنه ، أن رسول اللَّه ﷺ قال : «ما أظلت الخضراء ، ولا أقلت الغبراء من ذي لهجة أصدق من أبي ذر» . والغبراء هي الأرض ، والخضراء : السماء ، واللَّه أعلم .

وانظر المنتخب لعبد بن حميد (بتحقيقي) رقم (٢٠٩) .

وهأنذا أؤيد مقالتي هذه بهذا الكلام الطيب الرائع الجميل لشيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالىٰ، من كتابه «السياسية الشرعية في إصلاح الراعي والرعيّة»، قال رحمه الله: والقوّة في كل ولاية بحسبها:

فالقوة في إمارة الحرب: ترجع إلىٰ شجاعة القلب، وإلىٰ الخِبْرةِ بالحروب، والمخادعة فيها، فإن الحرب خدعة، وإلىٰ القدرة علىٰ أنواع القتال مِن رمي وطعنٍ وضربٍ، وركوبٍ وكَرٍّ وفَرٍّ، ونحو ذلك، كما قال تعالىٰ: ﴿**وَأَعِدُّوا لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ الْخَيْلِ**﴾ [الأنفال: ٦٠].

وقال النبي ﷺ: «**ارْمُوا وَارْكَبُوا، وأَنْ تَرْمُوا أَحَبُّ إليَّ مِنْ أَنْ تَرْكَبُوا، ومَنْ تَعَلَّمَ الرَّمْيَ ثُمَّ نَسِيَهُ فَلَيْسَ مِنَّا**»، وفي رواية: «**فَهِيَ نِعْمَةٌ جَحَدَهَا**» رواه مسلم[١].

والقوة في الحكم بين الناس: ترجع إلىٰ العلم بالعدل الذي دل عليه الكتاب والسنة، وإلىٰ القدرة علىٰ تنفيذ الأحكام.

والأمانة: ترجع إلىٰ خشية الله، وألا يشتري بآياته ثمنًا قليلاً، وترك خشية الناس، وهذه الخصال الثلاث التي اتخذها الله علىٰ كل من حكم

---

(١) الحديث باللفظ المشار إليه لم أقف عليه في مسلم، والذي في مسلم الفقرة الأخيرة منه: «مَن عُلِّم الرمي ثم تركه فليس منّا - أو - قد عصىٰ» من حديث عقبة بن عامر رضي اللَّه عنه مرفوعًا (١٩١٩).

وعند مسلم أيضًا (١٩١٧) من حديث عقبة بن عامر: «سمعت رسول اللَّه ﷺ يقول وهو علىٰ المنبر: ﴿وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة﴾ ألا إن القوة الرمي، ألا إن القوة الرمي، ألا إن القوة الرمي».

أما الحديث بلفظ قريب من المشار إليه فقد أخرجه أبو داود (٢٥١٣)، والنسائي (٦/ ٢٢٣) وغيرهم، وفي إسناده بعض الكلام.

علىٰ الناس، في قوله تعالىٰ: ﴿ فَلا تَخْشَوُا النَّاسَ واخْشَوْنِ ولا تَشترُوا بآياتي ثَمَنًا قَليلاً ومَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ ﴾ [المائدة: ٤٤].

* * *

س: كيف عرفت المرأة قوّة موسى ـ عليه السلام ـ وأمانته؟

ج: ذهب أكثر المفسرين إلىٰ أنها عرفت قوّته برفعه الحجر الذي لا يقدر علىٰ رفعه إلا مجموعة من الرجال. أما أمانته؛ فلكونه مشىٰ أمامها وهي خلفه(١).

*وقد أخرج أبو يعلىٰ(٢) الموصلي بسند صحيح من طريق سعيد بن جبير، عن ابن عباس رضي الله عنهما في قول الله تعالىٰ: ﴿ وفتناك فتونًا... ﴾ [طه: ٤١] فذكر الأثر وفيه: قال: ﴿ قَالَتْ إِحْدَاهُمَا يَا أَبَتِ اسْتَأْجِرْهُ إِنَّ خَيْرَ مَنِ اسْتَأْجَرْتَ الْقَوِيُّ الأَمِينُ ﴾ [القصص: ٢٦]. فاحتملته الغيرة علىٰ أن قال: وما يدريك ما قوته، وما أمانته؟ قالت: أما أمانته: قوته: فما رأيت منه في الدلو حين سقىٰ لنا لم أرَ رجلاً أقوىٰ في ذلك السقي منه. وأما فإنه ينظر إلىٰ حين أقبلت إليه وشخصت له، فلما علم أني امرأة صوب رأسه، ولم يرفعه، ولم ينظر إليه حتىٰ بلغته رسالتك، ثم قال: امشي خلفي وانعتي لي الطريق، فلم يفعل هذا الأمر إلا وهو أمين. فسرِّي عن أبيها فصدَّقها وظن به الذي قالت.

* * *

(١) انظر أثر عمر المتقدم قريبًا.
(٢) مسند أبي يعلىٰ (٥/ ١٠)، والطبري (١٦/ ١٢٥).

س: من ترك شيئًا اتقاءً لله عوضه الله خيرًا منه، وضح ذلك من قصة موسى عليه السلام؟

ج: أما من قصة موسىٰ عليه السلام، فإنه عليه السلام لما غض بصره عن المرأة زوجه الله بها.

وأيضًا لما ترك أخذ الأجر على السُّقْيَا نُبلاً منه وكرمًا وشهامة عوضه الله خيرًا من ذلك؛ فجاءته المرأةُ تقول: ﴿ **إِنَّ أَبِي يَدْعُوكَ لِيَجْزِيَكَ أَجْرَ مَا سَقَيْتَ لَنَا** ﴾ [القصص: ٢٥].

هذا؛ وفي الحديث عن رسول الله ﷺ أنه قال لأحد أصحابِه: «**إنَّكَ لَنْ تَدعَ شَيْئًا اتِّقَاءً لله تَبَارَكَ وتَعَالَى إلا آتَاكَ اللهُ خَيْرًا مِنْه**»[(١)].

* * *

س: اذكر من سورة القصص ما يدل على جواز عرض الرجل ابنتَه على الرجل الصالح كي يتزوجها. ودعِّم ذلك بأدلة أُخر من غير سورة القصص.

ج: **أما من سورة القصص**: فقد قال الشيخ الكبير لموسىٰ عليه السلام: ﴿ **إِنِّي أُرِيدُ أَنْ أُنكِحَكَ إِحْدَى ابْنَتَيَّ هَاتَيْنِ عَلَىٰ أَن تَأْجُرَنِي ثَمَانِيَ حِجَجٍ . . .** ﴾[(٢)] [القصص: ٢٧].

---

(١) أخرجه أحمد في «المسند» (٥/ ٧٩)، وله مصادر أخرىٰ، وهو صحيح.

(٢) قال القرطبي رحمه اللّه تعالىٰ (١٣/ ١٧٩): قوله تعالىٰ: ﴿إني أريد أن أنكحك﴾ فيه عرض الوليّ بنته على الرجل، وهذه سنة قائمة، عَرَض صالح مدين ابنته على صالح بني إسرائيل، وعرض عمر بن الخطاب ابنته حفصة على أبي بكر وعثمان، وعَرَضت الموهوبة نفسها على النبي ﷺ، فَمِنَ الحَسَنِ عرض الرجل وليته، والمرأة نفسها على =

أما من غير سورة القصص: فعند البخاري[1] من حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما يُحدِّث أن عمر بن الخطاب حين تأيَّمتْ حفصةُ بنت عمر من خُنيس بن حذافة السهمي ـ وكان من أصحاب رسول الله ﷺ فتوفي بالمدينة ـ فقال عمر بن الخطاب أتيت عثمان بن عفان فعرضتُ عليه حفصةَ فقال: سأنظر في أمري، فلبثت ليالَي ثم لَقِيَني فقال: قد بدا لي أن لا أتزوج يومي هذا. قال عمر: فلقِيتُ أبا بكر الصديق فقلت: إن شئت زوَّجتُك حفصةَ بنتَ عمر فصَمَتَ أبو بكر فلم يُرجع إليَّ شيئًا، وكنت أوْجَدَ عليه منِّي على عثمان، فَلَبِثْتُ ليالَي ثم خطبها رسولُ الله ﷺ فأنكحتُها إيَّاه، فلقيني أبو بكر فقال: لعلك وجدتَ عليّ حين عرضتَ عليَّ حفصة فلم أرجع إليك شيئًا؟ قال عمر: قلت: نعم، قال أبو بكر: فإنه لم يمنعني أن أرجع إليك فيما عرضت عليَّ إلا أني كنت علمت أن رسول الله ﷺ قد ذكرها، فلم أكن لأُفشي سرَّ رسولِ الله ﷺ ولو تركها رسولُ الله ﷺ قبلتُها[2].

* وأخرج البخاري من حديث أم حبيبة[3] قالت: قلت: يا رسول الله،

= الرجل الصالح؛ اقتداءً بالسلف الصالح، قال ابن عمر: لما تأيمت حفصة قال عمر لعثمان: إن شئت أنكحتك حفصة بنت عمر... الحديث.

(١) البخاري (٥١٢٢).

(٢) قال الحافظ ابن حجر رحمه اللَّه (فتح الباري ٩/ ١٧٨): وفيه عرض الإنسان بنته وغيرها من مولياته على من يعتقد خيره وصلاحه؛ لما فيه من النفع العائد على المعروضة عليه، وأنه لا استحياء في ذلك، وفيه أنه لا بأس بعرضها عليه ولو كان متزوجًا؛ لأن أبا بكر كان حينئذٍ متزوجًا.

(٣) البخاري (حديث ٥١٠٧).

أنكحْ أختي بنتَ أبي سفيان. قال: «**وتُحبِّينَ؟**» قلت: نعم، لستُ لك بمخلية، وأحبُّ من شاركني في خيرٍ أختي، فقال النبي ﷺ: **إنَّ ذلكَ لا يَحِلُّ لي**»، قلت: يا رسول الله، فوالله إنا لنتحدث أنك تريد أن تنكح دُرَّة بنت أبي سلمة، قال: «**بنتُ أمِّ سَلَمَةَ؟**» فقلت: نعم، قال: «**فَوَالله لَوْ لَمْ تَكُنْ في حجْري مَا حَلَّتْ لي، إنَّها لابْنَةُ أخي من الرَّضَاعَةِ، أرْضَعَتْني وأبا سَلَمَةَ ثُوَيْبَةُ، فلا تَعْرِضْنَّ عليَّ بناتِكُنَّ ولا أَخَوَاتِكُنَّ**».

* وأخرج مسلم [1] في «صحيحه» من حديث عليٍّ رضي الله عنه، قال: قلت: يا رسول الله، ما لك تنوَّق [2] في قريش وتدعنا؟ فقال: «**وَعِنْدَكُمْ شيْءٌ؟**» قلت: نعم، بنت حمزة فقال رسول الله ﷺ: «**إنَّها لا تَحِلُّ لِي، إنَّها ابْنَةُ أخِي مِنَ الرَّضَاعَةِ**».

* * *

س: في قوله تعالى: ﴿قَالَ إِنِّي أُرِيدُ أَنْ أُنكِحَكَ إِحْدَى ابْنَتَيَّ هَاتَيْنِ﴾ دليل على الولاية في النكاح، وضح ذلك مع مزيد من الأدلة.

ج: إيضاحه: أن أمر النكاح هنا إلى الولي بدليل قوله: ﴿**إِنِّي أُرِيدُ أَنْ أُنكِحَكَ**﴾.

قال القرطبي رحمه الله:

وفي هذه الآية دليل على أن النكاح إلى الوليّ، لا حظ للمرأة فيه؛ لأن صالح مدين تولاه.

(١) مسلم (حديث ١٤٤٦).

(٢) تختار وتنتقي وتبالغ في الانتقاء.

وها هو مزيدٌ من الأدلة:

* قول الله تبارك وتعالىٰ: ﴿وَإِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَبَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَلَا تَعْضُلُوهُنَّ أَن يَنكِحْنَ أَزْوَاجَهُنَّ . . .﴾(١) [البقرة: ٢٣٢].

* قول الله تبارك وتعالىٰ: ﴿وَلَا تُنكِحُوا الْمُشْرِكِينَ حَتَّىٰ يُؤْمِنُوا﴾(٢) [البقرة: ٢٢١]

* وكذلك قوله تعالىٰ: ﴿وَأَنكِحُوا الْأَيَامَىٰ مِنكُمْ وَالصَّالِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَائِكُمْ﴾(٣) [النور: ٣٢].

* وكذلك قول الشيخ الكبير لموسىٰ عليه السلام: ﴿إِنِّي أُرِيدُ أَنْ أُنكِحَكَ إِحْدَى ابْنَتَيَّ هَاتَيْنِ﴾(٣) .

* ونحوه: قول عمر رضي الله عنه لعثمان رضي الله عنه بعد أن تأيَّمت حفصةُ رضي الله عنها من خنيس بن حذافة السهمي رضي الله عنه: إن شئت أنحكتُك حفصة. . . ، وقال أيضًا لأبي بكر الصديق رضي الله عنه، إن شئت زوَّجتُك حفصة بنت عمر. . الحديث.

* وكذلك قالت عائشة رضي الله عنها في وصف نكاح الجاهلية: (. . . فنكاح منها كنكاح الناس اليوم يخطب الرجل إلىٰ الرجل وليّته أو ابنتَه فيُصدقها ثم ينكحها . . .)(٤) .

---

(١) وجه الاستدلال: أن الولي قد يُعضل، وسيأتي سبب نزول الآية الكريمة عن قريب إن شاء اللّه.

(٢) وجه الاستدلال: من قوله تعالىٰ: ﴿ولا تُنكحوا﴾ فالذي يُنكح هو الولي.

(٣) ففيها أن الذي يُنكح هم الرجال.

(٤) أخرجه البخاري (الفتح ٩/ ١٨٢).

* وأصرح من هذا كله ما استدل به الجمهور من حديث أبي موسىٰ الأشعري رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «**لا نكاحَ إلا بوَليٍّ**».

* وكذلك حديث عائشة رضي الله عنها أن النبي ﷺ قال: «**أيُّمَا امْرأة نَكَحَتْ بغَيْرِ إذْن مَوَاليـهَا فَنكَاحُهَا باطلٌ (ثلاثًا) ولَهَا مَهْرُهَا بِمَا أصَابَ مِنْهَا، فإنْ اشْتَجَرُوا فإنَّ السلطان وَلِيُّ مَنْ لا وَلِيَّ لَهُ**».

وذهب بعض العلماء إلىٰ أن الثيب تزوِّج نفسها مستدلين بقول النبي ﷺ «**الثيِّبُ أحَقُّ بِنَفْسِهَا**».

ولا يصفو لهم هذا الاستدلال؛ فقول النبي ﷺ يفسر بعضُه بعضًا، فقد قال النبيُّ ﷺ: **لا تُنْكَحُ الأيِّمُ حَتَّى تُسْتَأمَرَ، ولا تُنْكَحُ البِكْرُ حَتَّى تُسْتَأذَنَ**...» الحديث.

ومعنى: «تُستأمَرَ» أوضحه الحافظ ابن حجر رحمه الله في «فتح الباري» (٩/ ١٩٢) فقال:

أصل الاستئمار طلب الأمر، فالمعنىٰ: لا يُعقد عليها حتىٰ يُطلب الأمرُ منها.

ويؤخذ من قوله: «تُستأمر» أنه لا يعقد إلا بعد أن تأمر بذلك، وليس فيه دلالة علىٰ عدم اشتراط الولي في حقها، بل فيه إشعار باشتراطه.

قلت: هذا بالنسبة للثيب، وهذا يفسر قول النبي ﷺ: «**الأيِّمُ أحَقُّ بِنَفْسِهَا**» إعمالاً للأدلة كلها.

ويقوِّي ذلك العمومُ الوارد في قول النبي ﷺ: «**لا نِكَاحَ إلا بِوَليٍّ**» وقول

(١) إسناده صحيح، وأخرجه أبو داود (٢٠٨٥).

الله عز وجل: ﴿فلا تعضلوهن﴾ وواضح من سبب نزول الآية أنها نزلت في ثيب، والله أعلم[١]

* * *

س: هل يجوز لرجلٍ أن ينظر إلى امرأتين كي يتزوج إحداهما؟

ج: الظاهر - والله أعلم -: أن له هذا وذلك لقول الرجل الصالح لموسىٰ عليه السلام: ﴿إِنِّي أُرِيدُ أَنْ أُنكِحَكَ إِحْدَى ابْنَتَيَّ هَاتَيْنِ﴾ [القصص: ٢٧]، ولقول سعد بن الربيع لعبد الرحمن بن عوف لما آخىٰ بينهما رسول الله ﷺ بالمدينة: (وانظر إلىٰ إحدىٰ زوجتي هاتين).

* أخرج البخاري[٢] من طريق إبراهيم بن سعد عن أبيه عن جده رضي الله عنه قال: «لما قدموا المدينة آخىٰ رسولُ الله ﷺ بين عبدِ الرحمن وسعد بن الرَّبيع.

قال لعبد الرحمن: إني أكثر الأنصار مالاً، فاقسِمْ مالي نصفَين، ولي امرأتان، فانظرْ أعجبَهما إليك فسَمِّها لي أطلِّقها، فإذا انقضتْ عدَّتُها فتزوجْها.

قال: بَارَكَ اللهُ لك في أهلكِ ومالكِ، أين سُوقُكم، فدلُّوهَ علىٰ سوقِ بني قينُقاعَ، فما انقلب إلا ومَعَهُ فضلٌ من أقطٍ وسمَنٍ.

ثم تابع الغدُوَّ. ثم جاء يومًا وبه أثر صفرةَ، فقال النبيُّ ﷺ: «مَهْيَم؟» قال: تزوجتُ. قال: «كَمْ سُقت إليها؟» قال: نواةً من ذهب - أو وزن نواةٍ

(١) وانظر تخريج هذا كله في كتابنا «جامع أحكام النساء»، وكله صحيح.
(٢) البخاري (حديث ٣٧٨٠).

مِن ذهب ـ شَكَّ إبراهيم.

* وعنده [١] أيضًا من حديث أنس رضي الله عنه أنه قال: قدِمَ علينا عبدُ الرحمن بن عوف وآخىٰ النبيُّ ﷺ بينَه وبين سعد بن الربيع ـ وكان كثيرَ المالِ ـ فقال سعد: قد علِمَت الأنصارُ أنِّي من أكثرِهَا مالاً، سأقسِمُ مالي بيني وبينك شطرَيْنِ، وليَ امرأتانُ انظرْ أعجبهما إليك فأطلِّقُها حتىٰ إذا حَلَّتْ تزوجتَها، فقال عبدُ الرحمن: بارك الله لك في أهلِك. فلم يرجعْ يومئذٍ حتىٰ أفضل شيئًا من سمنٍ وأقِطٍ، فلم يَلْبَثْ إلا يسيراً حتىٰ جاء رسولَ الله ﷺ وعليه وَضَرٌ من صُفْرة. فقال له رسولُ الله ﷺ: «**مَهْيَمْ؟**» قال: تزوجتُ امرأةً من الأنصارِ، قال: «**ما سُقْتَ فيهَا؟**» قال: وزن نواة من ذهب ـ أو نواةً من ذهب ـ فقال: «**أوْلِمْ ولَوْ بِشَاة**».

* * *

س: امرأة تقدم لها شخصٌ يخطبها فرآها، ولم تُبد له موافقةً ولا رفضًا، هل لشخص آخر أن يتقدم إليها ويراها لخطبتها قبل أن تبدي الموافقة أو الرفض للأول؟

ج: نعم، ذلك جائز لحديث فاطمة بنت قيس [٢]؛ ففيه:

أن فاطمة بنت قيس ذكرت للنبي ﷺأن معاوية بن أبي سفيان وأبا جهمٍ خطباها فقال رسولُ الله ﷺ: «**أمَّا أبُو جَهْم فلا يَضَعُ عَصَاهُ عنْ عَاتقه، وأمَّا مُعَاوِيَةُ فَصُعْلُوكٌ لا مَالَ لَهُ، أنْكحي أُسَامَةَ بْنَ زَيْد**»، فكرهتْه، ثم قال: «**أنْكَحِي أُسَامَةَ**» فنكحته فجعل الله فيه خيراً واغتبطت به.

---

(١) البخاري (حديث ٣٧٨١).

(٢) مسلم (٣/ ٦٩٣).

وقد قال عدد كبير من أهل العلم في تفسير حديث رسول الله ﷺ: **«لا يَخْطُبْ أحَدُكُم على خِطْبَةِ أخِيه» ما حاصلُهُ:**

إذاتقدم رجلٌ لخطبة امرأةٍ فرآها ورأتْه، ولم تركن إليه ولم تُبدِ له موافقةً، فيجوز لغيره أن يتقدَّم لخطبتها، فالعبرة برضا المخطوبة وركُونها إلىٰ الخاطب، فإذا رَضِيَتِ المخطوبة بالخاطب وركنت إليه فلا يحلُّ لأحدٍ أن يتقدَّم إليها حتىٰ يترك الخاطبُ الأولُ.

وهذه بعض أقوالهم في ذلك:

قالٰ الإمام مالك رحمه الله تعالى «الموطأ» (ص ٥٢٣):

وتفسيرُ قول رسول الله ﷺ - فيما نرىٰ والله أعلم -: **«لا يَخْطُبْ أحَدُكُم عَلى خِطْبَةِ أخِيه»** أن يخطب الرجل المرأة فتركن إليه، ويتفقان علىٰ صداق واحد معلوم، وقد تراضيا، فهي تشترط عليه لنفسها، فتلك التي نَهىٰ أن يخطبها الرجل علىٰ خطبة أخيه، ولم يعْنِ بذلك إذا خطب الرجل المرأة فلم يوافقها أمرُه، ولم تركن إليه أن لا يخطبها أحد فهذا بابُ فسادٍ يدخل علىٰ الناس.

قال الترمذي رحمه الله (عقب حديث ١١٣٤):

قال مالك بن أنس: إنما معنىٰ كراهية أن يخطب الرجل علىٰ خِطبة أخيه إذا خطب الرجل المرأة فرضَيَتْ به، فليس لأحدٍ أن يخطب علىٰ خطبته.

وقال الشافعي:

معنىٰ هذا الحديث: **«لا يخطب الرجلُ على خِطْبَةِ أخيه»** هذا عندنا إذا خطب الرجل المرأة فرضيت به وركنت إليه، فليس لأحد أن يخطب علىٰ

خطبته، فأما قبل أن يعلم رضاها أو ركونها إليه فلا بأس أن يخطبها.

والحجة في ذلك حديث فاطمة بنت قيس حيث جاءت النبي ﷺ فذكرت له أن أبا جهم بن حذيفة ومعاوية بن أبي سفيان خطباها فقال: «**أما أبو جهم فرجلٌ لا يرفع عصاه عن النساء، وأما معاوية فصعلوك لا ما له، ولكن أنكحِي أسامة**».

فمعنى هذا الحديث عندنا ـ والله أعلم ـ أن فاطمة لم تخبره برضاها بواحد منهما، ولو أخبرته لم يُشِر عليها بغير الذي ذكرت.

وقال أبو جعفر الطحاوي ـ رحمه الله ـ «شرح معاني الآثار» (٣/ ٦):

فلما خطب رسول الله ﷺ فاطمة على أسامة بعد علمه بخطبة معاوية وأبي جهم إياها، كان في ذلك دليلٌ على أن تلك الحال يجوز للناس أن يخطبوا فيها، وثبت أن المنهي عنه بالآثار الأُوَل خلاف ذلك فيكون ما تقدم ذكرنا له ي هذا الباب ما فيه الركون إلى الخاطب، وما ذكرنا بعد ذلك، ما ليس فيه ركون إلى الخاطب حتى تصح هذه الآثار وتتفق معانيها ولا تتضاد.

وقال الخرقي ـ رحمه الله ـ في مختصره (٦/ ٦٠٤):

من خطب امرأة فلم تسكن إليه فلغيره خطبتها.

والحجة في ذلك حديثُ فاطمة بنت قيس حيث جاءت النبي ﷺ فذكرت له أن أبا جهم بن حذيفة ومعاوية بن أبي سفيان خطباها فقال: «**أما أبو جَهْمٍ فرَجُلٌ لا يَرْفَعُ عَصَاهُ عنِ النِّساءِ، وأمَّا مُعَاوِيَةُ فَصُعْلُوكَ لا مَالَ لَهُ، ولكن أُنكحِي أُسَامَةَ**».

فمعني هذا الحديث عندنا ـ والله أعلم ـ أن فاطمة لم تخبره رضاها بواحدٍ منهما ولو أخبرته لم يُشِرْ عليها بغير الذي ذكرت.

وقال أبو جعفر الطحاوي رحمه الله «شرح معاني الآثار» (٣/ ٦):

فلما خطب رسول الله ﷺ فاطمة علىٰ أسامة بعد علمه بخطبة معاوية وأبي جهم إياها، كان في لك دليل علىٰ أن تلك الحال يجوز للناس أن يخطبوا فيها، وثبت أن المنهي عنه بالآثار الأُوَل خلاف ذلك فيكون ما تقدم ذِكرنا له في هذا الباب ما فيه الركون إلىٰ الخاطب، وما ذكرنا بعد ذلك، ما ليس فيه ركون إلىٰ الخاطب حتىٰ تصح هذه الآثار وتتفق معانيها ولا تتضاد.

وقال الخرقي رحمه الله في مختصره (٦/ ٦٠٤):

ومن خطب امرأة فلم تسكن إليه فلغيره خطبتها.

وفصَّل ابن قدامة حال المخطوبة إلى ثلاثة أقسام:

(الأول) أن تسكن إلىٰ الخاطب فتُجيبه، أو تأذن لوليها في تزويجه؛ فهذه يحرم علىٰ غير خاطبها خطبتها.

(الثاني) أن ترده ولا تركن إليه؛ فهذه يجوز خطبتها.

(الثالث) أن يوجد من المرأة ما يدل علىٰ الرضىٰ والسكون تعريضًا لا تصريحًا. واختار ابن قدامة في هذه الحال أنها تمنع من الخُطَّاب الآخرين.

قال الحافظ ابن حجر ـ رحمه اللَّه ـ (فتح الباري ٩/ ١٩٩):

وإذا لم تَرُدَّ ولم تقبل فيجوز، والحجة فيه قول فاطمة[1] : خطبني معاوية

(١) أي: بنت قيس.

وأبو جهم فلم ينكر النبي ﷺ ذلك عليهما بل خطبها لأسامة[١] .

* * *

س ـ هل لولي المرأة أن يستفيد شيئًا من صداقها؟

ج: الأصل أن صداق المرأة لها، وذلك لقوله تعالى: ﴿ **وَآتُوا النِّسَاءَ صَدُقَاتِهِنَّ نِحْلَةً** ﴾ [النساء: ٤]، ولقوله ﷺ: «**فهو بما استحللت من فرجها**»[٢] وفي رواية «**فقد دخلت بها**» إلى غير ذلك من الأدلة.

لكن إن طابت المرأة نفسًا بإعطاء أبيها شيًا فلا بأس بذلك؛ قال الشيخ الصالح لموسى عليه السلام: ﴿ **إِنِّي أُرِيدُ أَنْ أُنكِحَكَ إِحْدَى ابْنَتَيَّ هَاتَيْنِ عَلَى أَن تَأْجُرَنِي ثَمَانِيَ حِجَجٍ** ﴾ [القصص: ٢٧].

* * *

---

(١) قال الحافظ عقب هذا الكلام: وأشار النووي وغيره إلى أنه لا حجة فيه؛ لاحتمال أن يكونا خطبا معًا، أو لم يعلم الثاني بخطبة الأول، والنبي ﷺ أشار بأسامة ولم يخطب، وعلى تقدير أن يكون خطب فكأنه لما ذكر لها ما في معاوية وأبي الجهم ظهر منها الرغبة عنهما فخطبها لأسامة.

قلت (والقائل مصطفى):

وما زال وجه الاستشهاد بقصة فاطمة قائمًا وحاصله (على أي الأوجه) أن فاطمة جاءت تستشير رسول الله ﷺ في معاوية وأبي جهم لما تقدما لخطبتها، فما بادرها النبي ﷺ بقوله: إنه لا يجوز لأحدهما أن يتقدم لك حتى تُبَتِّي في شأن الآخر.

ثم إنه لم يَرِد في الحديث أيضًا أنها رغبت عن معاوية وأبي جهم في أول الأمر.

فعليه: يجوز للرجل أن يتقدم لخطبة امرأة تقدم لها خُطاب غيره ولم تُظهر الركون لأحدهم، والله أعلم.

(٢) البخاري (٥٣١٢، ٥٣١١)، ومسلم ص (١١٣١).

س ـ ما مدي صحة المروي عن رسول اللَّه ﷺ وفيه: «إنَّ مُوْسَى آجَرَ نَفْسَه بعفَّة فَرْجه وَطُعْمَة بَطْنه»؟

ج: ابتداء فالمعنى الوارد في هذا الحديث معنى صحيح، استفيدت صحته من الآيات الكريمة.

* أما بالنسبة لأسانيد هذا الحديث ـ التي وقفنا عليها ـ فكلها أسانيد ضعيفة:

* منها: ما أخرجه ابن ماجه[1] في سننه من حديث عتبة بن النُّدَّر قال: كنا عند رسول اللَّه ﷺ فقرأ ﴿طسٓمٓ﴾ [القصص: ١] حتى إذا بلغ قصة موسى قال: «إنَّ مُوسَى ﷺ آجَرَ نَفْسَهُ ثَمَانِ سِنِينَ أَوْ عَشْرًا عَلى عِفَّة فَرْجِه وَ طَعَامِ بَطْنِه».

وفي سنده مسلمة بن علي وهو ضعيف جدًّا، وفيه أيضًا بقية بن الوليد؛ مدلسٌ تدليسَ التسوية وقد عنعن.

وثمَّ أسانيد أُخر فيها ابن لهيعة وغيره.

* * *

س: هل يجوز للرجل أن يؤجل شيئًا من الصداق، أو أن يكتب على نفسه صداقًا مؤخرًا لزوجته؟

ج: نعم هذا جائز، فموسى عليه السلام ألزم نفسه بالعمل ثمانية أعوام كأجير عند ولي الزوجة مقابل زواجه بها.

وقال تعالى: ﴿وَإِن طَلَّقْتُمُوهُنَّ مِن قَبْلِ أَن تَمَسُّوهُنَّ وَقَدْ فَرَضْتُمْ لَهُنَّ

(١) أخرجه ابن ماجه (٢٤٤٤).

فَرِيضَةً فَنِصْفُ مَا فَرَضْتُمْ ﴾ [البقرة: ٢٣٧]؛ أي: فادفعوا لهن نصف ما فرضتم، فدلَّ ذلك على أنهم كانوا قد أَجَّلُوا دفع الصداق.

وكذلك قال النبي ﷺ[١] لصحابيٍّ من الصحابة - في قصة الواهبة -: «**هل معك من القرآن شيءٌ؟**» قال معي سورة كذا وسورة كذا.

قال: «**اذْهَب فَقَدْ أَنْكَحْتُكَهَا بِمَا مَعَكَ مِنَ الْقُرْآنِ**»؛ فعلى رأي من فسر الحديث بأن الصحابي سيعلمها القرآن ففي رواية عند مسلم: «**فَعَلِّمْهَا مِنَ الْقُرْآنِ**»[٢]؛ فهذا صداق مؤجل، واللَّه تعالى أعلم.

* * *

س: هل يجوز للأب أن يستفيد شيئًا من صداق ابنته؟

ج: نعم له ذلك إذا كان برضاها، لقول العبد الصلاح: ﴿ **إِنِّي أُرِيدُ أَنْ أُنكِحَكَ إِحْدَى ابْنَتَيَّ هَاتَيْنِ عَلَىٰ أَن تَأْجُرَنِي ثَمَانِيَ حِجَجٍ** ﴾ [القصص: ٢٧].

والأصل أن الصداق للمرأة لقول اللَّه تعالى: ﴿ **وَآتُوا النِّسَاءَ صَدُقَاتِهِنَّ نِحْلَةً فَإِن طِبْنَ لَكُمْ عَن شَيْءٍ مِّنْهُ نَفْسًا فَكُلُوهُ هَنِيئًا مَّرِيئًا** ﴾ [النساء: ٤].

* * *

س: هل يجوز الإنكاح على الإجارة؟

ج: نعم يجوز ذلك، لقول العبد الصالح: ﴿ **إِنِّي أُرِيدُ أَنْ أُنكِحَكَ إِحْدَى ابْنَتَيَّ هَاتَيْنِ عَلَىٰ أَن تَأْجُرَنِي ثَمَانِيَ حِجَجٍ** ﴾ [القصص: ٢٧].

ولقول النبي ﷺ: «**زَوَّجْتُكَهَا بِمَا مَعَكَ مِنَ الْقُرْآنِ**».

---

(١) البخاري (حديث ٥١٤٩)، ومسلم ص (٥٨٤).

(٢) وهناك وجه آخر، وهو أن المعنى: زوجتكها من أجل ما معك من القرآن؛ إكرامًا وتشريفًا لك بحفظك القرآن، واللَّه أعلم.

فَلَمَّا قَضَىٰ مُوسَى ٱلْأَجَلَ وَسَارَ بِأَهْلِهِۦٓ ءَانَسَ مِن جَانِبِ
ٱلطُّورِ نَارًاۖ قَالَ لِأَهْلِهِ ٱمْكُثُوٓا۟ إِنِّىٓ ءَانَسْتُ نَارًا لَّعَلِّىٓ ءَاتِيكُم
مِّنْهَا بِخَبَرٍ أَوْ جَذْوَةٍ مِّنَ ٱلنَّارِ لَعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ
٢٩ فَلَمَّآ أَتَىٰهَا نُودِىَ مِن شَٰطِئِ ٱلْوَادِ ٱلْأَيْمَنِ فِى ٱلْبُقْعَةِ
ٱلْمُبَٰرَكَةِ مِنَ ٱلشَّجَرَةِ أَن يَٰمُوسَىٰٓ إِنِّىٓ أَنَا ٱللَّهُ رَبُّ
ٱلْعَٰلَمِينَ ٣٠ وَأَنْ أَلْقِ عَصَاكَۖ فَلَمَّا رَءَاهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا
جَآنٌّ وَلَّىٰ مُدْبِرًا وَلَمْ يُعَقِّبْۚ يَٰمُوسَىٰٓ أَقْبِلْ وَلَا تَخَفْۖ إِنَّكَ
مِنَ ٱلْأَامِنِينَ ٣١ ٱسْلُكْ يَدَكَ فِى جَيْبِكَ تَخْرُجْ بَيْضَآءَ مِنْ
غَيْرِ سُوٓءٍ وَٱضْمُمْ إِلَيْكَ جَنَاحَكَ مِنَ ٱلرَّهْبِۖ فَذَٰنِكَ
بُرْهَٰنَانِ مِن رَّبِّكَ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَإِي۟هِۦٓۚ إِنَّهُمْ كَانُوا۟
قَوْمًا فَٰسِقِينَ ٣٢ قَالَ رَبِّ إِنِّى قَتَلْتُ مِنْهُمْ نَفْسًا فَأَخَافُ
أَن يَقْتُلُونِ ٣٣ وَأَخِى هَٰرُونُ هُوَ أَفْصَحُ مِنِّى لِسَانًا
فَأَرْسِلْهُ مَعِىَ رِدْءًا يُصَدِّقُنِىٓۖ إِنِّىٓ أَخَافُ أَن يُكَذِّبُونِ ٣٤
قَالَ سَنَشُدُّ عَضُدَكَ بِأَخِيكَ وَنَجْعَلُ لَكُمَا سُلْطَٰنًا فَلَا
يَصِلُونَ إِلَيْكُمَاۚ بِـَٔايَٰتِنَآ أَنتُمَا وَمَنِ ٱتَّبَعَكُمَا ٱلْغَٰلِبُونَ ٣٥

س: اذكر معنى ما يلي:

(آنس ـ الطور ـ امكثوا ـ جذوة من نار ـ تصطلون ـ شاطئ الوادي الأيمن ـ تهتز ـ جانّ ـ مُدبرا ـ لم يعقب ـ اسلك ـ جيبك ـ من غير سوء ـ جناحك ـ الرهب ـ برهانان ـ ملأه ـ فاسقين ـ أفصح ـ ردءًا ـ سنشد عضدك ـ سلطانًا ـ بآياتنا ـ بينات).

ج:

الكلمة	معناها
آنس	أبصر ـ أحسَّ ـ رأى.
الطور	الجبل الذي كلَّم اللَّه ـ سبحانه وتعالى ـ عنده موسى عليه السلام.
امكثوا	انتظروا ـ تمهلوا.
جذوة من نار	شعلةً ـ قطعة غليظة من الحطب فيها نار ـ جمرة ـ أصل شجرة فيها نار.
تصطلون	تستدفئون ـ تسخنون بها من البرد.
شاطئ الوادي الأيمن	ناحية الوادي عن يمين موسى، وقيل: عن يمين الجبل.
تهتز	تضطرب ـ تتحرك.
جانّ	نوع عظيم من أنواع الحيات.
مُدبرًا	هاربًا.

لم يعقب	لم يرجع على عقبيه ـ لم يلتفت ـ لم ينظر .
اسلك	أدخِل .
جيبك	جيب قميصك (فتحة الصدر) .
من غير سوء	من غير مرض ـ من غير برصٍ .
جناحك	يدك ـ ذراعك .
الرهب	الخوف ـ الرعب ـ الفزع .
برهانان	آيتان ـ حُجتان ـ دلالتان .
ملأه	أشراف قومه .
فاسقين	خارجين عن الطاعة (والمراد هنا كفَّار) .
افصح	أبين ـ أوضح ـ أفصح .
ردءًا	عونًا ـ معينًا .
سنشد	سنقويك ـ سنعينك ـ سنقوي أمرك .
عضدك	
سلطانًا	حجةً وبرهانًا ـ تسلطًا ـ هيبةً في قلوب الأعداء .
بآياتنا	بأدلتنا وحُججنا .
بينات	ظاهرات واضحات .

س: هل يجوز للرجل أن ينقل زوجته من بلدة أهلها إذا تزوجها؟

ج: نعم يجوز له ذلك ما لم تشترط قبل الزواج أن تبقىٰ في بلدة أهلها، ، وقد انتقل موسىٰ بأهله، قال تعالىٰ: ﴿فَلَمَّا قَضَىٰ مُوسَى الأَجَلَ وَسَارَ بِأَهْلِهِ﴾ [القصص: ٢٩].

قال القرطبي رحمه الله:

قوله تعالىٰ: ﴿وَسَارَ بِأَهْلِهِ﴾: فيه دليل علىٰ أن الرجل يذهب بأهله حيث شاء؛ لما له عليها من فضل القوامية وزيادة الدرجة، إلا أن يلتزم لها أمرًا فالمؤمنون عند شروطهم، وأحق الشروط أن يوفي به ما استُحلتْ به الفروج.

❊ ❊ ❊

س: أي الأجلين قضاهما موسى عليه السلام؟

ج: لم يصح في ذلك خبرٌ عن رسول الله ﷺ، ولكن ذهب أكثر المفسرين إلىٰ أنه قضىٰ أكمل الأجلين وأوفاهما.

وفي الباب أثر عن ابن عباس (١) رضي الله عنهما أنه قال - وقد سئل -: أي الأجلين قضىٰ موسىٰ؟ قال خيرهما وأوفاهما.

وهو صحيح عن ابن عباس رضي الله عنهما.

❊ ❊ ❊

س: وضح المراد بقوله تعالى: ﴿البقعة المباركة من الشجرة﴾.

ج: المراد - والله أعلم -: البقعة المباركة من ناحية الشجرة.

❊ ❊ ❊

(١) أخرجه الطبري (٢٧٤٠١)، وهو صحيح بمجموع طرقه.

س: قوله تعالى: ﴿إنك من الآمنين﴾ آمنون من ماذا؟

ج: آمنون من الأعداء، وآمنون من كل ما يخشى منه.

* * *

س: هل كلَّم اللَّه نبيَّنا محمدًا ﷺ؟

ج: قال بذلك بعض أهل العلم.

* ففي حديث المعراج عند مسلم[1] من حديث أنس بن مالك رضي اللَّه عنه، أن رسول اللَّه ﷺ قال: «**أُتِيتُ بِالْبُرَاقِ...**» فذكر الحديث.

* وفيه: أن النبي ﷺ قال: «**فرجعت إلى ربي فقلت يارب خفف عن أمتي ....الحديث**».

* وفيه أيضًا قال: «**فلم أزل أرجع بين ربي تبارك وتعالى وبين موسى عليه السلام حتى قال: يا محمد، إِنَّهُنَّ خَمْسُ صَلَوَاتٍ كُلَّ يَوْمٍ وَلَيْلَة، لكُلِّ صَلَاة عَشْرٌ، فَذَلكَ خَمْسُونَ صَلاةً. وَمَنْ هَمَّ بِحَسَنَة فَلَمْ يَعْمَلْهَا كُتِبَتْ لَهُ حَسَنَةً، فَإِنْ عَمِلَهَا كُتِبَتْ لَهُ عَشْرًا. وَمَنْ هَمَّ بِسَيِّئَة فَلَمْ يَعْمَلْهَا لَمْ تُكْتَبْ شَيْئًا، فَإِنْ عَمِلَهَا كُتِبَتْ سَيِّئَةً وَاحِدَةً**».

قال: «**فَنَزَلْتُ حَتَّى انْتَهَيْتُ إِلَى مُوسَى ﷺ فَأَخْبَرْتُهُ. فَقَالَ: ارْجِعْ إِلَى رَبِّكَ فَاسْأَلْهُ التَّخْفِيفَ**» فقال رسول اللَّه ﷺ «**فَقُلْتُ: قَدْ رَجَعْتُ إِلَى رَبِّي حَتَّى اسْتَحْيَيْتُ مِنْهُ**».

* * *

(١) مسلم (حديث ١٦٢)، وانظر أيضًا البخاري (٣٤٩ وغيره).

س: لماذا أُمر موسى عليه السلام أن يدخل يده في جيبه؟ ولماذا أمر بضم يده إلى جناحه؟ وضح أيضًا المراد بقوله تعالى ﴿ واضمم إليك جناحك ﴾؟

ج: للدلالة على قدرة اللَّه عز وجل؛ حيث خرجت يده بيضاء من غير سوء.

أما: لماذا أُمر بضم يده إلى جناحه؟: فإن الشخص إذا اعتراه خوفٌ فوضع يده على صدره ذهب ذلك الخوف عنه، ذكر ذلك بعض أهل العلم.

قال الحافظ بن كثير رحمه اللَّه:

وقوله: ﴿ **وَاضْمُمْ إِلَيْكَ جَنَاحَكَ مِنَ الرَّهْبِ** ﴾، قال مجاهد: من الفزع. وقال قتادة: من الرعب. وقال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم، وابن جرير: مما حصل لك من خوفك من الحية.

والظاهر: أن المراد أعم من هذا، وهو أنه أمر ـ عليه السلام ـ إذا خاف من شيء أن يضم إليه جناحه من الرهب وهي يده، فإذا فعل ذلك ذهب عنه ما يجده من الخوف، وربما إذا استعمل أحد ذلك على سبيل الاقتداء فوضع يده على فؤاده، فإنه يزول عنه ما وجد أو يخف إن شاء اللَّه

وذكر القرطبي رحمه اللَّه أقوالاً في المراد بضم الجناح:

منها: إذا هالك أمرُ يدك وشعاعها فأدخلها في جيبك واردها إليه تعد كما كانت.

ومنها: أمره اللَّه أن يضم يده إلى صدره فيذهب عنه خوف الحية.

ومنها: أن المراد بضم الجناح السكون؛ كقوله تعالى ﴿ **وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ**

الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ ﴾ [الإسراء: ٢٤] يريد الرفق، وكذلك قوله تعالىٰ: ﴿ **وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ** ﴾ أي ارفق بهم.

وثمَّ أقوال أخر.

* * *

س: إلامَ أشير بقوله: ﴿ فذانك برهان من ربك ﴾؟ وما معنى ﴿ فذانك برهانان ﴾؟

ج: ذلك إشارة إلىٰ اليد التي تحولت إلىٰ حية تسعىٰ كأنها جان، واليد التي خرجت بيضاء من غير سوء.

وأما قوله تعالىٰ: ﴿ **فَذَانِكَ بُرْهَانَانِ** ﴾ يعني - والله تعالىٰ أعلم -: فهذان دليلان قاطعان واضحان علىٰ صحة نبوتك، وقبل ذلك علىٰ قدرة الله عز وجل.

* * *

س: لماذا كان هارون عليه السلام أفصح لسانًا من موسى عليه السلام؟

ج: أولاً وقبل كل شيء: النعم والمواهب فضل من الله يؤتيه من يشاء.

ثم إن من أهل العلم من التمس سببًا لذلك، ألا وهو أن موسىٰ عليه السلام كان بلسانه لثغة لما خُيِّر وهو طفل صغير بين التمرة والجمرة فاختار الجمرة فلثغت لسانه، وكان ذلك سببًا في إنجائه من فرعون لما أرادوا البطش به وهو طفل صغير، ففي حديث الفتون[1] عن ابن عباس رضي الله عنهما

---

(١) أبو يعلىٰ (١٥/ ١٠ المسند) بسند صحيح.

في قوله تعالىٰ: ﴿وَفَتَنَّاكَ فُتُونًا﴾ [طه: ٤٠] فذكر الحديث، وفيه قال: «فلما ترعرع قالت امراةُ فرعون لأمِّ موسى أريدُ أن تريني ابني، فوعدتها يومًا تريها إياها، فقالت امرأة فرعون لخزانها وقهارمتها وظؤورتها: لا يَبقينَّ أحدٌ منكم إلا استقبل ابني اليومَ بهدية وكرامة لأرى ذلك فيه. وأنا باعثةٌ أمينًا يُحصي كل ما يصنع كلُّ إنسان منكم. فلم تزل الهدايا والكرامة والنحلَ تستقبله من حينِ خرجَ من بيت أمه إلى أن أُدخلَ على امراة فرعونَ.

فلما دخل عليها بجلتْه وأكرمتْه وفرحتْ به، وأعجبَها وبجلت أمَّهُ بحسنِ أثرها عليه ثم قالت: لآتينَّ به فرعونَ فليبجلنَّهُ وليكرمنَّهُ.

فلما دخلتْ به عليه جعلتهُ في حجره فتناولَ موسى لحيةَ فرعونَ، فمدها إلى الأرض. فقال الغواة أعداء اللَّه لفرعون: ألا ترى إلى ما وعد اللَّه إبراهيم نبيَّه؛ أنَّه يربُّك ويعلوكَ ويصرعُك؟! فأرسل إلى الذباحين ليذبحوه، وذلك من الفتون - يابن جبير - بعد كلِّ بلاءٍ ابتليَ وأربكَ به فتونا!

فجاءت امرأةُ فرعونَ تسعى إلى فرعون، فقالت: ما بدا لك في هذا الغلام الذي وهبته لي؟ قال: ترينه يزعمُ أنه يصرعُني ويعلوني. قالت: اجعل بيني وبينك أمرًا تعرفُ الحقَّ فيه: ائت بجمرتين ولؤلؤتين فقربهنَّ إليه، فإن بطشَ باللؤلؤتين واجتنب الجمرتين عرفتَ أنه يعقلُ وإن تناول الجمرتين ولم يُردِ اللؤلؤتين علمت أن أحدًا لا يؤثرُ الجمرتينِ على اللؤلؤتينِ وهو يعقلُ. فقرب ذلك، فتناول الجمرتين فانتزعوهما من يده مخافةَ أن تحرقاه.

فقالت المرأةُ: ألا ترى؟ فصرفهُ اللَّهُ عنهُ بعدما كان قد همَّ به، وكان اللَّهُ عز وجل بالغًا فيه أمرهُ.

* * *

س: وضح المراد بقوله: ﴿رَبِّ إِنِّي قَتَلْتُ مِنْهُمْ نَفْسًا فَأَخَافُ أَن يَقْتُلُونِ﴾.

ج: يريد موسىٰ عليه السلام بالنفس هنا المقتول القبطي الذي قتله موسىٰ عليه السلام، وخرج بسببه من مصر خائفًا يترقب.

ويريد بذلك ـ والله أعلم ـ مزيداً من الطمأنينة من الله عز وجل، والله تعالىٰ أعلم.

* * *

س: لماذا سأل موسى ربه أن يجعل له وزيرًا من أهله وهو هارون عليه السلام؟

ج: ذلك ـ والله أعلم ـ: لإعانته ومؤازرته في الدعوة إلىٰ الله كما قال: ﴿**فَأَرْسِلْهُ مَعِي رِدْءًا يُصَدِّقُنِي**﴾ [القصص: ٣٤].

* ولمؤازرته ومعاونته في التقرب إلىٰ الله بسائر الطاعات، كما قال: ﴿**كَيْ نُسَبِّحَكَ كَثِيرًا ﴿٣٣﴾ وَنَذْكُرَكَ كَثِيرًا ﴿٣٤﴾ إِنَّكَ كُنتَ بِنَا بَصِيرًا**﴾ [طه: ٣٣].

وكما قال تعالىٰ: ﴿**قَدْ أُجِيبَت دَّعْوَتُكُمَا**﴾ [يونس: ٨٩].

* ولكون هارون عليه السلام كان أفصح لسانًا وأبلغ في البيان، كما قال موسىٰ عليه السلام: ﴿**وَأَخِي هَٰرُونُ هُوَ أَفْصَحُ مِنِّي لِسَانًا**﴾ [القصص: ٣٤].

* وأيضًا فليست لفرعون منةٌ علىٰ هارون فلم يتربَّىٰ هارون في بيته، والله تعالىٰ أعلم.

* * *

س: الباء في قوله تعالى: ﴿ بآياتنا ﴾ من الآية الكريمة: ﴿ فَلا يَصِلُونَ إِلَيْكُمَا بِآيَاتِنَا أَنتُمَا وَمَنِ اتَّبَعَكُمَا الْغَالِبُونَ ﴾ متصلة بماذا؟

ج: في ذلك وجهان لأهل العلم:

أحدهما: أنها متصلة بما قبلها، فالمعنىٰ: فلا يصلون إليكما بسبب آياتنا (حججنا وأدلتنا، ومعجزاتنا) التي أيدناكم بها، أي: بسبب العصا التي معك يا موسىٰ وسائر الآيات التي أمددناك بها.

وأيضًا: فلا يصلون إليكما بسبب إبلاغكما آياتنا، فإنا حفظناكما.

فيؤخذ من ذلك أن اللَّه يحفظ الدعاة إليه، كما قال تعالىٰ: ﴿ **يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ** ﴾ [المائدة: ٦٧].

وقال النبي ﷺ: «**احْفَظِ اللَّهَ يَحْفَظْكَ**».

والوجه الآخر: أن الباء متصلة بما بعدها، فالمعنىٰ: بآياتنا التي أيدناكما بها ستغلبون أعداءكم.

ثم إن الطبري رحمه اللَّه قال:

فالباء في قوله: ﴿ **بِآيَاتِنَا** ﴾ من صلة غالبون، ومعنىٰ الكلام: أنتما ومن اتبعكما الغالبن فرعونَ وملأه بآياتنا، أي: بحجتنا، وسلطاننا الذي نجعله لكما.

وقال الحافظ ابن كثير رحمه اللَّه:

﴿ **فَلا يَصِلُونَ إِلَيْكُمَا بِآيَاتِنَا** ﴾ أي: لا سبيل لهم إلىٰ الوصول إلىٰ أذاكم بسبب إبلاغكما آيات اللَّه، كما قال تعالىٰ: ﴿ **يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ**

إِلَيْكَ من رَّبِّكَ ﴾ إلى قوله: ﴿ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ ﴾ [المائدة: ٦٧]، وقال تعالى: ﴿ الَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَالاتِ اللَّهِ وَيَخْشَوْنَهُ وَلا يَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلاَّ اللَّهَ وَكَفَى بِاللَّهِ حَسِيبًا ﴾ أي: وكفى بالله ناصراً ومعيناً ومؤيداً. ولهذا أخبرهما أن العاقبة لهما ولمن اتبعهما في الدنيا والآخرة، فقال: ﴿ أَنتُمَا وَمَنِ اتَّبَعَكُمَا الْغَالِبُونَ ﴾ [القصص: ٣٥]، كما قال تعالى: ﴿ كَتَبَ اللَّهُ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا وَرُسُلِي إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴾ [المجادلة: ٢١]، وقال تعالى: ﴿ إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الأَشْهَادُ (٥١) يَوْمَ لا يَنفَعُ الظَّالِمِينَ مَعْذِرَتُهُمْ وَلَهُمُ اللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوءُ الدَّارِ ﴾ [غافر: ٥١-٥٢].

وقال القرطبي رحمه الله:

﴿ فَلا يَصِلُونَ إِلَيْكُمَا ﴾ بالأذى، ﴿ بِآيَاتِنَا ﴾، أي: تمتنعان منهم ﴿ بِآيَاتِنَا ﴾، فيجوز أن يوقف على ﴿ إِلَيْكُمَا ﴾ ويكون في الكلام تقديم وتأخير، وقيل: التقدير: ﴿ أَنتُمَا وَمَنِ اتَّبَعَكُمَا الْغَالِبُونَ ﴾ بآياتنا.

* * *

فَلَمَّا جَآءَهُم مُّوسَىٰ بِـَٔايَٰتِنَا بَيِّنَٰتٖ قَالُواْ مَا هَٰذَآ إِلَّا سِحۡرٞ
مُّفۡتَرٗى وَمَا سَمِعۡنَا بِهَٰذَا فِيٓ ءَابَآئِنَا ٱلۡأَوَّلِينَ ٣٦ وَقَالَ
مُوسَىٰ رَبِّيٓ أَعۡلَمُ بِمَن جَآءَ بِٱلۡهُدَىٰ مِنۡ عِندِهِۦ وَمَن تَكُونُ
لَهُۥ عَٰقِبَةُ ٱلدَّارِۚ إِنَّهُۥ لَا يُفۡلِحُ ٱلظَّٰلِمُونَ ٣٧ وَقَالَ فِرۡعَوۡنُ
يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمَلَأُ مَا عَلِمۡتُ لَكُم مِّنۡ إِلَٰهٍ غَيۡرِي فَأَوۡقِدۡ
لِي يَٰهَٰمَٰنُ عَلَى ٱلطِّينِ فَٱجۡعَل لِّي صَرۡحٗا لَّعَلِّيٓ أَطَّلِعُ إِلَىٰٓ
إِلَٰهِ مُوسَىٰ وَإِنِّي لَأَظُنُّهُۥ مِنَ ٱلۡكَٰذِبِينَ ٣٨ وَٱسۡتَكۡبَرَ
هُوَ وَجُنُودُهُۥ فِي ٱلۡأَرۡضِ بِغَيۡرِ ٱلۡحَقِّ وَظَنُّوٓاْ أَنَّهُمۡ إِلَيۡنَا
لَا يُرۡجَعُونَ ٣٩ فَأَخَذۡنَٰهُ وَجُنُودَهُۥ فَنَبَذۡنَٰهُمۡ فِي
ٱلۡيَمِّۖ فَٱنظُرۡ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلظَّٰلِمِينَ ٤٠
وَجَعَلۡنَٰهُمۡ أَئِمَّةٗ يَدۡعُونَ إِلَى ٱلنَّارِۖ وَيَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ
لَا يُنصَرُونَ ٤١ وَأَتۡبَعۡنَٰهُمۡ فِي هَٰذِهِ ٱلدُّنۡيَا لَعۡنَةٗۖ
وَيَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ هُم مِّنَ ٱلۡمَقۡبُوحِينَ ٤٢

س: اذكر معنى ما يلي:

(مفترى ـ عاقبة الدار ـ لا يفلح ـ صرحًا ـ أطَّلع ـ إله ـ لا يرجعون ـ نبذناهم ـ أليم ـ عاقبة الظالمين ـ المقبوحين).

ج:

الكلمة	معناها
مفترى	مكذوب مُختلق.
عاقبة الدار	العقبى المحمودة في الدار الآخرة.
لا يفلح	لا يسعد ـ لا يظفر بمطلوبه ولا ينجو من مرهوبه.
صرحًا	الصرح: كل بناء مسطح عالٍ.
أطَّلع	أنظر.
إله	معبود.
لا يرجعون	لا يبعثون بعد مماتهم.
نبذناهم	قذفناهم ـ طرحناهم ـ ألقيناهم ـ أغرقناهم.
اليمّ	البحر.
عاقبة الظالمين	آخر أمرهم.
المقبوحين	الممقوتين ـ المشوَّهين (مشوَّهين الخلق) بسواد الوجوه، وزرقة العيون ـ المُهْلَكين.

س: ما الآيات التي جاءهم بها موسى عليه السلام؟

ج: هي تسع آيات كما قال تعالىٰ: ﴿**وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَىٰ تِسْعَ آيَاتٍ**﴾ [الإسراء: ١٠١]، وأعظمها العصا التي تتحول إلىٰ حيّة تسعىٰ، واليد التي تخرج بيضاء للناظرين.

* * *

س: في قول موسى عليه السلام: ﴿رَبِّي أَعْلَمُ بِمَن جَاءَ بِالْهُدَىٰ مِنْ عِندِهِ﴾ أدب من آداب التخاطب، وضح ذلك.

ج: وجه ذلك أن موسىٰ عليه السلام خاطب فرعون بكلام لا يثيره، وبجواب ينبغي أن يكون عونًا علىٰ الخير لمن اتقىٰ فلم يقل له: «أنت الذي أضللت الناس»، ولم يقل له: «بل أنت الساحر المفتري الكذاب»، إنما قال: ﴿**رَبِّي أَعْلَمُ بِمَن جَاءَ بِالْهُدَىٰ**﴾.

قال القرطبي رحمه الله:

وهذه معارضة من نبي الله موسىٰ عليه السلام لفرعون، وجميل مخاطبة، إذ ترك أن يقول له: بل الذي غرَّ قومه وأهلك جنوده وأضلّ أتباعه أنت لا أنا، ولكنه قال: ﴿**رَبِّي أَعْلَمُ بِمَن جَاءَ بِالْهُدَىٰ مِنْ عِندِهِ وَمَن تَكُونُ لَهُ عَاقِبَةُ الدَّارِ**﴾ ثم بالغ في ذم عدو الله بأجمل من الخطاب فقال: ﴿**إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ**﴾؛ يقول: إنه لا ينجح ولا يدرك طلبتهم الكافرون بالله تعالىٰ، يعني بذلك فرعون أنه لا يفلح ولا ينجح لكفره به.

* * *

س: اذكر بعض الآيات التي تبين ادعاء فرعون للألوهية.

ج: من ذلك ما يلي:

*قوله: ﴿أَيُّهَا الْمَلأُ مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَهٍ غَيْرِي﴾ [القصص:٣٨].

*وقوله: ﴿أَنَا رَبُّكُمُ الأَعْلَى﴾ [النازعات:٢٤].

* وقوله لموسى عليه السلام: ﴿لَئِنِ اتَّخَذْتَ إِلَهًا غَيْرِي لأَجْعَلَنَّكَ مِنَ الْمَسْجُونِينَ﴾ [الشعراء:٢٩].

* * *

س: تصنَّع فرعون الورع والتعقل بقوله: ﴿مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَهٍ غَيْرِي﴾ ليلبس على الناس، وضح ذلك.

ج: إيضاحه فيما ذكره السعدي رحمه الله، حيث قال:

﴿قَالَ فِرْعَوْنُ﴾ متجرئًا على ربه، ومموهًا على قومه السفهاء ضعفاء العقول: ﴿يَا أَيُّهَا الْمَلأُ مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَهٍ غَيْرِي﴾ أي: أنا وحدي إلهكم ومعبودكم، ولو كان ثَمَّ إله غيري لعلمتُه.

فانظر إلى هذا الورع التام من فرعون، حيث لم يقل: «ما لكم من إله غيري» وهذا، لأنه عندهم العالم الفاضل الذي مهما قال فهو الحق، ومهما أمر أطاعوه. فلما قال هذه المقالة التي قد تحتمل أن ثَمَّ إلهًا غيره، أراد أن يحقق النفي الذي جعل فيه ذلك الاحتمال، فقال لـ «هامان»: ﴿فَأَوْقِدْ لِي يَا هَامَانُ عَلَى الطِّينِ﴾ [القصص:٣٨] ليجعل له لبنًا من فخار.

﴿فَاجْعَل لِّي صَرْحًا﴾ أي: بناءً عاليًا.

﴿لَّعَلِّي أَطَّلِعُ إِلَى إِلَهِ مُوسَى وَإِنِّي لأَظُنُّهُ مِنَ الْكَاذِبِينَ﴾ [القصص:٣٨] ولكن

سنحقق هذا الظن، ونريكم كذب موسىٰ.

فانظر هذه الجراءة العظيمة علىٰ الله التي ما بلغها آدمي؛ كذَّب موسىٰ، وادَّعىٰ أنه الله، ونفىٰ أن يكون له علم بالإله الحق، وفعل الأسباب ليتوصل إلىٰ إله موسىٰ، وكل هذا ترويج.

ولكن العجب من هؤلاء الملأ الذين يزعمون أنهم كبار المملكة، المدبرون لشئونها؛ كيف لعب هذا الرجل بعقولهم واستخف أحلامهم، وهذا لفسقهم الذي صار صفة راسخة فيهم. فسد دينُهم، ثم تَبعَ ذلك فسادُ عقولهم، فنسألك اللهم الثبات علىٰ الإيمان، وأن لا تزيغ قلوبنا بعد إذْ هديتنا، وأن تهب لنا من لدنك رحمة؛ إنك أنت الوهاب.

* * *

س: الطوب الأحمر معروفٌ في مصر منذ زمن بعيد، وضح ذلك.

ج: إيضاحه من قول فرعون لهامان: ﴿**فَأَوْقِدْ لِي يَا هَامَانُ عَلَى الطِّينِ فَاجْعَل لِّي صَرْحًا**﴾ [القصص:].

* وأخرج الطبري بسند حسن عن قتادة: ﴿**فَأَوْقِدْ لِي يَا هَامَانُ عَلَى الطِّينِ**﴾ [القصص: ٣٨] قال: فكان أول من طبخ الآجرّ يبني به الصرح.

* وأخرج بسندٍ صحيح عن ابن زيد: ﴿**فَأَوْقِدْ لِي يَا هَامَانُ عَلَى الطِّينِ**﴾ قال: المطبوخ الذي يوقد عليه هو من طين يبنون به البنيان.

* * *

س: قوله تعالى في شأن فرعون: ﴿وَاسْتَكْبَرَ هُوَ وَجُنُودُهُ فِي الأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ﴾ استكبر عن ماذا؟

ج: استكبر عن تصديق موسى واتباعه على ما دعاه إليه من الإيمان والتوحيد؛ تعديًا وتعاليًا وعلوًا على أمر الله وعلى نبي الله.

* * *

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الظَّالِمِينَ﴾.

ج: قال الطبري رحمه الله:

وقوله: ﴿فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الظَّالِمِينَ﴾ يقول تعالى ذِكْرُهُ: فانظر يا محمد بعين قلبك: كيف كان أمر هؤلاء الذين ظلموا أنفسهم، فكفروا بربهم وردُّوا على رسوله نصيحته، ألم نهلكهم فنُوَرِّث ديارهم وأموالهم أولياءنا، ونخوّلهم ما كان لهم من جنات وعيون وكنوز ومقام كريم، بعد أن كانوا مستضعفين، تُقتل أبناؤهم، وتُستحيا نساؤهم، فإنَّا كذلك بك وبمن آمن بك وصدقك فاعلون، ومخوّلوك وإيَّاهم ديار مَنْ كذَّبك، وردَّ عليك ما أتيتَهم به من الحق وأموالهم، ومهلكوهم قتلاً بالسيف، سنة الله في الذين خَلَوا من قبل.

* * *

س: الذي لا يوقن باليوم الآخر يتجرأ على ارتكاب الكبائر، وضح ذلك.

ج: إيضاحه أن الذي لا يقر باليوم الآخر يحمله إنكاره وعدم إقراره على الإقدام على المعاصي، إذ هو لا يرجو بعثًا ولا حياةً ولا نشوراً ولا ثوابًا،

ولا يخشىٰ عقاباً، فيحمله هذا كله علىٰ اقتراف المعاصي، كما قال تعالىٰ في شأن فرعون: ﴿ وَاسْتَكْبَرَ هُوَ وَجُنُودُهُ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ إِلَيْنَا لَا يُرْجَعُونَ ﴾ [القصص: ٣٩] فلذلك تجرأوا ولو أيقنوا باليوم الآخر ما استكبروا.

وكما قال تعالىٰ: ﴿ وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ ۝١ الَّذِينَ إِذَا اكْتَالُوا عَلَى النَّاسِ يَسْتَوْفُونَ ۝٢ وَإِذَا كَالُوهُمْ أَو وَّزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ ۝٣ أَلَا يَظُنُّ أُولَٰئِكَ أَنَّهُم مَّبْعُوثُونَ ۝٤ لِيَوْمٍ عَظِيمٍ ۝٥ يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ [المطففين: ١-٦] فلو أيقنوا بالبعث ما طفَّفوا المكاييل ولا الموازين. والله تبارك وتعالىٰ أعلم.

* * *

س: وضح المراد بقوله تعالى: ﴿ وَجَعَلْنَاهُمْ أَئِمَّةً يَدْعُونَ إِلَى النَّارِ ﴾.

ج: المعنىٰ ـ والله أعلم ـ: جعلنا فرعون ومن معه أئمةً وقادةً في الشرِّ لمن سلك طريقتهم واتبع هديهم، وأخذ برأيهم في الكفر وتكذيب الرسل، فمن ثَمَّ يحملون أوزارهم وأوزار من تبعهم إلىٰ يوم القيامة كما قد ورد في «صحيح مسلم»[1] من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن رسولَ الله ﷺ قال: **«مَنْ دَعَا إلى هُدًى، كان لَهُ منَ الأجْرِ مِثْلُ أجُورِ مَنْ تَبعَهُ، لا يَنْقُصُ ذلك من أجُورهم شيئًا، ومَنْ دعَا إلى ضَلالَةٍ كانَ علَيْهِ منِ الإثمِ مثل آثَامِ مَنْ تبِعَهُ، لا يَنْقُصُ ذلكَ من آثامِهِم شيْئًا»**.

* * *

(١) مسلم (حديث ٢٦٧٤).

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿وَأَتْبَعناهُمْ فِي هَذِهِ الدُّنيَا لَعْنَةً...﴾.

ج: المعني - والله أعلم - لعناهم بعد مماتهم أيضًا، وجعلنا الدعاء باللعن عليهم لازمًا لهم، فمن جاء من بعدهم لعنهم، والملائكة تلعنهم.

قال الطبري رحمه الله:

وقوله: ﴿**وَأَتْبَعْنَاهُمْ فِي هَذِهِ الدُّنْيَا لَعْنَةً وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ**﴾ يقول تعالى ذِكْرُه: وألزمنا فرعون وقومه في هذه الدنيا خِزيًا وغضبًا منا عليه، فختمنا لهم فيها بالهلاك والبوار والثناء السّيِئ، ونحن متبعوهم لعنة أخرى يوم القيامة، فمخزوهم بها الخزي الدائم، ومهينوهم الهوانَ اللازم.

وقال الحافظ ابن كثير رحمه الله:

وشرع الله لعنتهم ولعنة ملكهم فرعون على ألسنة المؤمنين من عباده المتبعين رسله.

قال السعدي رحمه الله:

أي: وأتبعناهم زيادة في عقوبتهم وخزيهم في الدنيا لعنة؛ يلعنون، ولهم عند الخلق الثناء القبيح والمقت والذم، وهذا أمر مشاهد، فهم أئمة الملعونين في الدنيا ومقدمتُهم.

* * *

وَلَقَدۡ ءَاتَيۡنَا
مُوسَى ٱلۡكِتَٰبَ مِنۢ بَعۡدِ مَآ أَهۡلَكۡنَا ٱلۡقُرُونَ ٱلۡأُولَىٰ
بَصَآئِرَ لِلنَّاسِ وَهُدٗى وَرَحۡمَةٗ لَّعَلَّهُمۡ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٤٣﴾
وَمَا كُنتَ بِجَانِبِ ٱلۡغَرۡبِيِّ إِذۡ قَضَيۡنَآ إِلَىٰ مُوسَى ٱلۡأَمۡرَ وَمَا كُنتَ
مِنَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴿٤٤﴾ وَلَٰكِنَّآ أَنشَأۡنَا قُرُونٗا فَتَطَاوَلَ عَلَيۡهِمُ
ٱلۡعُمُرُۚ وَمَا كُنتَ ثَاوِيٗا فِيٓ أَهۡلِ مَدۡيَنَ تَتۡلُواْ عَلَيۡهِمۡ
ءَايَٰتِنَا وَلَٰكِنَّا كُنَّا مُرۡسِلِينَ ﴿٤٥﴾ وَمَا كُنتَ بِجَانِبِ
ٱلطُّورِ إِذۡ نَادَيۡنَا وَلَٰكِن رَّحۡمَةٗ مِّن رَّبِّكَ لِتُنذِرَ قَوۡمٗا
مَّآ أَتَىٰهُم مِّن نَّذِيرٖ مِّن قَبۡلِكَ لَعَلَّهُمۡ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٤٦﴾
وَلَوۡلَآ أَن تُصِيبَهُم مُّصِيبَةُۢ بِمَا قَدَّمَتۡ أَيۡدِيهِمۡ فَيَقُولُواْ
رَبَّنَا لَوۡلَآ أَرۡسَلۡتَ إِلَيۡنَا رَسُولٗا فَنَتَّبِعَ ءَايَٰتِكَ وَنَكُونَ
مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴿٤٧﴾ فَلَمَّا جَآءَهُمُ ٱلۡحَقُّ مِنۡ عِندِنَا قَالُواْ
لَوۡلَآ أُوتِيَ مِثۡلَ مَآ أُوتِيَ مُوسَىٰٓۚ أَوَلَمۡ يَكۡفُرُواْ بِمَآ أُوتِيَ
مُوسَىٰ مِن قَبۡلُۖ قَالُواْ سِحۡرَانِ تَظَٰهَرَا وَقَالُوٓاْ إِنَّا بِكُلّٖ كَٰفِرُونَ
﴿٤٨﴾ قُلۡ فَأۡتُواْ بِكِتَٰبٖ مِّنۡ عِندِ ٱللَّهِ هُوَ أَهۡدَىٰ مِنۡهُمَآ أَتَّبِعۡهُ

إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٤٩﴾ فَإِن لَّمْ يَسْتَجِيبُوا۟ لَكَ فَٱعْلَمْ
أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَآءَهُمْ ۚ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ ٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ بِغَيْرِ
هُدًى مِّنَ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٥٠﴾

س: اذكر معنى ما يلي:

(بصائر ـ يتذكرون ـ بجانب الغربي ـ الشاهدين ـ قرونًا ـ تطاول عليهم العمر ـ ثاويًا ـ تتلو عليهم آياتنا ـ نادينا ـ مصيبة ـ بما قدمت أيديهم ـ تظاهرا ـ كافرون ـ أهواءهم).

ج:

الكلمة	معناها
بصائر	بصائر يتبصرون بها .
يتذكرون	يتعظون ـ يعتبرون .
بجانب الغربي	بجانب الجبل الغربي الذي كلَّم اللَّه موسىٰ من الشجرة التي هي شَرْقِيَّة .
الشاهدين	الحاضرين ـ المشاهدين .
قرونًا	أممًا .
طال عليهم العمر	طال عليهم الزمن الذي بينهم وبين الأنبياء عليهم السلام، فنسوا الذكر، ونسوا عهود اللَّه إليهم، ونسوا أوامره .
ثاويًا	مقيمًا .
تتلو عليهم آياتنا	تقرأ عليهم كتابنا .
نادينا	نادينا موسىٰ وكلمناه .

مصيبة	عقوبة ونقمةٌ .
بما قدمت أيديهم	بما اكتسبوا من الآثام .
تظاهرا	تعاونا ـ تناصرا ـ صدَّق أحدهما الآخر .
كافرون	جاحدون منكرون .
أهواءهم	أراءهم ، وما تستحسنه نفوسهم وعقولهم .

س: ما المراد بـ «الكتاب» في قوله تعالى: ﴿لَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ مِنْ بَعْدِ مَا أَهْلَكْنَا الْقُرُونَ الْأُولَىٰ﴾ وما المراد بـ «القرون الأولى»؟

ج: **أما الكتاب**: فهو التوراة.

أما القرون الأولى: فقوم نوح وعاد وثمود والذين من بعدهم.

ومن العلماء من قال: إن المراد فرعون وقومه، وهامان وقارون، فالمعنىٰ: ولقد آتينا موسىٰ الكتاب من بعد ما أغرقنا فرعون وقومه وخسفنا بقارون.

❊ ❊ ❊

س: قوله تعالى: ﴿لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾ يتذكرون ماذا؟

ج: يتذكرون نِعَمَ الله عليهم بذلك فيشكروه عليها ولا يكفروا.

❊ ❊ ❊

س: في قوله تعالى: ﴿وَمَا كُنتَ بِجَانِبِ الْغَرْبِيِّ إِذْ قَضَيْنَا إِلَىٰ مُوسَى الْأَمْرَ﴾ دليل على نبوة نبينا محمد ﷺ، وضح ذلك؟

ج: إيضاحه: أن النبي ﷺ أخبر بأمور لم يرها ولم يشهدها، بل بينه وبينها قرونٌ، ثم هو أُمِّيٌّ لا يقرأ ولا يكتب، ومع ذلك يسردها خير سردٍ ويقصُّها أحسن اقتصاص.

وقد استفاض الحافظ ابن كثير في بيان هذا، فقال رحمه الله:

يقول تعالىٰ منبهًا علىٰ برهان نبوة محمد ﷺ حيث أخبر بالغيوب الماضية، خبرًا كأن سامعه شاهداً ورائيًا لما تقدم، وهو رجل أمي لا يقرأ شيئًا من الكتب، نشأ بين قوم لا يعرفون شيئًا من ذلك، كما أنه لما أخبره عن

مريم، وما كان من أمرها:

* قال تعالى: ﴿وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يُلْقُونَ أَقْلامَهُمْ أَيُّهُمْ يَكْفُلُ مَرْيَمَ وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يَخْتَصِمُونَ﴾ [آل عمران: ٤٤] أي: ما كنت حاضرًا لذلك ولكن الله أوحاه إليك، وهكذا لما أخبره عن نوح وقومه، وما كان من إنجاء الله له وإغراق قومه.

* ثم قال تعالى: ﴿تِلْكَ مِنْ أَنبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهَا إِلَيْكَ مَا كُنتَ تَعْلَمُهَا أَنتَ وَلا قَوْمُكَ مِن قَبْلِ هَذَا فَاصْبِرْ إِنَّ الْعَاقِبَةَ لِلْمُتَّقِينَ﴾ [هود: ٤٩].

* وقال في آخر السورة: ﴿ذَلِكَ مِنْ أَنبَاءِ الْقُرَىٰ نَقُصُّهُ عَلَيْكَ﴾ [هود: ١٠٠].

* وقال بعد ذكر قصة يوسف: ﴿ذَلِكَ مِنْ أَنبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ أَجْمَعُوا أَمْرَهُمْ وَهُمْ يَمْكُرُونَ﴾ [يوسف: ١٠٢].

* وقال في سورة طه: ﴿كَذَلِكَ نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنبَاءِ مَا قَدْ سَبَقَ وَقَدْ آتَيْنَاكَ مِن لَّدُنَّا ذِكْرًا﴾ [طه: ٩٩].

وقال هاهنا بعد ما أخبر عن قصة موسىٰ من أولها إلىٰ آخرها وكيف كان ابتداء إيحاء الله إليه وتكليمه فله: ﴿وَمَا كُنتَ بِجَانِبِ الْغَرْبِيِّ إِذْ قَضَيْنَا إِلَىٰ مُوسَى الأَمْرَ وَمَا كُنتَ مِنَ الشَّاهِدِينَ﴾ [القصص: ٤٤] يعني: يا محمد، ما كنت بجانب الجبل الغربيّ الذي كلَّم اللهُ موسىٰ من الشجرة التي هي شرقيّة علىٰ شاطئ الوادي ﴿وَمَا كُنتَ مِنَ الشَّاهِدِينَ﴾ لذلك، ولكن الله سبحانه وتعالىٰ أوحىٰ إليك ذلك، ليجعله حجة وبرهانًا علىٰ قرون قد تطاول عهدها، ونسوا حجج الله عليهم وما أوحاه إلىٰ الأنبياء المتقدمين.

* وقوله: ﴿وَمَا كُنتَ ثَاوِيًا فِي أَهْلِ مَدْيَنَ تَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِنَا﴾ أي: وما كنت مقيمًا في أهل مدين تتلو عليهم آياتنا حين أخبرتَ عن نبيها شعيب، وما قال لقومه، وما ردُّوا عليه: ﴿وَلَكِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ﴾ [القصص: ٤٥]، أي: ولكن نحن أوحينا إليك ذلك، وأرسلناك للناس رسولاً.

* * *

س: قوله تعالى: ﴿وَمَا كُنتَ بِجَانِبِ الْغَرْبِيِّ إِذْ قَضَيْنَا إِلَىٰ مُوسَى الْأَمْرَ﴾ أي أمرٍ هذا؟

ج: هو العهد الذي عهده الله إلىٰ موسىٰ عليه السلام، والأوامر التي أمره بها، والنواهي التي نهاه عنها، والتكاليف التي كلَّفه بها.

* * *

س: وضح المراد بقوله تعالى: ﴿وَلَكِنَّا أَنشَأْنَا قُرُونًا فَتَطَاوَلَ عَلَيْهِمُ الْعُمُرُ﴾.

ج: المعنىٰ - والله أعلم - ولكنا خلقنا أُمَمًا كثيرة بعد الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، أمةٌ تتلوها أمّةٌ فلبعد زمنهم عن الأنبياءِ نسوا حجج الله عليهم وما أوحاه الله إلىٰ الأنبياء المتقدمين، وما حلَّ بالظالمين الآثمين الجاحدين، فأخبرناك يا محمد بالذي أخبرناك به تذكيراً لهم وحُججًا عليهم وبراهين علىٰ صدق نبوتك.

قال صديق حسن خان «فتح البيان»:

﴿وَلَكِنَّا أَنشَأْنَا قُرُونًا﴾ أي: خلقنا أُمَمًا بين زمانك يا محمد ﷺ وزمان موسىٰ.

﴿فَتَطَاوَلَ عَلَيْهِمُ الْعُمُرُ﴾: أي: طالت عليهم المهلة، وتمادىٰ عليهم الأمد، وفترت النبوةُ، وكانت الأخبار تُخفىٰ، فتغيّرت الشرائعُ والأحكامُ، وتُنوسيَت الأديان، واندرست العلوم ووقع التحريفُ في كثير منها. فتركوا أمر الله ونسوا عهده.

فاقتضت الحكمة التشريع الجديد فجئنا بك رسولاً، وأوحينا إليك خبر موسىٰ وغيره ليكون معجزة لك وتذكيراً لقومك.

ومثله قوله سبحانه: ﴿فَطَالَ عَلَيْهِمُ الأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ﴾ [الحديد: ١٦]، وقد استُدل بهذا الكلام علىٰ أن الله سبحانه قد عهد إلىٰ موسىٰ عهوداً في محمد ﷺ وفي الإيمان به، فلما طال عليهم العُمُرُ ومضتِ القرونُ بعد القرون نسوا تلك العهود، وتركوا الوفاء بها.

* * *

س: وضح المراد بقوله تعالى: ﴿وَلَكِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ﴾.

ج: المراد ـ والله أعلم ـ ولكنا نحن الذين أرسلناك إلىٰ أهل مكة رسولاً، وآتيناك كتابًا فيه هذه الأخبار، ولولا ذلك ما علمتها.

* * *

س: قوله تعالى: ﴿إِذْ نَادَيْنَا﴾ نادينا مَنْ؟ وبماذا ناديناه؟

ج: نادينا موسىٰ، وقال بعض العلماء: نادىٰ أمة محمد ﷺ.

أما نداؤه لموسىٰ عليه السلام، فلقوله تعالىٰ: ﴿وَنَادَيْنَاهُ مِن جَانِبِ الطُّورِ الأَيْمَنِ وَقَرَّبْنَاهُ نَجِيًّا﴾ [مريم: ٥٢] ما سيأتي بيانه إن شاء الله، لقوله تعالىٰ: ﴿إِذْ نَادَاهُ رَبُّهُ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوًى ﴿١٦﴾ اذْهَبْ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَىٰ ﴿١٧﴾

﴿فَقُلْ هَل لَّكَ إِلَىٰ أَن تَزَكَّىٰ ۝١٨ وَأَهْدِيَكَ إِلَىٰ رَبِّكَ فَتَخْشَىٰ﴾ [النازعات: ١٦].

ويمكن أن يُقال أيضًا: نودي موسىٰ ليبشر أمة محمد ﷺ.

أما وجه ذلك: فإن الله تبارك وتعالىٰ قال: ﴿وَاخْتَارَ مُوسَىٰ قَوْمَهُ سَبْعِينَ رَجُلًا لِّمِيقَاتِنَا فَلَمَّا أَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ قَالَ رَبِّ لَوْ شِئْتَ أَهْلَكْتَهُم مِّن قَبْلُ وَإِيَّايَ أَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ السُّفَهَاءُ مِنَّا إِنْ هِيَ إِلَّا فِتْنَتُكَ تُضِلُّ بِهَا مَن تَشَاءُ وَتَهْدِي مَن تَشَاءُ أَنتَ وَلِيُّنَا فَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا وَأَنتَ خَيْرُ الْغَافِرِينَ ۝١٥٥ وَاكْتُبْ لَنَا فِي هَٰذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ إِنَّا هُدْنَا إِلَيْكَ قَالَ عَذَابِي أُصِيبُ بِهِ مَنْ أَشَاءُ وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالَّذِينَ هُم بِآيَاتِنَا يُؤْمِنُونَ ۝١٥٦ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَالْإِنجِيلِ يَأْمُرُهُم بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ فَالَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنزِلَ مَعَهُ أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ۝١٥٧﴾ [الأعراف: ١٥٥-١٥٧].

فقوله تعالىٰ: ﴿وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ﴾ [الأعراف: ١٥٦] يبين لمن هذه الرحمة، إنها للمتقين، أما المتقون فمن تمام أعمالهم وصفاتهم: ﴿وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالَّذِينَ هُم بِآيَاتِنَا يُؤْمِنُونَ ۝١٥٦ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ﴾ [الأعراف: ١٥٦]، وهؤلاء أتباع النبي محمد ﷺ.

فالحاصل: أن الله نادىٰ موسىٰ وأخبره أنه سبحانه وتعالىٰ سيكتب رحمته للذين يتقون، وهم أُمّة محمد ﷺ ومن دخل معهم من أهل الكتاب وصدق كتصديقهم، وذلك لقوله تعالىٰ: ﴿الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَالْإِنجِيلِ يَأْمُرُهُم بِالْمَعْرُوفِ

وينهاهم عن المنكر ويحل لهم الطيبات ويحرم عليهم الخبائث ويضع عنهم إصرهم والأغلال التي كانت عليهم ﴾ الآية، إلى قوله: ﴿ فالذين آمنوا به وعزروه ونصروه واتبعوا النور الذي أنزل معه أولئك هم المفلحون ﴾ [الأعراف: ١٥٧].

ولهذا قال كثير من المفسرين: نادى: يا أُمّة محمد، قد أعطيتكم قبل أن تسألوني، وأجبتكم قبل أن تدعوني، وهو قوله حين قال موسى: ﴿ واكتب لنا في هذه الدنيا حسنة وفي الآخرة إنا هدنا إليك قال عذابي أصيب به من أشاء ورحمتي وسعت كل شيء فسأكتبها للذين يتقون ويؤتون الزكاة والذين هم بآياتنا يؤمنون ﴾ [الأعراف: ١٥٦].

قال الطبري رحمه الله:

يقول تعالى ذكره: وما كنت يا محمد بجانب الجبل إذ نادينا موسى بأن: ﴿ فسأكتبها للذين يتقون ويؤتون الزكاة والذين هم بآياتنا يؤمنون (١٥٦) الذين يتبعون الرسول النبي الأمي الذي يجدونه مكتوبا عندهم في التوراة والإنجيل يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر ويحل لهم الطيبات ويحرم عليهم الخبائث ويضع عنهم إصرهم والأغلال التي كانت عليهم فالذين آمنوا به وعزروه ونصروه واتبعوا النور الذي أنزل معه أولئك هم المفلحون (١٥٧) ﴾ [الأعراف: ١٥٦-١٥٧].

* * *

س: وضح المراد بقوله تعالى: ﴿ ولكن رحمة من ربك ﴾.

ج: المراد - والله أعلم بمراده: إنك يا محمد لم تشاهد قصص الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، ولكنَّا أوحيناها إليك وقصصناها عليك رحمة من

ربك، ودليلاً على نبوتك حتى يتذكر من تذكر ويتعظ من يتعظ، ومن ثم تحمله الذكرى والموعظة على الإيمان، ومِن ثَمَّ السلامة من النار، والله أعلم.

* * *

س: من القوم المَعْنِيُّونَ بقوله تعالى: ﴿لِتُنذِرَ قَوْمًا مَّا أَتَاهُم مِّن نَّذِيرٍ مِّن قَبْلِكَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾؟

ج: هم العرب، فالعربُ لم تشاهد تلك الأخبار، ولكن أوحيناها إليك رحمة بمن أرسلت إليهم لتنذرهم بها ﴿**لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ**﴾.

* * *

س: قوله تعالى: ﴿لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾ يتذكرون ماذا؟

ج: أما قوله: ﴿**يَتَذَكَّرُونَ**﴾ ففيه أقوالٌ:

أحدها: يتذكرون خطأ ما هم عليه من الكفر والمعاصي، فيرجعوا عن الكفر والعصيان ويقلعوا عنهما.

وقيل: ﴿**يَتَذَكَّرُونَ**﴾ بمعنى يتعظون ويعتبرون وترق قلوبهم، وذلك لكونهم قد ابتعدوا عن الوعظ والتذكير كما قال تعالى: ﴿**فَطَالَ عَلَيْهِمُ الأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ**﴾ [الحديد: ١٦].

وقيل أيضًا: لعلهم يتذكرون أوامر الله فيعملوا بها ونواهيه فيحذروها.

* * *

س: لماذا خُصَّت اليدُ بالذِّكْرِ في قوله تعالى: ﴿بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ﴾؟

ج: ذلك، لأن أغلب الكسب يقع بها، والله أعلم.

* * *

س: ما المراد بـ «الحق» في قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا جَاءَهُمُ الْحَقُّ مِنْ عِندِنَا﴾؟

ج: هناك قولان لأهل العلم في ذلك:

أحدها: أن المراد بـ ﴿الْحَقُّ﴾: محمد ﷺ، وفي الحديث: «وَمُحَمَّدٌ ﷺ حَقٌّ».

الثاني: أن المراد بـ ﴿الْحَقُّ﴾: هو القرآن، ولا شك أن القرآن حق.

وقد قال تعالى: ﴿وَقُلِ الْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ﴾ [الكهف: ٢٩] أي: وقُلْ هذا القرآن هو الحق من ربكم، والله أعلم.

* * *

س: ماذا يعنون بقولهم: ﴿لَوْلَا أُوتِيَ مِثْلَ مَا أُوتِيَ مُوسَىٰ﴾؟

ج: ذهب بعض أهلُ العلم إلى أنهم يريدون كتابًا كالذي أوتيه موسى عليه السلام، وأن ينزل جملة واحدة كما نزلت الألواح على موسى عليه السلام.

* وذهب آخرون إلى أنهم أرادوا معجزات كتلك التي آتاها اللهُ موسى عليه السلام، والله أعلم.

* * *

س: من القائلون: ﴿ لَوْلا أُوتِيَ مِثْلَ مَا أُوتِيَ مُوسَىٰ ﴾؟

ج: من أهل العلم من قال: إن اليهود أمرت قريشًا أن تقول هذا.

* * *

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿ وَلَوْلا أَن تُصِيبَهُم مُّصِيبَةٌ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ فَيَقُولُوا رَبَّنَا لَوْلا أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولاً فَنَتَّبِعَ آيَاتِكَ وَنَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴾.

ج: المعنى ـ والله أعلم ـ: ولولا أن يقول هؤلاء الظالمون المعتدون من أهل الكفر واليهود إذا أنزلنا عليهم عذابنا وحلَّ بهم بأسنا: لولا أرسلت إلينا يا ربنا رسولاً يُذكِّرنا بآياتك ويعلِّمنا أوامرك قبل أن تنزل علينا العذاب لكنا من المؤمنين المهتدين. كما قال تعالى: ﴿ **أَن تَقُولُوا إِنَّمَا أُنزِلَ الْكِتَابُ عَلَىٰ طَائِفَتَيْنِ مِن قَبْلِنَا وَإِن كُنَّا عَن دِرَاسَتِهِمْ لَغَافِلِينَ (١٥٦) أَوْ تَقُولُوا لَوْ أَنَّا أُنزِلَ عَلَيْنَا الْكِتَابُ لَكُنَّا أَهْدَىٰ مِنْهُمْ** ﴾ [الأنعام: ١٥٦-١٥٧]، فعلى ذلك فمفاد الآية الكريمة قطع حجج المشركين وقطع اعتذارهم، وذلك بإرسال الرسل إليهم.

وقد قال الطبري ـ رحمه الله ـ في تفسير الآية الكريمة:

يقول تعالى ذِكْرُه: ولولا أن يقول هؤلاء الذين أرسلتُك يا محمد إليهم، لو حلَّ بهم بأسُنا، أو أتاهم عذابُنا من قبل أن نرسلك إليهم على كفرهم بربِّهم، واكتسابهم الآثام واجترامهم المعاصي: ربنا هلاَّ أرسلت إلينا رسولاً من قبل أن يحلَّ بنا سخطك وينزل بنا عذابُك، فنتبع أدلتك وآي كتابك الذي تنزله على رسولك ونكون من المؤمنين بألوهيتك، المصدقين رسولك فيما أمرتنا ونهيتنا، لعاجلناهم العقوبةَ على شركهم من قبل ما أرسلناك

إليهم ولكنا بعثناك إليهم نذيراً بأسنا على كفرهم، لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل. والمصيبة في هذا الموضع: العذاب والنقمة. ويعني بقوله تعالى: ﴿بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ﴾ بما اكتسبوا.

❊ ❊ ❊

س: اذكر بعض الآيات الدالة على العذر بالجهل.

ج: من الأدلة على ذلك ما يلي:

❊ قوله تعالى: ﴿رُسُلاً مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلاَّ يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ﴾[النساء: ١٦٥].

❊ وقوله تعالى: ﴿كُلَّمَا أُلْقِيَ فِيهَا فَوْجٌ سَأَلَهُمْ خَزَنَتُهَا أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَذِيرٌ ۝٨ قَالُوا بَلَى قَدْ جَاءَنَا نَذِيرٌ فَكَذَّبْنَا وَقُلْنَا مَا نَزَّلَ اللَّهُ مِن شَيْءٍ﴾[الملك: ٨].

❊ وقوله تعالى: ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولاً﴾[الإسراء: ١٥].

❊ وقوله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّا أَهْلَكْنَاهُم بِعَذَابٍ مِّن قَبْلِهِ لَقَالُوا رَبَّنَا لَوْلا أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولاً فَنَتَّبِعَ آيَاتِكَ مِن قَبْلِ أَن نَّذِلَّ وَنَخْزَى﴾[طه: ١٣٤].

❊ وقوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ مُهْلِكَ الْقُرَى حَتَّى يَبْعَثَ فِي أُمِّهَا رَسُولاً يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِنَا﴾ [القصص: ٥٩].

❊ وقوله تعالى: ﴿وَلَوْلا أَن تُصِيبَهُم مُّصِيبَةٌ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ فَيَقُولُوا رَبَّنَا لَوْلا أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولاً فَنَتَّبِعَ آيَاتِكَ وَنَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [القصص: ٤٧].

❊ ❊ ❊

س: ما المراد بقولهم: ﴿سِحْرَانِ﴾؟

ج: لأهل العلم في ذلك أقوالٌ:

أحدها: أن مراد هؤلاء بقولهم: ﴿سِحْرَانِ﴾: التوراة والإنجيل.

وقيل: مرادهم التوراة والقرآن(١).

وقيل أيضًا: الإنجيل والقرآن.

* أما على قراءة مَنْ قرأ: ﴿سِحْرَانِ تَظَاهَرَا﴾:

فقيل: إن المراد موسى وهارون عليهما السلام.

(١) واختار ذلك الحافظ ابن كثير رحمه اللَّه، فقال:

والظاهر على قراءة: ﴿سحران﴾ أنهم يعنون التوراة والقرآن؛ لأنه قال بعده: ﴿قل فأتوا بكتاب من عند اللَّه هو أهدى منهما أتبعه﴾. وكثيرًا ما يقرن اللَّه بين التوراة والقرآن، كما في قوله تعالى: ﴿قل من أنزل الكتاب الذي جاء به موسى نورًا وهدى للناس﴾ إلى أن قال: ﴿وهذا كتاب أنزلناه مبارك﴾، وقال في آخر السورة: ﴿ثم آتينا موسى الكتاب تمامًا على الذي أحسن﴾ إلى أن قال: ﴿وهذا كتاب أنزلناه مبارك فاتبعوه واتقوا لعلكم ترحمون﴾، وقالت الجن: ﴿إنا سمعنا كتابًا أنزل من بعد موسى﴾. وقال ورقة بن نوفل: هذا الناموس الذي أنزل على موسى.

وقد علم بالضرورة لذوي الألباب أن اللَّه لم ينزل كتابًا من السماء - فيما أنزل من الكتب المتعددة على أنبيائه - أكمل ولا أشمل ولا أفصح ولا عظم ولا أشرف من الكتاب الذي أنزل على محمد ﷺ وهو القرآن، وبعده في الشرف والعظمة الكتاب الذي أنزله على موسى بن عمران عليه السلام وهو التوراة التي قال اللَّه فيها: ﴿إنا أنزلنا التوراة فيها هدى ونور يحكم بها النبيون الذين أسلموا للذين هادوا والربانيون والأحبار بما استحفظوا من كتاب اللَّه وكانوا عليه شهداء﴾.

والإنجيل إنما نزل متممًا للتوراة، ومُحلاً لبعض ما حرم على بني إسرائيل؛ ولهذا قال تعالى: ﴿قل فأتوا بكتاب من عند اللَّه هو أهدى منهما أتبعه إن كنتم صادقين﴾، أي: فيما تدافعون به الحق وتعارضون به من الباطل.

وقيل: المراد موسىٰ وعيسىٰ عليهما السلام.

وقيل: موسىٰ ومحمد ﷺ.

وقيل: مرادهم عيسىٰ ومحمد ﷺ.

* * *

س: وضح مرادهم بقولهم: ﴿إِنَّا بِكُلٍّ كَافِرُونَ﴾.

ج: الظاهر - والله أعلم - أن مرادهم: وإنَّا بكل الكتب التي نزلتْ من عند الله كافرون، وذهب بعض العلماء أن مرادهم بالقرآن والإنجيل.

وذهب آخرون إلىٰ أن المراد التوراة والقرآن علىٰ نحوٍ من التفسير المتقدم، والله أعلم.

* * *

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿قُلْ فَأْتُوا بِكِتَابٍ مِّنْ عِندِ اللَّهِ هُوَ أَهْدَىٰ مِنْهُمَا أَتَّبِعْهُ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾.

ج: المعنىٰ - والله أعلم -: قل يا محمد لهؤلاء القائلين بأن الكتب المنزلة من عند الله سحرٌ (سواء عنوا التوراة والقرآن - أو التوراة والإنجيل، أو الإنجيل والقرآن أو غير ذلك)، قل لهم: فأتوا بكتابٍ من عند الله أحسن هداية منهما - أَلْزَمُه وأتبعه إن كنتم صادقين في وصفكم للكتب بأنها سحر وأن الحق في غيرها، والله أعلم.

* * *

س: هل كان رسول الله ﷺ لا يعلم أن اليهود والمشركين متبعين لأهوائهم حتى قيل له: ﴿فَاعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَاءَهُمْ...﴾؟

ج: قد كان رسول الله ﷺ يعلم أن قول اليهود وغيرهم في التوراة والقرآن أنهما سحر، كان يعلم أن هذا القول منهم باطل وكذب بلا شك وأنهم يتبعون أهواءهم في ذلك، أما وجه قوله تعالى: ﴿فَإِن لَّمْ يَسْتَجِيبُوا لَكَ فَاعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَاءَهُمْ﴾ [القصص: ٥٠]

منها: أن الخطاب خرج في صورته لرسول الله ﷺ، ولكن المراد به غيره، والمعنيُّون بالخطاب قد يكونون اليهود وغيرهم، أو يكون المراد أُمَّة محمد ﷺ كي يزداد أفرادها إيمانًا بأن هذا القرآن من عند الله.

وقد طرح نحو هذا السؤال الطبري رحمه الله وأجاب عليه فقال:

«ولعل قائلاً أن يقول: أو لم يكن النبي ﷺ يعلم أن ما قال القائلون من اليهود وغيرهم في التوراة و الإنجيل من الإفك والزور، المسموهما سحرين: باطل من القول، إلا بأن لا يجيبوه إلى إتيانهم بكتاب هو أهدى منهما؟

قيل: هذا كلام خرج مخرج الخطاب لرسول الله ﷺ، والمراد به المقول لهم أو لم يكفروا بما أوتي موسى من قبل من كفار قريش، وذلك أنه قيل للنبي ﷺ: قل يا محمد لمشركي قريش: أو لم يكفر هؤلاء الذين أمروكم أن تقولوا: هلاَّ أوتي محمد مثل ما أوتي موسى، بالذي أوتي موسى من قبل هذا القرآن، ويقولوا للذي أنزل عليه وعلى عيسى: ﴿سِحْرَانِ تَظَاهَرَا﴾، فقولوا لهم: إن كنتم صادقين أن ما أوتي موسى وعيسى سحر، فأتوني

بكتاب من عند الله، هو أهدىٰ من كتابيهما، فإن هم لم يجيبوكم إلىٰ ذلك فاعلموا أنهم كذَبَة، وأنهم إنما يتبعون في تكذيبهم محمداً وما جاءهم به من عند الله أهواءَ أنفسهم، ويتركون الحق وهم يعلمون، يقول تعالىٰ ذِكْرُهُ: ومن أضل عن طريق الرشاد وسبيل السداد ممن اتبع هوىٰ نفسه بغير بيان من عند الله، وعهد من الله، ويترك عهد الله الذي عهده إلىٰ خلقه في وحيه وتنزيله». اهـ.



س: اذكر بعض الفوائد والعِبَر المستخلصة من قصة نبي الله موسى عليه السلام في هذه السورة المباركة؟

ج: نورد هنا ما ذكره العلامة السعدي ـ رحمه الله ـ في تفسيره «تيسير الكريم الرحمن»:

قال رحمه الله:

«في ذكر بعض الفوائد والعِبر في هذه القصة العجيبة:

فمنها: أن آيات الله وعِبَرَهُ وأيامَه في الأُمم السابقة إنما يستفيد بها ويستنير المؤمنون، فعلىٰ حسب إيمان العبد تكون عبرته، وإن الله تعالىٰ إنما يسوق القصص لأجلهم، وأما غيرهم فلا يعبأ الله بهم وليس لهم منها نور وهدىٰ.

ومنهـــا: أن الله تعالىٰ إذا أراد أمراً هيأ أسبابَه، وأتىٰ بها شيئًا فشيئًا بالتدريج، لا دفعة واحدة.

ومنها: أن الأُمّة المستضعفة، ـ ولو بلغت في الضعف ما بلغت ـ لا ينبغي

لها أن يستولي عليها الكسل عن طلبها حقها، ولا الإياس من ارتقائها إلىٰ أعلىٰ الأمور، خصوصًا إذا كانوا مظلومين، كما استنقذ الله أمة بني إسرائيل ـ الأمة الضعيفة ـ من أسر فرعون وملإه ومكنهم من الأرض وملكهم بلادهم.

ومنها: أن الأمة ما دامت ذليلة مقهورة، لا تأخذ حقها، ولا تتكلم به، لا يقوم لها أمر دينها ولا دنياها، ولا يكون لها إمامة فيه.

ومنها: لطف الله بأم موسىٰ، وتهوينه عليها المصيبة بالبشارة بأن الله سيرد إليها ابنها، ويجعله من المرسلين.

ومنها: أن الله يقدِّر علىٰ عبده بعض المشاقِّ، لينيله سروراً أعظم من ذلك، أو يدفع عنه شراً أكثر منه. كما قدَّر علىٰ أم موسىٰ ذلك الحزن الشديد، والهمَّ البليغ، الذي هو وسيلة إلىٰ أن يصل إليها ابنها علىٰ وجه تطمئن به نفسها، وتقر به عينها، وتزداد به غبطة وسروراً.

ومنها: أن الخوف الطبيعي من الخلق لا ينافي الإيمان ولا يزيله، كما جرىٰ لأم موسىٰ، ولموسىٰ من تلك المخاوف.

ومنها: أن الإيمان يزيد وينقص، وأن من أعظم ما يزيد به الإيمان ويتم به اليقين: الصبرُ عند المزعجات والتثبيت من الله عند المقلقات كما قال تعالىٰ: ﴿**لَوْلَا أَن رَّبَطْنَا عَلَىٰ قَلْبِهَا لِتَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ**﴾ [القصص: ١٠] أي: ليزداد إيمانها بذلك، ويطمئن قلبها.

ومنها: أن من أعظم نعم الله علىٰ عبده، وأعظم معونة للعبد علىٰ أموره: تثبيت الله إيَّاه وربط جأشه وقلبه عند المخاوف، وعند الأمور

المذهلة، فإنه بذلك يتمكن من القول الصواب والفعل الصواب. بخلاف من استمر قلقه وروعته وانزعاجه، فإنه يضيع فكره، ويذهل عقله، فلا ينتفع بنفسه في تلك الحال.

ومنها: أن العبد ـ ولو عرف أن القضاء والقدر ووعد الله نافذٌ لابد منه ـ فإنه لا يهمل فعل الأسباب التي أمر بها، ولا يكون ذلك منافيًا لإيمانه بخبر الله؛ فإن الله قد وعد أم موسىٰ أن يرده عليها، ومع ذلك اجتهدت في رده، وأرسلت أخته لتقصه وتطلبه.

ومنها: جواز خروج المرأة في حوائجها وتكليمها للرجال من غير محذور، كما جرىٰ لأخت موسي، وابنتي صاحب مدين.

ومنها: جواز أخذ الأجرة علىٰ الكفالة والرضاع، والدلالة علىٰ من يفعل ذلك.

ومنها: أن الله من رحمته بعبده الضعيف الذي يريد إكرامه، أن يريَه من آياته ويشهده من بيِّناته ما يزيد به إيمانه، كما ردَّ الله موسىٰ إلىٰ أمه لتعلم أن وعد الله حق.

ومنها: أن قتل الكافر الذي له عهد بعقد أو عُرف لا يجوز؛ فإن موسىٰ عليه السلام عدَّ قتله القبطي الكافر ذنبًا، واستغفر اللهَ منه.

ومنها: أن الذي يقتل النفوس بغير حق يُعد من الجبارين الذين يفسدون في الأرض.

ومنها: أن من قتل النفوس بغير حق وزعم أنه يريد الإصلاح في الأرض

وتهييب أهل المعاصي فإنه كاذبٌ في ذلك وهو مفسد ، كما حكىٰ الله قول القبطي : ﴿إِن تُرِيدُ إِلاَّ أَن تَكُونَ جَبَّارًا فِي الأَرْضِ وَمَا تُرِيدُ أَن تَكُونَ مِنَ الْمُصْلِحِينَ﴾ [القصص: ١٩] علىٰ وجه التقرير له لا الإنكار .

ومنها: أن إخبار الرجل غيره بما قيل فيه علىٰ وجه التحذير له من شر، يقع فيه لا يكون ذلك نميمة ـ بل قد يكون واجبًا ـ كما أخبر ذلك الرجل موسي، ناصحًا له ومحذرًا .

ومنها: أنه إذا خاف القتل والتلف في الإقامة، فإنه لا يلقي بيده إلىٰ التهلكة، ولا يستسلم لذلك، بل يذهب عنه كما فعل موسىٰ .

ومنها: أنه عند تزاحم المفسدتين، إذا كان لابد من ارتكاب إحداهما فإنه يرتكب الأخف منهما والأسلم؛ كما أن موسىٰ لما دار الأمر بين بقائه في مصر ولكنه يُقتل أو يذهب إلىٰ بعض البلدان البعيدة التي لا يعرف الطريق إليها وليس معه دليل يدله غير ربه ولكن هذه الحال أرجىٰ للسلامة من الأولىٰ، فتبعها موسىٰ .

ومنها: أن الناظر في العلم عند الحاجة إلىٰ التكلم فيه، إذا لم يترجح عنده أحد القولين فإنه يستهدي ربه، ويسأله أن يهديه الصواب من القولين، بعد أن يقصد بقلبه الحق، ويبحث عنه، فإن الله لا يخيب مَنْ هذه حالُهُ .

كما خرج موسىٰ تلقاء مَدْيَنَ فقال: ﴿عَسَىٰ رَبِّي أَن يَهْدِيَنِي سَوَاءَ السَّبِيلِ﴾[القصص: ٢٢] .

ومنها: أن الرحمة بالخلق والإحسان علىٰ مَن يعرف ومن لا يعرف من أخلاق الأنبياء، وأن من الإحسان سَقْيَ الماشيةِ الماءَ، وإعانةَ العاجز .

ومنها: استحباب الدعاء بتبيين الحال وشرحها، ولو كان الله عالمًا لها؛ لأنه تعالىٰ يحب تضرع عبده وإظهاره ذله ومسكنته، كما قال موسىٰ: ﴿رَبِّ إِنِّي لِمَا أَنزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ﴾ [القصص: ٢٤].

ومنها: أن الحياء - خصوصًا من الكرام - من الأخلاق الممدوحة.

ومنها: المكافأة علىٰ الإحسان لم يزل دأب الأمم السابقين.

ومنها: أن العبد إذا عمل العمل للَّه تعالىٰ، ثم حصل له مكافأة عليه من غير قصد بالقصد الأول، فإنه لا يلام علىٰ ذلك، كما قبل موسىٰ مجازاة صاحب مدين عن معروفه الذي لم يبتغ له، ولم يستشرف بقلبه علىٰ عوض.

ومنها: مشروعية الإجارة، وأنها تجوز علىٰ رعاية الغنم ونحوها مما لا يقدر به العمل وإنما مرده العرف.

ومنها: أنه تجوز الإجارة بالمنفعة ولو كانت المنفعة بضعًا.

ومنها: أن خطبة الرجل لابنته الذي يتخيره لا يلام عليه.

ومنها: أن خير أجير وعامل يعمل للإنسان أن يكون قويًا أمينًا.

ومنها: أن من مكارم الأخلاق أن يُحَسِّن خلقه لأجيره وخادمه ولا يشق عليه بالعمل لقوله: ﴿مَا أُرِيدُ أَنْ أَشُقَّ عَلَيْكَ سَتَجِدُنِي إِن شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّالِحِينَ﴾ [القصص: ٢٧].

ومنها: جواز عقد الإجارة وغيرها من العقود، من دون إشهاد لقوله: ﴿وَاللَّهُ عَلَىٰ مَا نَقُولُ وَكِيلٌ﴾[القصص: ٢٨].

ومنها: ما أجرىٰ الله علىٰ يد موسىٰ من الآيات البينات والمعجزات الظاهرة؛ من الحيّة، وانقلاب يده بيضاء من غير سوء، ومن عصمة الله لموسىٰ وهارون من فرعون ومن الغرق.

ومنها: أن من أعظم العقوبات أن يكون الإنسان إمامًا في الشر، وذلك بحسب معارضته لآيات الله وبيِّناته، كما أن من أعظم نعمة أنعم الله بها علىٰ عبده، أن يجعله إمامًا في الخير هاديًا مهديًا.

ومنها: ما فيها من الدلالة علىٰ رسالة محمد ﷺ، حيث أخبر بذلك تفصيلاً، وتأصيلاً موافقًا، قَصَّهُ قصًا، صدق به المرسلين وأيد به الحق المبين، من غير حضور شيء من تلك الوقائع، لا مشاهدة لموضع واحد من تلك المواضع ولا تلاوة دَرَسَ فيها شيئًا من هذه الأمور؛ ولا مجالسة أحد من أهل العلم، إن هو إلا رسالة الرحمن الرحيم، ووحيٌ أنزله عليه الكريم المنان؛ لينذر به قومًا جاهلين؛ وعن النذر والرسل غافلين. فصلوات الله وسلامه علىٰ من مجرد خبره ينبيء أنه رسول الله ومجرد أمره ونهيه ينبه العقول النيِّرة أنه من عند الله. كيف وقد تطابق علىٰ صحة ما جاء به وصدقه خبر الأولين والآخرين والشرع الذي جاء به من رب العالمين، وجبل عليه من الأخلاق الفاضلة التي لا تناسب ولا تصلح إلا لأعلىٰ الخلق درجة والنصر المبين لدينه وأُمَّته. حتىٰ بلغ دينه مبلغ الليل والنهار وفتحت أُمَّته معظم بلدان الأمصار؛ بالسيف والسِنان وقلوبهم بالعلم والإيمان. ولم تزل الأُمم المعاندة والملوك الكفرة ترميه بقوس واحدة وتكيد له المكايد، وتمكن لإطفائه وإخفائه، وإخماده من الأرض وهو قد بهرها وعلاها، لا يزداد إلا نموًا، ولا آياته وبراهينه إلا ظهورًا. وكل وقت من الأوقات يظهر

من آياته ما هو عبرة لِلْعَالمِين، وهداية لِلْعالمين، ونور وبصيرة للمتوسمين. والحمد لله وحده» اهـ.

* * *

وَلَقَدۡ وَصَّلۡنَا لَهُمُ ٱلۡقَوۡلَ لَعَلَّهُمۡ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٥١﴾ ٱلَّذِينَ
ءَاتَيۡنَٰهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ مِن قَبۡلِهِۦ هُم بِهِۦ يُؤۡمِنُونَ ﴿٥٢﴾ وَإِذَا يُتۡلَىٰ عَلَيۡهِمۡ
قَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِهِۦٓ إِنَّهُ ٱلۡحَقُّ مِن رَّبِّنَآ إِنَّا كُنَّا مِن قَبۡلِهِۦ مُسۡلِمِينَ ﴿٥٣﴾
أُوْلَٰٓئِكَ يُؤۡتَوۡنَ أَجۡرَهُم مَّرَّتَيۡنِ بِمَا صَبَرُواْ وَيَدۡرَءُونَ بِٱلۡحَسَنَةِ
ٱلسَّيِّئَةَ وَمِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ يُنفِقُونَ ﴿٥٤﴾ وَإِذَا سَمِعُواْ ٱللَّغۡوَ
أَعۡرَضُواْ عَنۡهُ وَقَالُواْ لَنَآ أَعۡمَٰلُنَا وَلَكُمۡ أَعۡمَٰلُكُمۡ سَلَٰمٌ عَلَيۡكُمۡ
لَا نَبۡتَغِي ٱلۡجَٰهِلِينَ ﴿٥٥﴾ إِنَّكَ لَا تَهۡدِي مَنۡ أَحۡبَبۡتَ وَلَٰكِنَّ
ٱللَّهَ يَهۡدِي مَن يَشَآءُۚ وَهُوَ أَعۡلَمُ بِٱلۡمُهۡتَدِينَ ﴿٥٦﴾ وَقَالُوٓاْ إِن
نَّتَّبِعِ ٱلۡهُدَىٰ مَعَكَ نُتَخَطَّفۡ مِنۡ أَرۡضِنَآۚ أَوَلَمۡ نُمَكِّن لَّهُمۡ
حَرَمًا ءَامِنٗا يُجۡبَىٰٓ إِلَيۡهِ ثَمَرَٰتُ كُلِّ شَيۡءٖ رِّزۡقٗا مِّن لَّدُنَّا وَلَٰكِنَّ
أَكۡثَرَهُمۡ لَا يَعۡلَمُونَ ﴿٥٧﴾ وَكَمۡ أَهۡلَكۡنَا مِن قَرۡيَةِۭ
بَطِرَتۡ مَعِيشَتَهَاۖ فَتِلۡكَ مَسَٰكِنُهُمۡ لَمۡ تُسۡكَن مِّنۢ بَعۡدِهِمۡ
إِلَّا قَلِيلٗاۖ وَكُنَّا نَحۡنُ ٱلۡوَٰرِثِينَ ﴿٥٨﴾ وَمَا كَانَ رَبُّكَ مُهۡلِكَ
ٱلۡقُرَىٰ حَتَّىٰ يَبۡعَثَ فِيٓ أُمِّهَا رَسُولٗا يَتۡلُواْ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتِنَاۚ وَمَا
كُنَّا مُهۡلِكِي ٱلۡقُرَىٰٓ إِلَّا وَأَهۡلُهَا ظَٰلِمُونَ ﴿٥٩﴾

س: اذكر معنى ما يلي:

(وصَّلنا ـ مُسلمين ـ يدرؤن ـ اللغو ـ لا نبتغي الجاهلين ـ نتخطف ـ يُجبى ـ لدنَّا ـ بطرت معيشتها ـ في أمها).

ج:

الكلمة	معناها
وصَّلنا	أوصلنا ـ بيَّنا ـ فصلنا ـ أتممنا ـ أتبعنا بعضه ببعض ـ بعثنا إليهم رسولاً بعد رسول ـ وصلنا لهم خبر الدنيا بخبر الآخرة.
مُسلمين	مستسلمين ـ مُوحدين ـ خاضعين ـ مستجيبين.
يدرأون	يدفعون.
اللغو	ما لا فائدة فيه من الكلام، وقيل: المراد السخرية والقول المؤذي.
لا نبتغي الجاهلين	لا نريد محاورة أهل الجهل ـ لا نطلب مجادلة الجاهلين ومحاورتهم ومعاتبتهم.
نُتَخَطَّف	نُخرج ـ نُبعد ـ نُنازع.
يُجبى إليه	يجمع إليه ـ يُحمل إليه.
من لدنَّا	من عندنا.
بطرت معيشتها	خسرت معيشتها ـ أبطرتها معيشتها فطغت وبغت، وجهلت شكر معيشتها.

في أمها	في أعظمها، وأكبرها، وأصلها، وعاصمتها (والمراد هنا: مكة).

س: وضح المراد بقوله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ وَصَّلْنَا لَهُمُ الْقَوْلَ ﴾.

ج: المعنى ـ واللَّه أعلم ـ: ولقد أبلغنا قومك ومن حولك يا محمد بما حلّ بالأمم السابقة الذين كذبوا الرسل وخالفوا الكتب.

قال الطبري رحمه اللَّه:

يقول تعالى ذكره: ولقد وصلنا يا محمد لقومك من قريش ولليهود من بني إسرائيل القول بأخبار الماضين، والنبأ عما أحللنا بهم من بأسنا، إذ كذَّبوا رسلنا، وعما نحن فاعلون بمن اقتفى آثارهم، واحتذى في الكفر باللَّه وتكذيب رسله مثالهم، ليتذكروا فيعتبروا ويتعظوا، وأصله: من وصل الحبال بعضها ببعض، ومنه قول الشاعر:

فَقُلْ لِبَنِي مَرْوَانَ ما بالُ ذِمَّةٍ وَحَبْلٍ ضَعِيفٍ ما يَزالُ يُوَصَّلُ

وأورد بإسناد حسن عن قتادة قال:

﴿ **وَلَقَدْ وَصَّلْنَا لَهُمُ الْقَوْلَ** ﴾ قال: وصَّل اللَّه لهم القول في هذا القرآن، يخبرهم كيف صنع بمن مضى وكيف هو صانع، ﴿ **لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ** ﴾.

وبإسناد صحيح عن ابن زيد قال:

﴿ **وَلَقَدْ وَصَّلْنَا لَهُمُ الْقَوْلَ** ﴾ الخبر، خبر الدنيا بخبر الآخرة، حتى كأنهم عاينوا الآخرة، وشهدوها في الدنيا، بما نريهم من الآيات في الدنيا وأشباهها. وقرأ ﴿ **إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَةً لِّمَنْ خَافَ عَذَابَ الآخِرَةِ** ﴾ [هود: ١٠٣]، وقال: إنا سوف ننجزهم ما وعدناهم في الآخرة كما أنجزنا للأنبياء ما وعدناهم نقضي بينهم وبين قومهم.

* * *

س: من الذين وصَّل اللَّه إليهم القول؟ وقوله: ﴿يَتَذَكَّرُونَ﴾ يتذكرون ماذا؟

ج: من أهل العلم من قال: إنهم قريش.

* وقال آخرون: إنهم اليهود.

* وقوله ﴿يَتَذَكَّرُونَ﴾: أي: يتذكرون عهد اللَّه إليهم في محمد؛ أن يؤمنوا به ويصدقوه، ويعزروه ويوقروه، ويتبعوا النور الذي أنزل معه.

* وقيل أيضًا: ﴿يَتَذَكَّرُونَ﴾ أي: يتعظون بالقرآن عن عبادة الأوثان.

* * *

س: الضمير في قوله: ﴿مِن قَبْلِهِ﴾ عائد على ماذا؟

ج: قال بعض أهل العلم: إنه عائدٌ على القرآن.

ومن العلماء من قال: إنه عائدٌ على النبي ﷺ.

* * *

س: هل صحَّ لهذه الآية الكريمة ﴿وَلَقَدْ وَصَّلْنَا لَهُمُ الْقَوْلَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾ سبب نزول؟

ج: أخرج الطبراني[1] بسندٍ صحيح إلى رفاعة القُرظي قال: نزلت هذه الآية في عشرة رهطٍ أنا أحدهم: ﴿**وَلَقَدْ وَصَّلْنَا لَهُمُ الْقَوْلَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ**﴾.

* * *

---

(١) الطبراني (المعجم ٤٥٦٣، ٤٥٦٤).

س: كانت هناك طائفة من العلماء العاملين من أهل الكتاب لما سمعوا القرآن آمنوا به وصدّقوه، دلّل على ذلك.

ج: من الأدلة على ذلك ما يلي:

* قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ مِن قَبْلِهِ هُم بِهِ يُؤْمِنُونَ ۝٥٢ وَإِذَا يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ قَالُوا آمَنَّا بِهِ إِنَّهُ الْحَقُّ مِن رَّبِّنَا إِنَّا كُنَّا مِن قَبْلِهِ مُسْلِمِينَ﴾ [القصص: ٥٢-٥٣].

* وقوله تعالى: ﴿وَإِنَّ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَمَن يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْكُمْ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْهِمْ خَاشِعِينَ لِلَّهِ لا يَشْتَرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلاً﴾ [آل عمران: ١٩٩].

* وقوله تعالى: ﴿الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَتْلُونَهُ حَقَّ تِلاوَتِهِ أُوْلَئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِ﴾ [البقرة: ١٢١].

* وقوله تعالى: ﴿قُلْ آمِنُوا بِهِ أَوْ لا تُؤْمِنُوا إِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ مِن قَبْلِهِ إِذَا يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ يَخِرُّونَ لِلأَذْقَانِ سُجَّدًا ۝١٠٧ وَيَقُولُونَ سُبْحَانَ رَبِّنَا إِن كَانَ وَعْدُ رَبِّنَا لَمَفْعُولاً ۝١٠٨ وَيَخِرُّونَ لِلأَذْقَانِ يَبْكُونَ وَيَزِيدُهُمْ خُشُوعًا﴾ [الإسراء: ١٠٧-١٠٩].

* وقوله تعالى: ﴿لَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُم مَّوَدَّةً لِّلَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصَارَىٰ ذَلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ قِسِّيسِينَ وَرُهْبَانًا وَأَنَّهُمْ لا يَسْتَكْبِرُونَ ۝٨٢ وَإِذَا سَمِعُوا مَا أُنزِلَ إِلَى الرَّسُولِ تَرَىٰ أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا مِنَ الْحَقِّ يَقُولُونَ رَبَّنَا آمَنَّا فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ ۝٨٣ وَمَا لَنَا لا نُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَمَا جَاءَنَا مِنَ الْحَقِّ وَنَطْمَعُ أَن يُدْخِلَنَا رَبُّنَا مَعَ الْقَوْمِ الصَّالِحِينَ﴾ [المائدة: ٨٢].

* * *

س: اذكر بعض ما ورد في فضل الكتابي الذي آمن بنبيه ثم آمن بالنبي محمد ﷺ.

ج: هؤلاء لهم أجران:

أجرٌ لإيمانهم بنبيهم والكتاب الذي نزل عليه، وصبرهم على ذلك.

وأجرٌ لإيمانهم بالنبي ﷺ وبالقرآن.

كما قال تعالى: ﴿الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ مِن قَبْلِهِ هُم بِهِ يُؤْمِنُونَ ﴿٥٢﴾ وَإِذَا يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ قَالُوا آمَنَّا بِهِ إِنَّهُ الْحَقُّ مِن رَّبِّنَا إِنَّا كُنَّا مِن قَبْلِهِ مُسْلِمِينَ ﴿٥٣﴾ أُولَٰئِكَ يُؤْتَوْنَ أَجْرَهُم مَّرَّتَيْنِ بِمَا صَبَرُوا﴾ الآية [القصص: ٥١ ـ ٥٤].

* وفي «الصحيحين»(١) من حديث أبي موسى الأشعري رضي اللَّه عنه قال: قال رسولُ اللَّه ﷺ: «أيُّما رَجُلٍ كانت عندهُ وَليدةٌ فعلَّمهَا فأحْسَنَ تعليمَهَا، وأدَّبهَا فأحسَنَ تأديبَها ثُمَّ أَعْتَقَهَا وتَزَوَّجها، فَلَهُ أجران. وأيُّما رجل من أهلِ الكتابِ آمَنَ بنبيِّه وآمنَ ـ يعني بي ـ فَلَهُ أجرانِ، وأيُّما مَمْلوكٍ أدَّى حقَّ مواليهِ وحقَّ ربِّه، فلهُ أجرانِ».

* * *

س: هل هناك من تتضاعف أجورهم غير المذكورين في الحديث السابق؟

ج: نعم، هناك من تتضاعف أجورهم غير هؤلاء المذكورين في الحديث، من هؤلاء ما يلي:

١ ـ أهل الإيمان بصفة عامة: قال تعالى: ﴿وَمَا أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُم

(١) البخاري (حديث ٥٠٨٣)، ومسلم (حديث ١٥٤).

بالَّتِي تُقَرِّبُكُمْ عِندَنَا زُلْفَىٰ إِلاَّ مَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَأُولَئِكَ لَهُمْ جَزَاءُ الضِّعْفِ بِمَا عَمِلُوا وَهُمْ فِي الْغُرُفَاتِ آمِنُونَ ﴾ [سبأ: ٣٧].

٢ ـ أزواج النبي ﷺ: قال تعالىٰ: ﴿ وَمَن يَقْنُتْ مِنكُنَّ لِلَّهِ وَرَسُولِهِ وَتَعْمَلْ صَالِحًا نُّؤْتِهَا أَجْرَهَا مَرَّتَيْنِ وَأَعْتَدْنَا لَهَا رِزْقًا كَرِيمًا ﴾ [الأحزاب: ٣١].

٣ ـ المتصدق على القريب الفقير: فله أجران: أجر الصدقة وأجر الصِّلة.

* * *

س: اذكر بعض من لهم حَظٌّ ونصيبٌ من هذه الآية الكريمة: ﴿ الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ مِن قَبْلِهِ هُم بِهِ يُؤْمِنُونَ ﴾.

ج: من هؤلاء: النجاشي، وعبد اللَّه بن سلام، وسلمان الفارسي، وتميم الداري، وعدي بن حاتم الطائي رضي اللَّه عنهم أجمعين.

* * *

س: ما المراد بصبرهم المذكور في قوله تعالى: ﴿ بِمَا صَبَرُوا ﴾؟

ج: المراد بصبرهم ـ واللَّه أعلم ـ: صبرهم على الكتاب الأول (التوراة أو الإنجيل)، وصبرهم على ما نالهم من الأذىٰ لإيمانهم بالنبي ﷺ وتصديقهم بالقرآن.

* * *

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿ وَيَدْرَءُونَ بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةَ ﴾.

ج: المعنىٰ ـ واللَّه أعلم ـ: يدفعون بالحسنة السيئة؛ فإذا قذفهم أحدٌ بمسبَّةٍ قابلوها بعفوٍ وصفحٍ وجميل قولٍ، كما قال تعالىٰ: ﴿ وَلا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ

وَلا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ ﴾ [فصلت: ٣٤].

وثمَّ قول آخر، وهو أنهم يتبعون السيئة بالحسنة؛ فالمعنى: أنهم إذا ارتكبوا معصية أتبعوها بحسنة كما قال تعالى: ﴿ **وَأَقِمِ الصَّلاةَ طَرَفَيِ النَّهَارِ وَزُلَفًا مِّنَ اللَّيْلِ إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ** ﴾ [هود: ١١٤]، وأيضًا: إذا فعلوا ذنبًا أتبعوه بالاستغفار والتوبة.

*   *   *

س: اذكر على وجه الإجمال شيئًا من الأحاديث الواردة في الحث على الإنفاق.

ج: من ذلك ما يلي:

* قوله تعالى في الحديث القدسي[1]: «**أَنْفق يا بن آدَمَ أُنْفقْ عليكَ**».

* قوله النبي ﷺ: «**فَلْيَتَّقِينَّ أَحَدُكُمُ النَّارَ وَلَوْ بِشقِّ تَمْرَةٍ**»[2].

* قول النبي ﷺ: «**يا بنَ آدَمَ، إنَّكَ إنْ تَبْذُلِ الْفَضْلَ خَيرٌ لَكَ، وإنْ تَمْسكْهُ شَرٌّ لَكَ، ولا تُلام عَلَى كَفَافٍ**»[3].

وفي الباب أدلة لا حصر لها، وهي مبسوطة في موضعها من هذا التفسير، ولكنَّا أردنا أن لا يخلو منها هذا المقام.

*   *   *

(١) البخاري (الفتح ٩/ ٤٩٧)، ومسلم (٩٩٣).

(٢) البخاري (حديث ١٤١٣).

(٣) مسلم (حديث ١٠٣٦).

س: من شيم أهل الإيمان الإعراض عن اللغو. دلِّل على ذلك مع مزيد إيضاح.

ج: أما الأدلة على ذلك فمنها ما يلي:

* قال تعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ (١) الَّذِينَ هُمْ فِي صَلاتِهِمْ خَاشِعُونَ (٢) وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ﴾ [المؤمنون: ١-٣].

* وقال سبحانه في شأن عباد الرحمن: ﴿وَإِذَا مَرُّوا بِاللَّغْوِ مَرُّوا كِرَامًا﴾ [الفرقان: ٧٢].

* وقال سبحانه: ﴿وَإِذَا سَمِعُوا اللَّغْوَ أَعْرَضُوا عَنْهُ وَقَالُوا لَنَا أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ سَلامٌ عَلَيْكُمْ لا نَبْتَغِي الْجَاهِلِينَ﴾ [القصص: ٥٥].

* وقال تعالى: ﴿وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلامًا﴾ [الفرقان: ٦٣].

والثرثارون - وهم كثيرو الكلام - من أبغض الناس إلى رسول اللَّه ﷺ، قال ﷺ: «إنَّ من أَحبِّكُم إليَّ وأَقْرَبِكُمْ منِّي مَجْلسًا يوْمَ القيامَة أَحَاسنُكُمْ أَخْلاقًا، وإنَّ أَبْغَضَكُمْ إليَّ وأبعَدكُمْ منِّي مَجْلسًا يوْمَ القيامَة الثَّرْثَارُونَ وَالْمُتَشَدِّقُونَ والْمُتَفَيْهقُونَ».

قالوا: يا رسول اللَّه، قد علمنا الثرثارون والمتشدِّقون، فما الْمُتَفَيْقهون؟ قال: «الْمُتَكَبِّرُونَ»(١).

---

(١) أخرجه الترمذي (حديث ٢٠١٨)، وقال: هذا حديث حسن غريب من هذا الوجه.

قلت (مصطفى): وله شواهد يُحسَّن بها، انظر مسند الإمام أحمد (٤/ ١٩٣-١٩٤)، (٢/ ١٨٥).

قال الترمذي رحمه اللَّه:

والثرثار: هو كثير الكلام، والمتشدق: هو الذي يتطاول على الناس ويبذو عليهم.

وقد كره اللَّه سبحانه وتعالى لنا قيل وقال، قال النبي ﷺ: **«إنَّ اللَّهَ كَرِهَ لَكُمْ قِيلَ وَقَالَ، وكَثْرَةَ السُّؤالِ، وإِضَاعَةَ المَالِ»**(١).

* وانظر إلى حصائد الألسن وما تجره على صاحبها في قول النبي ﷺ: **«وَهَلْ يَكُبُّ النَّاسَ عَلَى وُجُوهِهُمْ فِي النَّارِ إلا حَصَائدُ أَلْسِنَتِهُمْ؟!»**(٢).

* وفي قول النبي ﷺ: **«إنَّ العبدَ لَيتكَلَّمُ بالكَلِمَةِ مَا يَتَبَيَّنُ فِيهَا يَزِلُّ بِهَا فِي النَّارِ أَبْعَدَ مِمَّا بينَ المَشْرِقِ والمَغْرِبِ»**(٣).

* وفي قوله عليه الصلاة والسلام: **«إِنَّ العَبْدَ لَيَتَكَلَّمُ بالكَلِمَةِ مِنْ رِضْوَانِ اللَّهِ لا يُلْقِي لَهَا بالاً يَرْفَعُهُ اللَّهُ بِهَا دَرَجَاتٍ، وإِنَّ العَبْدَ لَيَتَكَلَّمُ بِالْكَلِمَةِ مِنْ سَخَطِ اللَّهِ لا يُلْقِي لَهَا بالاً يَهْوِي بِهَا فِي جَهَنَّمَ»**(٤).

* * *

(١) أخرج البخاري (٧٢٩٢)، ومسلم (حديث ٥٩٣ ص١٣٤١) من حديث المغيرة بن شعبة الذي كتبه إلى معاوية، لما طلب منه معاوية أن يرسل إليه بشيء سمعه من رسول اللَّه ﷺ فكتب: (... كان النبي ﷺ ينهى عن قيل وقال، وكثرة السؤال، وإضاعة المال).

(٢) صحيح لشواهده، أخرجه الترمذي (٢٦١٦) من حديث معاذ بن جبل رضي اللَّه عنه مرفوعًا، وانظر الحاكم (٤/ ٢٨٦) «المستدرك».

(٣) البخاري (٦٤٧٧)، ومسلم (٢٩٨٨) من حديث أبي هريرة رضي اللَّه عنه مرفوعًا.

(٤) البخاري (٦٤٧٨) من حديث أبي هريرة رضي اللَّه عنه مرفوعًا.

س: هل هذه الآية الكريمة: ﴿وَإِذَا سَمِعُوا اللَّغْوَ أَعْرَضُوا عَنْهُ وَقَالُوا لَنَا أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ﴾ منسوخة؟

ج: ذهب بعض العلماء إلىٰ أنها منسوخة بآية السيف، وبقي حكمها ما دون الكفر:

فقال القرطبي رحمه اللَّه:

هذه آية مهادنة، وهي من صدر الإسلام، وهي مما نسختها آية السيف وبقي حكمها فيما دون الكفر يتعاطاه أمة محمد ﷺ إلىٰ يوم القيامة.

وقال آخرون من أهل العلم:

ليست الآية منسوخة، بل حكمها باقٍ، وهذا الأظهر والأقوىٰ، واللَّه أعلم.



س: وضح المراد بقوله تعالى: ﴿وَإِذَا سَمِعُوا اللَّغْوَ أَعْرَضُوا عَنْهُ﴾.

ج: في ذلك أقوال للعلماء:

أحدها: إذا سمع هؤلاء اللغو ـ وهو: الأذىٰ والسخرية من أهل الشرك ومن أهل الكتاب ـ أعرضوا عنه ولم يعاتبوهم ولم يعاقبوهم.

الثاني: ﴿اللَّغْوَ﴾: وهو ما لا فائدة فيه من الكلام وهو أيضًا الباطل ﴿أَعْرَضُوا عَنْهُ﴾: لم يجالسوا أهله، ولم يشاركوهم فيما هم فيه.

الثالث: أن المعنيّ باللغو هنا: ما ألحقه أهل الكتاب بكتاب اللَّه وهو ليس منه، وكما صح عن ابن زيد عند الطبري أنه قال في قوله: ﴿وَإِذَا سَمِعُوا

اللَّغْوَ أَعْرَضُوا عَنْهُ وَقَالُوا . . . ﴾ إلىٰ آخر الآية قال:

هذه لأهل الكتاب، إذا سمعوا اللغو الذي كتب القوم بأيديهم مع كتاب اللَّه وقالوا: هو من عند اللَّه إذا سمعه الذين أسلموا ومرّوا به يتلونه، أعرضوا عنه وكأنهم لم يسمعوا ذلك قبل أن يؤمنوا بالنبي ﷺ، لأنهم كانوا مسلمين علىٰ دين عيسىٰ، ألا ترىٰ أنهم يقولون: ﴿ إنا كنا من قبله مسلمين ﴾؟!![القصص: ٥٣].

* * *

س: وضح المراد بقولهم: ﴿ لَنَا أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ سَلامٌ عَلَيْكُمْ لا نَبْتَغِي الْجَاهِلِينَ ﴾.

ج: المراد ـ واللَّه أعلم ـ: لنا جزاء أعمالنا وقد رضينا به، ولكن جزاء أعمالكم قد رضيتموه لأنفسكم.

* وقيل أيضًا: المعنىٰ: لنا ديننا ولكم دينكم.

وقوله ﴿ **سَلامٌ عَلَيْكُمْ** ﴾ المراد به: سلام التَّتَارُك.

فالمعنىٰ: أنهم لا يقابلون الإساءة بإساءة، بل بعفوٍ وإحسان.

قال الحافظ ابن كثير رحمه اللَّه:

﴿ **وَقَالُوا لَنَا أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ سَلامٌ عَلَيْكُمْ لا نَبْتَغِي الْجَاهِلِينَ** ﴾ أي: إذا سَفه عليهم سَفيه، وكلَّمهم بما لا يليق بهم الجواب عنه، أعرضوا عنه ولم يقابلوه بمثله من الكلام القبيح ولا يصدر عنهم إلا كلام طيب؛ ولهذا قال عنهم: إنهم قالوا: ﴿ **لَنَا أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ سَلامٌ عَلَيْكُمْ لا نَبْتَغِي الْجَاهِلِينَ** ﴾ أي: لا نُريد طريق الجاهلين ولا نحبها.

قلت: وقولهم: ﴿سَلامٌ عَلَيْكُمْ لا نَبْتَغِي الْجَاهِلِينَ﴾ كقوله تعالى: ﴿وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلامًا﴾ [الفرقان: ٦٣].

وقولهم: ﴿لا نَبْتَغِي الْجَاهِلِينَ﴾ أي: لا نطلبهم للجدال والمخاصمة، والسباب، والمشاتمة والمعاتبة، والمؤاخذة.

* * *

س: هل قول أهل الإيمان: ﴿لَنَا أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ سَلامٌ عَلَيْكُمْ لا نَبْتَغِي الْجَاهِلِينَ﴾ كان باللسان في وجوه أهل اللغو؟

ج: قال فريق من أهل العلم: إن هذا لم يكن قولاً في وجوههم، إنما هو بمعنى التتارك وليس بسلام التحية.

والمعنى: أمنًا لكم منا؛ فإنا لا نحاربكم ولا نشتمكم.

ومنه قول إبراهيم عليه السلام لأبيه: ﴿سَلامٌ عَلَيْكَ﴾ [مريم: ٤٧].

* * *

س: اذكر سبب نزول قوله تعالى: ﴿إِنَّكَ لا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ﴾.

ج: نزلت هذه الآية في أبي طالب عم رسول الله ﷺ، وقد دعاه النبي ﷺ إلى الإسلام فأبى.

قال القرطبي رحمه الله:

قال الزجاج: أجمع المسلمون على أنها نزلت في أبي طالب.

قال القرطبي:

«(قلت): والصواب أن يُقال: أجمع جُلُّ المفسرين على أنها نزلت في شأن أبي طالب عم النبي ﷺ، وهو نص حديث البخاري ومسلم».

قلت (مصطفى): أخرج البخاري ومسلم(١) من طريق سعيد بن المسيب عن أبيه قال: لَمَّا حضرت أبا طالب الوفاةُ جاءه رسولُ اللَّه ﷺ فوجد عنده أبا جهلٍ وعبد اللَّه بن أميةَ بن المغيرة، فقال: «**أَيْ عَمِّ، قُلْ: لا إلهَ إلا اللَّه. كَلِمَةً أُحَاجُّ لَكَ بِهَا عِنْدَ اللَّه**».

فقال أبو جهل وعبد اللَّه بن أبي أمية: أترغب عن ملةِ عبدِ المطلب؟ فلم يزل رسولُ اللَّه ﷺ يعرضها عليه ويُعيدانِه بتلك المقالة حتى قال أبو طالب آخرَ ما كلمهم: على ملةِ عبد المطلب، وأبى أن يقول: لا إله إلا اللَّه.

قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «**لأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ مَا لَمْ أُنْهَ عَنْكَ**». فأنزل اللَّه ﴿**مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَن يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ**﴾ [التوبة: ١١٣]، وأنزل اللَّه في أبي طالب فقال لرسولِ اللَّه ﷺ: ﴿**إِنَّكَ لا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَن يَشَاءُ**﴾ [القصص: ٥٦].

* وعند مسلم (٢) أيضًا من حديث أبي هريرة رضي اللَّه عنه قال: قال رسول اللَّهِ ﷺ لعمِّه عند الموت: «**قُلْ: لا إلهَ إلا اللَّهُ، أَشْهَدُ لَكَ بِهَا يومَ القِيَامَةِ**» فأبى. فأنزل اللَّهُ: ﴿**إِنَّكَ لا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ**﴾.

* وفي رواية أخرى عند مسلم أيضًا: عن أبي هريرة قال: قال رسول اللَّهِ ﷺ لعمِّه: «**قُلْ: لا إله إلا اللَّهُ، أَشْهَدُ لَكَ بِهَا يومَ القِيَامَةِ**» قال: لولا أن تُعيِّرَنِي قُرَيشٌ؛ يقولون: إنَّما حمله على ذلك الجزعُ. لأقررتُ بها عينَكَ. فأنزل اللَّهُ: ﴿**إِنَّكَ لا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَن يَشَاءُ**﴾.

* * *

(١) البخاري (حديث ٤٧٧٢)، ومسلم (حديث ٢٤).
(٢) مسلم (حديث ٢٥).

س: وضح الهُدى المنفيَّ في قوله تعالى: ﴿إِنَّكَ لا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ﴾.

ج: اعلم أولاً أن الهداية على قسمين:

هداية الدلالة، وهداية التوفيق.

والهداية في قوله تعالى: ﴿**إِنَّكَ لا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ**﴾ هي هداية التوفيق، فالتوفيق بيد اللَّه وحده، يهدي به من يشاء من عباده.

ونحوه هذه الهداية في قوله تعالى: ﴿**إِن تَحْرِصْ عَلَىٰ هُدَاهُمْ فَإِنَّ اللَّهَ لا يَهْدِي مَن يُضِلُّ**﴾ [النحل: ٣٧].

أما هداية الدلالة ففي قوله تعالى: ﴿**وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ**﴾ [الشورى: ٥٢].

قال السعدي رحمه اللَّه «تيسير الكريم الرحمن»:

يخبر تعالى أنك يا محمد ـ وغيرك من باب أولى ـ لا تقدر على هداية أحد ولو كان من أحب الناس إليك، فإن هذا أمر غير مقدور للخلق هداية للتوفيق، وخلق الإيمان في القلب، وإنما ذلك بيد اللَّه تعالى يهدي من يشاء، وهو أعلم بمن يصلح للهداية فيهديه ممن لا يصلح لها فيبقيه على ضلاله.

وأما إثبات الهداية للرسول في قوله تعالى: ﴿**وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ**﴾ [الشورى: ٥٢] فتلك هداية البيان والإرشاد، فالرسول يبين الصراط المستقيم، ويرغب فيه، ويبذل جهده في سلوك الخلق له.

وأما كونه يخلق في قلوبهم الإيمان، ويوفقهم بالفعل فحاشا وكلا،

ولهذا لو كان قادراً عليها لهدىٰ من وصل إليه إحسانه ونصره ومنعه من قومه عمه أبا طالب، ولكنه أوصل إليه من الإحسان بالدعوة له للدين والنصح التام ما هو أعظم مما فعله معه عمه، ولكن الهداية بيد اللَّه.

* * *

س: لماذا لم ينتفع أبو طالب بمحبته لرسول اللَّه ﷺ؟

ج: ذلك لأن محبتة لرسول اللَّه ﷺ كانت محبةً جِبلِّيَّة طبعيَّة، ثم أيضًا لكونه اختار الكفر على الإسلام، فذهب شركه بثواب عمله.

وقد ورد أنه ينتفع بعض الانتفاع بسبب دفاعه عن رسول اللَّه ﷺ، ففي «الصحيحين»[١] من طريق عبد اللَّه بن الحارث قال: سمعتُ العباسَ يقول: قلتُ: يا رسول اللَّه، إن أبا طالب كان يحوطُك وينصُرُك. فهل نفعه ذلك؟ قال: «**نَعَمْ، وَجَدْتُهُ فِي غَمَرَاتٍ مِنَ النَّارِ فَأَخْرَجْتُهُ إلى ضَحْضَاحٍ**».

* * *

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿وهو أعلم بالمهتدين﴾؟

ج: المعنىٰ ـ واللَّه أعلم ـ: وهو أعلم بمن قُدِّر له الهدىٰ ومن قدر له الضلال.

ومن المعنىٰ أيضًا: وهو أعلم بمن يستحق الهداية فيهديه، ومن يستحق الغواية فيُغوىٰ.

* * *

(١) البخاري (حديث ٣٨٨٣)، ومسلم ص (٩٥).

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿وَقَالُوا إِن نَّتَّبِعِ الْهُدَىٰ مَعَكَ نُتَخَطَّفْ مِنْ أَرْضِنَا أَوَلَمْ نُمَكِّن لَّهُمْ حَرَمًا آمِنًا يُجْبَىٰ إِلَيْهِ ثَمَرَاتُ كُلِّ شَيْءٍ رِّزْقًا مِّن لَّدُنَّا﴾؟

ج: المعنى ـ والله أعلم ـ: أن المشركين يتعللون لكفرهم وعدم إيمانهم بخوفهم من غيرهم، وأنهم لو آمنوا لحاربهم من حولهم وأخرجوهم من ديارهم.

فردَّ الله عليهم حجتهم وتعللهم فقال: ﴿أَوَلَمْ نُمَكِّن لَّهُمْ حَرَمًا آمِنًا يُجْبَىٰ إِلَيْهِ ثَمَرَاتُ كُلِّ شَيْءٍ رِّزْقًا مِّن لَّدُنَّا﴾ أي: أو لم نجعلهم آمنين في الحرم لا يغزوهم فيه أحد ولا يعتدي عليهم أحدٌ، وذلك لكونهم من أهل الحرم.

ثم إن جميع الثمرات يؤتى بها إليهم في حرصهم هذا، كل ذلك رزقًا من لدنَّا؟!!

فكأن المعنى: فهل نضيعهم إذا آمنوا بنا وصدقونا وقد كنَّا نرزقهم قبل إيمانهم؟!

* * *

س: وضح المراد بقوله تعالى: ﴿وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾؟

ج: قال القرطبي رحمه الله:

﴿وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ أي: لا يعقلون، أي: هم غافلون عن الاستدلال، وأن من رزقهم وأمَّنَهُم فيما مضى حال كفرهم يرزقهم لو أسلموا، ويمنع الكفار عنهم في إسلامهم.

قلت (مصطفى): وقوله: ﴿لَا يَعْلَمُونَ﴾ من معناه أيضًا: لا يعلمون أنا نرزق المطيع ونحفظه ونوسع عليه، كما قال تعالى ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَىٰ آمَنُوا

واتَّقَوْا لَفتَحنا عَلَيْهِم بَركَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ ولَكِن كَذَّبُوا فَأَخَذْنَاهُم بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴾ [الأعراف: ٩٦].

وكما قال تعالىٰ: ﴿ **وألو استقاموا . . غدقا** ﴾ [الجن: ١٦].

وكما قال نوح عليه السلام: ﴿ **فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا** ﴿١٠﴾ **يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا** ﴿١١﴾ **ويُمْدِدْكُم بِأَمْوَالٍ وبَنِينَ ويَجْعَل لَّكُمْ جَنَّاتٍ ويَجْعَل لَّكُمْ أَنْهَارًا** ﴾ [نوح: ١٠-١٢].

فالذي رزقهم وحفظهم في حال كفرهم سيرزقهم ويوسع عليهم في حال إسلامهم ويؤمنهم كذلك مما يخافوا.

* * *

س: وضح المراد بقوله تعالى: ﴿ **وكَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَرْيَةٍ بَطِرَتْ مَعِيشَتَهَا فَتِلْكَ مَسَاكِنُهُمْ لَمْ تُسْكَن مِّنْ بَعْدِهِمْ إِلاَّ قَلِيلاً . . .** ﴾.

ج: هذه الآية تحمل بيانًا وإيضاحًا لمن توهم أن اللَّه سيضيعه إذا آمن وسيقاتله الناس ويخرجونه من دياره، فيقال لهذا المتوهم: يا من توهمت أن الخطر في الإيمان باللَّه، وأن أهل الكفر سيخرجونك من ديارك وسيقتلونك بسبب ذلك، يا هذا المتوهم اذكر أن اللَّه تبارك وتعالىٰ بيَّن في كتابه الكريم أن الخطر في الكفر أعظم وأعظم مما تتصور من الأذىٰ الذي سيلحقك إذا آمنت؛ فكم من قرية بطرت معيشتها، فتلك مساكنهم لم تُسكن من بعدهم إلا قليلاً وكنَّا نحن الوارثين.

﴿ **كَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّن قَرْنٍ هُمْ أَشَدُّ مِنْهُم بَطْشًا** ﴾ [ق: ٣٦].

قال تعالىٰ: ﴿ **وكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ عَتَتْ عَنْ أَمْرِ رَبِّهَا وَرُسُلِه فَحَاسَبْنَاهَا حِسَابًا**

شَديداً وَعَذَّبْنَاهَا عَذَابًا نُّكْرًا ﴾ [الطلاق: ٨].

وقال تعالىٰ: ﴿ وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلاً قَرْيَةً كَانَتْ آمِنَةً مُّطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِّن كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ اللَّهِ فَأَذَاقَهَا اللَّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ ﴾ [النحل: ١١٢].

* * *

س: ما المراد بالقليل في قوله تعالى: ﴿ لَمْ تُسْكَن مِّنْ بَعْدِهِمْ إِلاَّ قَلِيلاً ﴾؟

ج: المراد ـ واللَّه أعلم ـ: أن القليل منها هو الذي سُكن، أما أغلبها فلم يُسكن.

وقول آخر: أن زمن المكث فيها قليل، فلا يكاد أحدٌ أن ينزلها إلا المسافر الذي يمر فيها فيبول أو يقضي حاجة، أو يستريح برهةً من وعثاء السفر.

* * *

س: ينبغي أن يركز الدعاة إلى اللَّه في دعوتهم على المدن الكبرى، وأماكن التجمعات الكبرى قدر الاستطاعة، دلِّل على ذلك.

ج: من الأدلة على ذلك: قوله تعالىٰ: ﴿ وَمَا كَانَ رَبُّكَ مُهْلِكَ الْقُرَىٰ حَتَّىٰ يَبْعَثَ فِي أُمِّهَا رَسُولاً يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِنَا ﴾.

وأم القرىٰ هي قِلَّةٌ، وأمهات البلاد عواصمها ومدنها الكبرىٰ، وفي ذلك خير لمعرفة الناس بالمدن وسهولة الوصول إليها، واللَّه أعلم.

* * *

س: وضح المراد بقوله تعالى: ﴿وَمَا كُنَّا مُهْلِكِي الْقُرَىٰ إِلَّا وَأَهْلُهَا ظَالِمُونَ﴾.

ج: إيضاحه فيما ذكره القرطبي رحمه اللَّه:

﴿وَمَا كُنَّا مُهْلِكِي الْقُرَىٰ﴾ وسقطت النون للإضافة مثل: ﴿ظَالِمِي أَنفُسِهِمْ﴾ [النساء: ٩٧]، ﴿إِلَّا وَأَهْلُهَا ظَالِمُونَ﴾ أي: لم أهلكهم إلا وقد استحقوا الإهلاك لإصرارهم على الكفر بعد الإعذار إليهم. وفي هذا بيان لعدله وتقدّسه عن الظلم. أخبر تعالى أنه لا يهلكهم إلا إذا استحقوا الإهلاك بظلمهم، ولا يهلكهم مع كونهم ظالمين إلا بعد تأكيد الحجة والإلزام ببعثة الرسل، ولا يجعل علمه بأحوالهم حجة عليهم.

ونزّه ذاته أن يهلكهم وهم غير ظالمين، كما قال عز من قائل: ﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ الْقُرَىٰ بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا مُصْلِحُونَ﴾ [هود: ١١٧] فنص في قوله: ﴿بِظُلْمٍ﴾ [هود: ١١٧] على أنه لو أهلكهم وهم مصلحون لكان ذلك ظلمًا لهم منه، وإن حاله في غناه وحكمته منافية للظلم، دلّ على ذلك بحرف النقي مع لامه كما قال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَانَكُمْ﴾ [البقرة: ١٤٣].



وَمَآ أُوتِيتُم مِّن شَيْءٖ فَمَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتُهَاۚ وَمَا عِندَ
ٱللَّهِ خَيْرٞ وَأَبْقَىٰٓۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٦٠﴾ أَفَمَن وَعَدْنَٰهُ وَعْدًا حَسَنٗا
فَهُوَ لَٰقِيهِ كَمَن مَّتَّعْنَٰهُ مَتَٰعَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ثُمَّ هُوَ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ
مِنَ ٱلْمُحْضَرِينَ ﴿٦١﴾ وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَآءِيَ ٱلَّذِينَ
كُنتُمْ تَزْعُمُونَ ﴿٦٢﴾ قَالَ ٱلَّذِينَ حَقَّ عَلَيْهِمُ ٱلْقَوْلُ رَبَّنَا هَٰٓؤُلَآءِ
ٱلَّذِينَ أَغْوَيْنَآ أَغْوَيْنَٰهُمْ كَمَا غَوَيْنَاۖ تَبَرَّأْنَآ إِلَيْكَۖ مَا كَانُوٓاْ إِيَّانَا
يَعْبُدُونَ ﴿٦٣﴾ وَقِيلَ ٱدْعُواْ شُرَكَآءَكُمْ فَدَعَوْهُمْ فَلَمْ يَسْتَجِيبُواْ
لَهُمْ وَرَأَوُاْ ٱلْعَذَابَۚ لَوْ أَنَّهُمْ كَانُواْ يَهْتَدُونَ ﴿٦٤﴾ وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ
فَيَقُولُ مَاذَآ أَجَبْتُمُ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٦٥﴾ فَعَمِيَتْ عَلَيْهِمُ ٱلْأَنۢبَآءُ
يَوْمَئِذٖ فَهُمْ لَا يَتَسَآءَلُونَ ﴿٦٦﴾ فَأَمَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ
صَٰلِحٗا فَعَسَىٰٓ أَن يَكُونَ مِنَ ٱلْمُفْلِحِينَ ﴿٦٧﴾ وَرَبُّكَ
يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ وَيَخْتَارُۗ مَا كَانَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُۚ سُبْحَٰنَ
ٱللَّهِ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٦٨﴾ وَرَبُّكَ يَعْلَمُ مَا تُكِنُّ
صُدُورُهُمْ وَمَا يُعْلِنُونَ ﴿٦٩﴾ وَهُوَ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ لَهُ
ٱلْحَمْدُ فِي ٱلْأُولَىٰ وَٱلْأٓخِرَةِۖ وَلَهُ ٱلْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٧٠﴾

س: اذكر معنى ما يلي:

(خيرٌ وأبقى ـ لاقيه ـ المحضرين ـ أغوينا ـ أغويناهم ـ كما غوينا ـ فلم يستجيبوا لهم ـ فعميت عليهم الأنباء ـ المفلحين ـ الخيرة ـ تكن صدورهم ـ الحكم).

ج:

الكلمة	معناها
خيرٌ وأبقى	أفضل وأدوم.
لاقيه	ملاقيه وصائر إليه.
المحضرين	المحضرين في النار، فهم أهلها ـ يُحضر يوم القيامة ثم يعزب ـ ومنه ﴿ولولا نعمة ربي لكنت من المحضرين﴾ وقوله ﴿ولقد علمت الجِنَّةُ إنَّهم لمحضرون﴾.
أغوينا	دعوناهم إلى الغيِّ والضلال.
أغويناهم كما غوينا	أضللناهم كما ضللنا.
فلم يستجيبوا لهم	فلم يجيبوهم.
عميت عليهم الأنباء	خفيت عليهم الحجج ووجوه الإجابة فلم يدروا كيف يجيبوا.

المفلحين	المدركين حاجتهم ـ الفائزين بمطلبهم ـ الناجين من مرهوبهم .
الخيرة	الاختيار .
تُكِنُّ	تُخفي ـ تُضمر .
الحكم	القضاء النافذ .

س: اذكر بعض الأدلة على حقارة الدنيا وتفاهتها بالنسبة للآخرة.

ج: من ذلك ما يلي:

* قوله تعالى: ﴿بَلْ تُؤْثِرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا ﴿١٦﴾ وَالآخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَى﴾ [الأعلى: ١٦-١٧].

* قوله تعالى: ﴿وَإِنَّ الدَّارَ الآخِرَةَ لَهِيَ الْحَيَوَانُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾ [العنكبوت: ٦٤].

* قوله تعالى: ﴿وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلاَّ مَتَاعُ الْغُرُورِ﴾ [آل عمران: ١٨٥].

* قوله تعالى: ﴿وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلاَّ مَتَاعٌ﴾ [الحديد: ٢٠].

* قوله تعالى: ﴿مَا عِندَكُمْ يَنفَدُ وَمَا عِندَ اللَّهِ بَاقٍ﴾ [النحل: ٩٦].

* قوله تعالى: ﴿زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ ذَلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاللَّهُ عِندَهُ حُسْنُ الْمَآبِ﴾ [آل عمران: ١٤].

* قوله تعالى: ﴿وَمَا أُوتِيتُم مِّن شَيْءٍ فَمَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَزِينَتُهَا وَمَا عِندَ اللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَى أَفَلا تَعْقِلُونَ﴾ [القصص: ٦٠].

وقال رسول اللَّه ﷺ: «واللَّه، ما الدُّنْيَا في الآخِرَةِ إلاَّ مِثْلُ ما يَجْعَلُ أَحَدُكُمْ إِصْبَعَهُ هَذِهِ فِي اليَمِّ فَلْيَنْظُرْ بِمَ يَرْجِعُ»(١).

* ومن ذلك ما أخرجه مسلم(٢) في «صحيحه» من حديث جابر بن عبد اللَّه رضي اللَّه عنهما أنَّ رسول اللَّه ﷺ مرَّ بالسوقِ، داخلاً من بعضِ

---

(١) أخرجه مسلم (حديث ٢٨٥٨) من حديث المستورد بن شداد رضي اللَّه عنه مرفوعًا.

(٢) مسلم (حديث ٢٩٥٧).

العالية، والناسُ كَنَفَتَهُ(١). فمرَّ بجدي أَسَكَّ ميِّتٍ. فتناوله فأخذ بأُذُنه، ثم قال: «**أيُّكُم يحبّ أنَّ هـذا لَهُ بدرْهَمٍ؟**» فقالوا: ما نُحبُّ أنه لنا بشيءٍ. وما نصنعُ به؟ قال: «**أتُحبُّونَ أَنَّهُ لَكُم؟**» قالوا: واللَّه، لو كانَ حيًا كان عَيْبًا فيه؛ لأَنَّهُ أَسَكُّ(٢). فكيفَ وهو ميتٌ؟

فقال: «**فَوَاللَّه، لَلدُّنْيَا أَهْوَنُ عَلَى اللَّهِ منْ هَذَا عَلَيْكُمْ**».

* وعند مسلم(٣) أيضًا من حديث عبد اللَّه بن الشخير رضي اللَّه عنه قال: أتيتُ النبي ﷺ وهو يقرأ: ألهاكم التكاثر. قال: «**يَقُولُ ابنُ آدَمَ: مَالي. مَالي - قالَ - وَهَلْ لَكَ يَا ابْنَ آدَمَ مِنْ مَالِكَ إِلا مَا أَكَلْتَ فَأَفْنَيْت، أَو لَبِسْتَ فَأَبْلَيْتَ، أَوْ تَصَدَّقْتَ فَأَمْضَيْتَ؟**».

* وعند مسلم(٤) من حديث أنس بن مالك رضي اللَّه عنه قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «**يُؤْتَى بِأَنْعَمِ أَهْلِ الدُّنْيَا مِنْ أَهْلِ النَّارِ يومَ القِيَامَة. فَيُصْبَغُ في النَّارِ صَبْغَةً، ثُمَّ يُقالُ: يا بنَ آدَمَ، هَل رأيتَ خَيْرًا قَطُّ؟ هَلْ مَرَّ بكَ نَعيمٌ قَطُّ؟ فَيَقُولُ: لا. واللَّه يا رَبِّ. ويُؤْتَى بأشَدِّ النَّاسِ بُؤْسًا في الدُّنيا مِنْ أَهْلِ الجَنَّة فَيُصْبَغُ صَبْغَةً في الجَنَّة. فَيُقَالُ لَهُ: يا بنَ آدم، هَلْ رأيتَ بُؤْسًا قَطُّ؟ هَلْ مَرَّ بكَ شدَّةٌ قَطُّ؟ فيَقُولُ: لا، واللَّه يا رَبِّ ما مَرَّ بِي بُؤْسٌ قَطُّ. وَلا رَأَيْتُ شدَّةً قَطُّ**».

قال السعدي رحمه اللَّه تعالى في تفسير قوله تعالى:

﴿**وَمَا عِندَ اللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ أَفَلا تَعْقِلُونَ**﴾: هذا حضٌّ منه تعالىٰ لعباده علىٰ

---

(١) كنفته أي: علىٰ جانبيه.

(٢) صغير الأذن.

(٣) مسلم (حديث ٢٩٥٨).

(٤) مسلم (حديث ٢٨٠٧).

الزهد في الدنيا، وعدم الاغترار بها، وعلىٰ الرغبة في الأخرىٰ، وجعلها مقصود العبد ومطلوبه. ويخبرهم أن جميع ما أوتيه الخلق، من الذهب والفضة، والحيوانات والأمتعة، والنساء، والبنين، والمآكل، والمشارب، واللذات، كلها متاع الحياة الدنيا وزينتها.

أي: يتمتع به وقتًا قصيرًا، متاعًا قاصرًا، محشوًا بالمنغصات، ممزوجًا بالغصص، ويتزين به زمانًا يسيرًا للفخر والرياء، ثم يزول ذلك سريعًا، وينقضي جميعًا، ولم يستفد صاحبه منه إلا الحسرة والندم، والخيبة والحرمان.

﴿ **وَمَا عِندَ اللَّهِ** ﴾ من النعيم المقيم والعيش السليم ﴿ **خَيْرٌ وَأَبْقَى** ﴾ أي: أفضل في وصفه وكميته، وهو دائم أبدًا ومستمر سرمدًا.

﴿ **أَفَلا تَعْقِلُونَ** ﴾ أي: أفلا تكون لكم عقول، بها تزنون أي الأمرين أولىٰ بالإيثار، وأي الدارين أحق للعمل لها، فدل ذلك أنه بحسب عقل العبد، يؤثر الأخرىٰ علىٰ الدنيا، وأنه ما آثر أحد الدنيا إلا لنقص في عقله. ولهذا نبه العقول علىٰ الموازنة بين عاقبة مؤثر الدنيا، ومؤثر الآخرة». اهـ.

* * *

س: ما نوع الاستفهام في قوله تعالى: ﴿ أَيْنَ شُرَكَائِيَ الَّذِينَ كُنتُمْ تَزْعُمُونَ ﴾؟

ج: هذا استفهام للتوبيخ والتقريع والتهديد.

* * *

س: اذكر بإيضاح معنى قوله تعالى: ﴿ أَفَمن وَعَدْنَاهُ وَعْدًا حَسنًا فَهُو لاقيه ﴾.

ج: في هذا بيان لأمرٍ قد تكرر التنبيه عليه في كتاب اللَّه عز وجل ألا وهو أن المؤمن المصدق لا يستوي مع الفاجر والمكذب.

* قال تعالى: ﴿ أَفَمَن كَانَ مُؤْمِنًا كَمَن كَانَ فَاسِقًا لاَّ يَسْتَوُونَ ﴾ [السجدة: ١٨].

* وقال تعالى: ﴿ أَمْ نَجْعَلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَالْمُفْسِدِينَ فِي الأَرْضِ أَمْ نَجْعَلُ الْمُتَّقِينَ كَالْفُجَّارِ ﴾ [ص: ٢٨].

* وقال تعالى: ﴿ أَفَمَن يَعْلَمُ أَنَّمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ الْحَقُّ كَمَنْ هُوَ أَعْمَى ﴾ [الرعد: ١٩].

وهذا المعنى مطرد.

فمعنى الآية الكريمة: أفمن وعدناه على إيمانه وتصديقه وعمله الصالح وعدًا حسنًا بالجنة وما فيها من النعيم المقيم فهو لاقيه كمن متعناه متاعًا في الحياة الدنيا فاستمتع بها ونسي العمل للآخرة ثم هو يوم القيامة من المحضرين في العذاب.

وقد أخرج الطبري بإسناد جيد عن قتادة أنه قال في الآية الكريمة: هو المؤمن، سمع كتاب اللَّه فصدَّق به وآمن بما وعد اللَّه فيه.

قال السعدي رحمه اللَّه:

﴿ أَفَمَن وَعَدْنَاهُ وَعْدًا حَسَنًا فَهُوَ لاقِيهِ ﴾ أي: هل يستوي مؤمنٌ ساع للآخرة سعيها قد عمل على وعد ربه له بالثواب الحسن، الذي هو الجنة وما

فيها من النعيم العظيم، فهو لاقيه، من غير شك، ولا ارتياب لأنه وعد من كريم، صادق الوعد، لا يخلف الميعاد، لعبد قام بمرضاته، وجانب سخطه.

﴿كَمَن مَّتَّعْنَاهُ مَتَاعَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ فهو يأخذ فيها، ويعطي، ويأكل ويشرب، ويتمتع كما تتمتع البهائم. قد اشتغل بدنياه عن آخرته، ولم يرفع بهدىٰ اللَّه رأسًا، ولم ينقد للمرسلين. فهو لا يزال كذلك، لا يتزود من دنياه إلا الخسار والهلاك.

﴿ثُمَّ هُوَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنَ الْمُحْضَرِينَ﴾ للحساب، وقد علم أنه لم يقدم خيرًا لنفسه، وإنما قدم جميع ما يضره، وانتقل إلىٰ دار الجزاء علىٰ الأعمال. فما ظنكم بما يصير إليه؟ وما تحسبون ما يصنع به؟ فليختر العاقل لنفسه، ما هو أولىٰ بالاختيار، وأحق الأمرين بالإيثار.

* * *

س: ما المراد بالشركاء في قوله تعالى: ﴿أَيْنَ شُرَكَائِيَ الَّذِينَ كُنتُمْ﴾؟ وقوله ﴿تَزْعُمُونَ﴾ يزعمون ماذا؟

ج: أما المراد بالشركاء: فهم الآلهة من الأنداد التي كانوا يعبدونها مع اللَّه عز وجل.

وأما قوله «تزعمون»: أي: تزعمون أنهم لي شركاء.

وتزعمون أنهم ينفعونكم أو يضرونكم أو يشفعون لكم.

* * *

س: قوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَائِيَ الَّذِينَ كُنتُمْ تَزْعُمُونَ﴾ أتبع بعد ذلك بنداء آخر، وهو ﴿وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ مَاذَا

أَجَبْتُمُ الْمُرْسَلِينَ ﴾؛ وضح المراد بالنداءين.

ج: قال الحافظ ابن كثير رحمه اللَّه:

وقوله: ﴿ **وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ مَاذَا أَجَبْتُمُ الْمُرْسَلِينَ** ﴾ النداء الأول عن سؤال التوحيد، وهذا فيه إثبات النبوات: ماذا كان جوابكم للمرسلين إليكم؟ كيف كان حالكم معهم؟ وهذا كما يُسأل العبد في قبره: من ربك؟ ومن نبيك؟ وما دينك؟ فأما المؤمن: فيشهد أنه لا إله إلا اللَّه وأن محمداً عبد اللَّه ورسوله. وأما الكافر فيقول: هاه... هاه... لا أدري؛ ولهذا لا جواب له يوم القيامة غير السكوت؛ لأن من كان في هذه أعمىٰ فهو في الآخرة أعمىٰ وأضل سبيلاً؛ ولهذا قال تعالىٰ: ﴿ **فَعَمِيَتْ عَلَيْهِمُ الأَنْبَاءُ يَوْمَئِذٍ فَهُمْ لا يَتَسَاءَلُونَ** ﴾.

* * *

س: من هم الذين حق عليهم القول؟

ج: هم الشياطين؛ شياطين الجن، وشياطين الإنس كذلك، والدعاة إلىٰ الكفر.

* * *

س: وضح المراد بقولهم: ﴿ رَبَّنَا هَؤُلاءِ الَّذِينَ أَغْوَيْنَا أَغْوَيْنَاهُمْ كَمَا غَوَيْنَا ﴾.

ج: يقول المتبوعون: (من الرؤساء، والقادة، وأئمة الكفر من شياطين الإنس والجن) لربهم عز وجل: ﴿ **رَبَّنَا هَؤُلاءِ الَّذِينَ أَغْوَيْنَا** ﴾ أي: دعوناهم إلىٰ الغيِّ والضلال، أضللناهم كما ضللنا، ودعوناهم إلي الغيِّ كما كنا

ضالين وغاوين تبرأنا إليك يا ربنا منهم ومن طاعتهم لنا .

* * *

س: اذكر بعض الآيات التي تبين تبرؤ المتبوعين من أتباعهم يوم القيامة.

ج: من ذلك ما يلي:

* قوله تعالى: ﴿قَالَ الَّذِينَ حَقَّ عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ رَبَّنَا هَؤُلاءِ الَّذِينَ أَغْوَيْنَا أَغْوَيْنَاهُمْ كَمَا غَوَيْنَا تَبَرَّأْنَا إِلَيْكَ مَا كَانُوا إِيَّانَا يَعْبُدُونَ﴾ [القصص: ٦٣].

* قوله تعالى: ﴿إِذْ تَبَرَّأَ الَّذِينَ اتُّبِعُوا مِنَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا وَرَأَوُا الْعَذَابَ وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ الأَسْبَابُ ﴿١٦٦﴾ وَقَالَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا لَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً فَنَتَبَرَّأَ مِنْهُمْ كَمَا تَبَرَّءُوا مِنَّا كَذَلِكَ يُرِيهِمُ اللَّهُ أَعْمَالَهُمْ حَسَرَاتٍ عَلَيْهِمْ وَمَا هُم بِخَارِجِينَ مِنَ النَّارِ﴾ [البقرة: ١٦٦-١٦٧].

* قوله تعالى: ﴿كُلَّمَا دَخَلَتْ أُمَّةٌ لَّعَنَتْ أُخْتَهَا حَتَّىٰ إِذَا ادَّارَكُوا فِيهَا جَمِيعًا قَالَتْ أُخْرَاهُمْ لأُولاهُمْ رَبَّنَا هَؤُلاءِ أَضَلُّونَا فَآتِهِمْ عَذَابًا ضِعْفًا مِّنَ النَّارِ قَالَ لِكُلٍّ ضِعْفٌ وَلَكِن لاَّ تَعْلَمُونَ ﴿٣٨﴾ وَقَالَتْ أُولاهُمْ لأُخْرَاهُمْ فَمَا كَانَ لَكُمْ عَلَيْنَا مِن فَضْلٍ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْسِبُونَ﴾ [الأعراف: ٣٨].

* قوله تعالى: ﴿وَاتَّخَذُوا مِن دُونِ اللَّهِ آلِهَةً لِّيَكُونُوا لَهُمْ عِزًّا ﴿٨١﴾ كَلاَّ سَيَكْفُرُونَ بِعِبَادَتِهِمْ وَيَكُونُونَ عَلَيْهِمْ ضِدًّا﴾ [مريم: ٨١-٨٢].

* قوله تعالى: ﴿وَقَالَ الشَّيْطَانُ لَمَّا قُضِيَ الأَمْرُ إِنَّ اللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ الْحَقِّ وَوَعَدتُّكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ وَمَا كَانَ لِيَ عَلَيْكُم مِّن سُلْطَانٍ إِلاَّ أَن دَعَوْتُكُمْ فَاسْتَجَبْتُمْ لِي فَلا تَلُومُونِي وَلُومُوا أَنفُسَكُم مَّا أَنَا بِمُصْرِخِكُمْ وَمَا أَنتُم بِمُصْرِخِيَّ إِنِّي

كَفَرْتُ بِمَا أَشْرَكْتُمُونِي مِن قَبْلُ إِنَّ الظَّالِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ [إبراهيم: ٢٢].

* قوله تعالىٰ: ﴿ وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ يَقُولُ لِلْمَلائِكَةِ أَهَؤُلاءِ إِيَّاكُمْ كَانُوا يَعْبُدُونَ ﴿٤٠﴾ قَالُوا سُبْحَانَكَ أَنتَ وَلِيُّنَا مِن دُونِهِم بَلْ كَانُوا يَعْبُدُونَ الْجِنَّ أَكْثَرُهُم بِهِم مُّؤْمِنُونَ ﴾ [سبأ: ٤٠-٤١].

والآيات في هذا المعنىٰ كثيرة جداً.

* * *

س: قوله: ﴿ ادْعُوا شُرَكَاءَكُمْ ﴾ لماذا يدعون شركاءهم؟

ج: لإنقاذهم من العذاب لزعمهم من قبل أنهم سينقذونهم ويخلصونهم مما هم فيه، وليعطوهم سؤلهم من النعيم.

* * *

س: وضح المراد بقوله تعالى: ﴿ وَرَأَوُا الْعَذَابَ لَوْ أَنَّهُمْ كَانُوا يَهْتَدُونَ ﴾ وأين جواب قوله: ﴿ لَوْ أَنَّهُمْ كَانُوا يَهْتَدُونَ ﴾؟

ج: هنا مقدر محذوف قدَّره فريق من أهل العلم، وها هي بعض أقوالهم:

١ - ورأوا العذاب، فتمنوا وودوا أنهم لو كانوا مهتدين في الدنيا.

٢ - ورأوا العذاب، ولو أنهم كانوا يهتدون لأنجاهم الهدىٰ.

٣ - ورأوا العذاب، ولو أنهم كانوا يهتدون ما دعوا أصنامهم وشركاءهم. والله أعلم.

* * *

س: قوله تعالى: ﴿ويوم يناديهم فيقول ماذا أجبتم المرسلين﴾ يحمل معنًى هامًا ومبدأ أصيلاً من مبادئ الدعوة إلى اللَّه، وضح ذلك.

ج: هذا المعنىٰ هو أن الداعي إلىٰ اللَّه عليه أن يُذكِّر في دعوته إلىٰ اللَّه بأوامر اللَّه عز وجل وأوامر رسله عليهم الصلاة والسلام، وذلك لأن العبد مسئول يوم القيامة عن كتاب ربه وسنة نبيه ﷺ قال تعالىٰ: ﴿**وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ مَاذَا أَجَبْتُمُ الْمُرْسَلِينَ**﴾ فالمسئولية بين يدي اللَّه ليست عن إجابتنا لفلان أو فلان إنما المسئولية الكبرىٰ عن الكتاب والسنة.

وفي الآية شجبٌ للتقليد الأعمىٰ المجرد عن الأدلة وعن الأصول العامة من الشرع.

* * *

س: لماذا عميت عليهم الأنباء؟

ج: لأن اللَّه سبحانه وتعالىٰ قد أبلغ إليهم في المعذرة، فأرسل إليهم رسلاً وأنزل إليهم كتبًا تبين لهم وتُحذرهم وتُذكرهم ومع ذلك خالفوا الكتب، وكذَّبوا الرسل ولم ينتفعوا بالوعظ والتذكير.

* * *

س: قال تعالى: ﴿فَهُمْ لا يَتَسَاءَلُونَ﴾، وقال تعالى: ﴿فأقبل.. يتساءلون﴾ ما وجه الجمع؟

ج: للجمع بين ذلك وجوه:

أحدهما: أن مواقف القيامة تتعدد وتتنوع، فثم مواقف لا يجيبون فيها بشيء، ومن ذلك إذا قيل لهم: ﴿**مَاذَا أَجَبْتُمُ الْمُرْسَلِينَ**﴾ فلا يجدوا جوابًا

ولا يسأل بعضهم بعضًا عن الجواب .

الثاني: أن الحجج خفيت جميعًا فسكتوا .

الثالث: أن المراد بقوله : ﴿**لا يَتَسَاءَلُونَ**﴾ لا يتماتون بالقربات التي بينهم (من قوله فلان يمت إلىٰ فلان بصلة) أي : لا ينادي الوالد ولده ، ولا ينادي الولد والده ولا يسأل حميم حميمًا .

الرابع: لا يستاءلون بمعنىٰ لا يسأل بعضهم بعضًا أن يحمل من ذنوبه شيئًا .

* * *

س: ما وجه قوله ﴿**عسى**﴾ في قوله تعالى: ﴿**فَأَمَّا مَن تَابَ وَآمَن وَعَمِلَ صَالِحًا فَعَسَىٰ أَن يَكُونَ مِنَ الْمُفْلِحِينَ**﴾؟

ج: قال الطبري رحمه اللَّه تعالىٰ:

عسىٰ من اللَّه واجب[١] .

قلت: فعلىٰ هذا فقوله تعالىٰ : ﴿**فَأَمَّا مَن تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَعَسَىٰ أَن يَكُونَ مِنَ الْمُفْلِحِينَ**﴾ معناه : فأما من تاب وآمن وعمل صالحًا ، فإنه - إن شاء اللَّه - سيكون من المفلحين .

* * *

(١) قلت : قول الطبري رحمه اللَّه تعالىٰ يبدو صحيحًا في هذا المقام وفي مقامات كثيرة ، ولكن ثمَّ مواطن قد تكون فيها وجوه متعددة لكلمة «عسىٰ» كما قال تعالىٰ : ﴿عسىٰ اللَّه أن يجعل بينكم وبين الذين عاديتم منهم مودة والله قدير واللَّه غفور رحيم﴾ .

س: يلزم مع الإيمان والتوبة عملٌ صالح دلِّل على ذلك.

ج: من الأدلة على ذلك ما يلي:

* قوله تعالىٰ: ﴿فَأَمَّا مَن تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَعَسَىٰ أَن يَكُونَ مِنَ الْمُفْلِحِينَ﴾.

* وقوله تعالىٰ: ﴿إِلاَّ مَن تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلاً صَالِحًا فَأُوْلَئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ﴾ [الفرقان: ٧٠].

* وقوله تعالىٰ: ﴿وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِّمَن تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا ثُمَّ اهْتَدَىٰ﴾ [الفرقان: ٧٠].

* * *

س: اذكر آية في معنى هذه الآية الكريمة: ﴿وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ﴾.

ج: في معناها قوله تعالىٰ: ﴿اللَّهُ يَصْطَفِي مِنَ الْمَلائِكَةِ رُسُلاً وَمِنَ النَّاسِ﴾ [الحج: ٧٥].

* * *

س: قوله تعالى: ﴿وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ﴾ لأي شيء هذا الاختيار؟

ج: الاختيار للنبوة والرسالة والهداية والتوفيق.

قال القرطبي رحمه اللَّه:

* قوله تعالىٰ: ﴿وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ﴾ هذا متصل بذكر الشركاء الذين عبدوهم واختاروهم للشفاعة، أي الاختيار إلىٰ اللَّه تعالىٰ في

الشفعاء لا إلىٰ المشركين.

وقيل: هو جواب الوليد بن المغيرة حين قال: ﴿وَقَالُوا لَوْلا نُزِّلَ هَذَا الْقُرْآنُ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنَ الْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ﴾ [الزخرف: ٣١] يعني نفسه زعم، وعروة بن مسعود الثقفي من الطائف.

وقيل: هو جواب اليهود إذ قالوا: لو كان الرسول إلىٰ محمد غير جبريل لآمنا به.

قال ابن عباس: والمعنىٰ: وربك يخلق ما يشاء من خلقه ويختار منه من يشاء لطاعته.

وقال يحيىٰ بن سلام: والمعنىٰ؛ وربك يخلق ما يشاء من خلقه ويختار من يشاء لنبوّته. وحكىٰ النقاش: إن المعنىٰ: وربك يخلق ما يشاء من خلقه، يعني: محمداً ﷺ، ويختار الأنصار لدينه.

* * *

س: ما معنى الخيرة؟

ج: في ذلك أقوال للعلماء:

أحدها: أن المراد بالخيرة هنا الشيء الأَخْيَرُ الأفضل فالمعنىٰ وربك يخلق ما يشاء ويختار الأفضل والأخير لولايته ورسالته واصطفائه.

وذلك لأن المشركين كانوا يقسمون شيئًا للَّه بزعمهم وشيئًا للأصنام والأوثان، فيختارون للأوثان والأصنام أفضل طعامهم وشرابهم ويتركون الأدنىٰ للَّه سبحانه وتعالىٰ كما قال تعالىٰ: ﴿وَجَعَلُوا لِلَّهِ مِمَّا ذَرَأَ مِنَ الْحَرْثِ وَالأَنْعَامِ نَصِيباً فَقَالُوا هَذَا لِلَّهِ بِزَعْمِهِمْ وَهَذَا لِشُرَكَائِنَا فَمَا كَانَ لِشُرَكَائِهِمْ فَلا يَصِلُ

﴿إِلَى اللَّهِ وَمَا كَانَ لِلَّهِ فَهُوَ يَصِلُ إِلَىٰ شُرَكَائِهِمْ سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ﴾ [الأنعام: ١٣٦].

فقوله تعالى: ﴿مَا كَانَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ﴾ ما كان لهم الشيء الأفضل والأَخْيَر، وهذا اختيار الطبري.

قال الطبري رحمه اللَّه:

يقول تعالى ذكره: ﴿وَرَبُّكَ﴾ يا محمد ﴿يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ﴾ أن يخلقه، ﴿وَيَخْتَارُ﴾ لولايته الخِيَرة من خلقه، ومن سبقت له منه السعادة. وإنما قال جل ثناؤه ﴿وَيَخْتَارُ مَا كَانَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ﴾ والمعنى: ما وصفت؛ لأن المشركين كانوا فيما ذكر عنهم يختارون أموالهم، فيجعلونها لآلهتهم، فقال اللَّه لنبيه محمد ﷺ: وربك يا محمد يخلق ما يشاء أن يخلقه، ويختار للهداية والعمل الصالح من خلقه، ما هو في سابق علمه أنه خِيرتهم، نظير ما كان من هؤلاء المشركين لآلهتهم خيار أموالهم، فكذلك اختياري لنفسي واجتبائي لولايتي، واصطفائي لخدمتي وطاعتي، خيار مملكتي وخلقي.

وقال أيضاً: أن معنى الخيرة في هذا الموضع: إنما هو الخيرة، وهو الشيء الذي يختار من البهائم والأنعام والرجال والنساء، يقال منه: أُعطي الخيرة والخِيَرة، مثل الطِّيرة والطِّيَرة، وليس بالاختيار، وإذا كانت الخيرة ما وصفنا، فمعلوم أن من أجود الكلام أن يقال: وربك يخلق ما يشاء، ويختار ما يشاء، لم يكن لهم خير بهيمة أو خير طعام، أو خير رجل أو امرأة.

وأورد رحمه اللَّه أثراً بإسناد ضعيف عن ابن عباس ﵄ قال:

كانوا يجعلون خير أموالهم لآلهتهم في الجاهلية.

أمـا القول الثـاني: فإن المراد بالخيرة الاختيار، فالمعنىٰ ما كـان لهم أن يختاروا، فالمعنىٰ: وربك يخلق ما يشاء ويختار ما كان لهم (أي: للخلق أن يختاروا) بل هو الذي يختار ويصطفي لرسالته من يشاء، كما قال تعالىٰ: ﴿اللَّهُ يَصْطَفِي مِنَ الْمَلائِكَةِ رُسُلاً وَمِنَ النَّاسِ﴾ [الحج: ٧٥].

* * *

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿سُبْحَانَ اللَّهِ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾.

ج: المعنىٰ - واللَّه أعلم -: سبحان اللَّه تعالىٰ عن شركهم.

قال الطبري رحمه اللَّه:

وقوله سبحانه وتعالىٰ: ﴿عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ يقول تعالىٰ ذكره تنزيهًا للَّه وتبرئة له، وعُلُوًّا عما أضاف إليه المشركون من الشرك، وما تخرّصوه من الكذب والباطل عليه. وتأويل الكلام: سبحان اللَّه وتعالىٰ عن شركهم. وقد كان بعض أهل العربية يوجهه إلىٰ أنه بمعنىٰ: وتعالىٰ عن الذين يشركون به.

* * *

س: وضح بصورة مجملة معنى الآيات: ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِن جَعَلَ اللَّهُ عَلَيْكُمُ اللَّيْلَ سَرْمَدًا إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَنْ إِلَهٌ غَيْرُ اللَّهِ يَأْتِيكُم بِضِيَاءٍ أَفَلا تَسْمَعُونَ...﴾ الآيات.

ج: قال الحافظ ابن كثير رحمه اللَّه:

يقول تعالىٰ ممتنًا علىٰ عباده بما سخر لهم من الليل والنهار، اللذين لا قَوَام لهم بدونهما، وبين أنه لو جعل الليل دائمًا عليهم سرمدًا إلىٰ يوم القيامة، لأضرّ ذلك بهم، ولسئمته النفوس وانحصرت منه؛ ولهذا قال

تعالىٰ: ﴿مَنْ إِلَٰهٌ غَيْرُ اللَّهِ يَأْتِيكُم بِضِيَاءٍ﴾، أي: تبصرون به وتستأنسون بسببه، ﴿أَفَلَا تَسْمَعُونَ﴾؟!

ثم أخبر أنه لو جعل النهار سرمدًا دائمًا مستمرًا إلىٰ يوم القيامة لأضر ذلك بهم، ولتعبت الأبدان وكلّت من كثرة الحركات والأشغال؛ ولهذا قال: ﴿مَنْ إِلَٰهٌ غَيْرُ اللَّهِ يَأْتِيكُم بِلَيْلٍ تَسْكُنُونَ فِيهِ﴾ أي: تستريحون من حركاتكم وأشغالكم.

وقال السعدي رحمه اللَّه:

هذا امتنان من اللَّه علىٰ عباده، يدعوهم به إلىٰ شكره، والقيام بعبوديته وحقه، أن جعل لهم من رحمته، النهار ليبتغوا من فضل اللَّه، وينتشروا لطلب أرزاقهم ومعايشهم، في ضيائه، والليل ليهدأوا فيه ويسكنوا، وتستريح أبدانهم وأنفسهم، من تعب التصرف في النهار، فهذا من فضله ورحمته بعباده. فهل أحد يقدر علىٰ شيء من ذلك؟

و﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِن جَعَلَ اللَّهُ عَلَيْكُمُ اللَّيْلَ سَرْمَدًا إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَنْ إِلَٰهٌ غَيْرُ اللَّهِ يَأْتِيكُم بِضِيَاءٍ أَفَلَا تَسْمَعُونَ﴾ مواعظ اللَّه وآياته سماع فهم وقبول وانقياد.

﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِن جَعَلَ اللَّهُ عَلَيْكُمُ النَّهَارَ سَرْمَدًا إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَنْ إِلَٰهٌ غَيْرُ اللَّهِ يَأْتِيكُم بِلَيْلٍ تَسْكُنُونَ فِيهِ أَفَلَا تُبْصِرُونَ﴾ مواقع العبر، ومواضع الآيات فتستنير في بصائركم، وتسلكوا الطريق المستقيم.

وقال في الليل: ﴿أَفَلَا تَسْمَعُونَ﴾، وفي النهار ﴿أَفَلَا تُبْصِرُونَ﴾ لأن سلطان السمع في الليل أبلغ من سلطان البصر، وعكسه النهار.

وفي هذه الآيات تنبيه إلىٰ أن العبد ينبغي له أن يتدبر نعم اللَّه عليه، ويستبصر فيها؛ ويقيسها بحال عدمها. فإنه إذا وازن بين حال وجودها، وبين حال عدمها؛ تنبه عقله لموضع المنة. بخلاف من جرىٰ مع العوائد، ورأىٰ أن هذا أمر، لم يزل مستمراً، ولا يزال. وعمىٰ قلبه عن الثناء علىٰ اللَّه بنعمه، ورؤية افتقاره إليها في كل وقت. فإن هذا لا يحدث له فكرة شكر ولا ذكر.

* * *

س: وضح المراد بقوله تعالىٰ: ﴿لَهُ الْحَمْدُ فِي الأُولَىٰ وَالآخِرَةِ﴾.

ج: المراد أن أهل الإيمان يحمدونه في الدنيا وفي الآخرة، أما في الدنيا فحمدهم له معلوم.

أما في الآخرة فكذلك:

* قال تعالىٰ: ﴿**وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَذْهَبَ عَنَّا الْحَزَنَ إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ شَكُورٌ**﴾ [فاطر: ٣٤].

* وقال تعالىٰ: ﴿**وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلا أَنْ هَدَانَا اللَّهُ**﴾ [الأعراف: ٤٣].

* وقال تعالىٰ: ﴿**وَتَرَى الْمَلائِكَةَ حَافِّينَ مِنْ حَوْلِ الْعَرْشِ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَقُضِيَ بَيْنَهُم بِالْحَقِّ وَقِيلَ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ**﴾ [الزمر: ٧٥].

وأيضًا فمن المعنىٰ: هو المحمود في الدنيا والآخرة علىٰ كل حال.

س: في قوله تعالىٰ: ﴿وَرَبُّكَ يَعْلَمُ مَا تُكِنُّ صُدُورُهُمْ وَمَا يُعْلِنُونَ﴾ تسلية لرسول اللَّه ﷺ وضح ذلك.

ج: إيضاحه: أن اللَّه عز وجل إذا أخبر رسوله ﷺ بأنه يعلم ما تكن صدور هؤلاء القوم وما يعلنون، وأنه يعلم ما تضمره قلوبهم من العداوة لرسول اللَّه ﷺ والحقد عليه وحسده، والتآمر ضده، إذ أخبر اللَّه نبيه أنه يعلم ذلك، فمن ثمَّ فربنا سبحانه لن يسلمه لأعداءه ومن ثم يزداد اعتصامه بربِّه ولواذه به وطمأنينته إلىٰ وعده بالنصر والحفظ.



قُلۡ أَرَءَيۡتُمۡ إِن جَعَلَ ٱللَّهُ عَلَيۡكُمُ ٱلَّيۡلَ سَرۡمَدًا إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ
مَنۡ إِلَٰهٌ غَيۡرُ ٱللَّهِ يَأۡتِيكُم بِضِيَآءٍۚ أَفَلَا تَسۡمَعُونَ ٧١
قُلۡ أَرَءَيۡتُمۡ إِن جَعَلَ ٱللَّهُ عَلَيۡكُمُ ٱلنَّهَارَ سَرۡمَدًا إِلَىٰ
يَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ مَنۡ إِلَٰهٌ غَيۡرُ ٱللَّهِ يَأۡتِيكُم بِلَيۡلٍ تَسۡكُنُونَ
فِيهِۚ أَفَلَا تُبۡصِرُونَ ٧٢ وَمِن رَّحۡمَتِهِۦ جَعَلَ لَكُمُ ٱلَّيۡلَ
وَٱلنَّهَارَ لِتَسۡكُنُواْ فِيهِ وَلِتَبۡتَغُواْ مِن فَضۡلِهِۦ وَلَعَلَّكُمۡ تَشۡكُرُونَ
٧٣ وَيَوۡمَ يُنَادِيهِمۡ فَيَقُولُ أَيۡنَ شُرَكَآءِيَ ٱلَّذِينَ كُنتُمۡ
تَزۡعُمُونَ ٧٤ وَنَزَعۡنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا فَقُلۡنَا
هَاتُواْ بُرۡهَٰنَكُمۡ فَعَلِمُوٓاْ أَنَّ ٱلۡحَقَّ لِلَّهِ وَضَلَّ عَنۡهُم مَّا كَانُواْ
يَفۡتَرُونَ ٧٥

س: اذكر معنى ما يلي:

(نزعنا - برهانكم - ضل عنهم - يفترون).

ج:

الكلمة	معناها
سرمدًا	دائمًا - متصلاً - لا ينقطع .
ضياءً	نور - نهار .
نزعنا	أحضرنا - استخرجنا .
برهانكم	حجتكم - بيِّنتكم (على أن للّه شريك) .
ضل عنهم	اضمحلَّ عنهم وذهب .
يفترون	يكذبون - يخرصون - يختلقون الكذب .

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿ وَمِن رَّحْمَتِهِ جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا مِن فَضْلِهِ ﴾.

ج: المعنىٰ والله أعلم ومن رحمة الله بكم أن جعل لكم الليل لتسكنوا فيه، وجعل لكم النهار لتبتغوا من فضله، كما قال تعالىٰ: ﴿ **وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ لِبَاسًا ۝١٠ وَجَعَلْنَا النَّهَارَ مَعَاشًا** ﴾ فالابتغاء من الفضل يكون نهاراً، والسكون يكون ليلاً هذا في غالب الأحوال، والله تعالىٰ أعلم.

* * *

س: وضح معني قوله تعالى: ﴿ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾.

ج: المعني ـ والله أعلم ـ ولعلَّكم تشكرون الله بأنواع المحامد والثناءات، والصلوات والعبادات في الليل والنهار، فمن فاته شيء من أذكاره ونوافله في النهار فليصلها في الليل، ومن فاته شيءٌ منها في الليل استدركه في النهار، كما قال تعالىٰ: ﴿ **وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ خِلْفَةً لِّمَنْ أَرَادَ أَن يَذَّكَّرَ أَوْ أَرَادَ شُكُورًا ۝٦٢** ﴾ [الفرقان: ٦٢].

* * *

س: وضح باختصار معنى قوله تعالى: ﴿ وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَائِيَ الَّذِينَ كُنتُمْ تَزْعُمُونَ ﴾ ووضح وجه الارتباط بينها وبين الآية التي تلثها وهي قوله تعالى: ﴿ وَنَزَعْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا فَقُلْنَا هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ فَعَلِمُوا أَنَّ الْحَقَّ لِلَّهِ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُوا يَفْتَرُونَ ﴾.

ج: قال السعدي رحمه الله:

أي: ويوم ينادي الله المشركين به، العادلين به غيره، الذين يزعمون أن له

شركاء، يستحقون أن يعبدوا، وينفعون ويضرون. فإذا كان يوم القيامة وأراد الله أن يظهر جراءتهم وكذبهم في زعمهم وتكذيبهم لأنفسهم ﴿ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَائِيَ الَّذِينَ كُنتُمْ تَزْعُمُونَ ﴾ أي: بزعمهم، لا بنفس الأمر كما قال: ﴿ وَمَا يَتَّبِعُ الَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ شُرَكَاءَ إِن يَتَّبِعُونَ إِلاَّ الظَّنَّ ﴾ [يونس: ٦٦].

فإذا حضروا، هم وإياهم، نزع الله ﴿ مِن كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا ﴾ من الأمم المكذبة شهيداً يشهد على ما جرى في الدنيا، من شركهم واعتقادهم، وهؤلاء بمنزلة المنتخبين.

أي: انتخبنا من رؤساء المكذبين من يتصدى للخصومة عنهم، والمجادلة عن إخوانهم، وهم على طريق واحد.

فإذا برزوا للمحاكمة ﴿ فَقُلْنَا هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ ﴾ أي: حجتكم ودليلكم على صحة شرككم، هل أمرناكم بذلك؟ هل أمرتكم رسلي؟ هل وجدتم ذلك في شيء من كتبي ؟ هل فيه أحد يستحق شيئًا من الإلهية؟ هل ينفعونكم، أو يدفعون عنكم من عذاب الله، أو يغنون عنكم؟ فليفعلوا إذا كان فيهم أهلية، وليروكم إن كان لهم قدرة.

﴿ فَعَلِمُوا ﴾ حينئذٍ بطلان قولهم وفساده، و﴿ أَنَّ الْحَقَّ لِلَّهِ ﴾ تعالى: قد توجهت عليهم الخصومة، وانقطعت حجتهم، وأفلجت حجة الله.

﴿ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُوا يَفْتَرُونَ ﴾ من الكذب والإفك، واضمحل وتلاشى وعدم، وعلموا أن الله قد عدل فيهم، حيث لم يضع العقوبة إلا بمن استحقها واستأهلها.

* * *

س: لماذا كُرر قوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَائِيَ الَّذِينَ كُنتُمْ تَزْعُمُونَ﴾؟

ج: كُرِّر لزيادة التوبيخ والتأنيب والتقريع وزيادة الخزي وكُرِّر أيضًا لبيان خطورة الشرك.

* * *

س: قوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَائِيَ الَّذِينَ كُنتُمْ تَزْعُمُونَ﴾ فيه أن الله ينادي المشركين فكيف يُجمع بين هذا وبين قوله تعالى: ﴿لا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾؟

ج: لأهل العلم في ذلك وجوه:

أحدها: أن الله لا يكلمهم كلامًا يُريحهم ويُطمئنهم إنما إذا كُلِّموا فللتوبيخ والتأنيب والتقريع.

والثاني: أن الله لا يناديهم ولكن يأمر من يناديهم فيقول لهم: أين الشركاء الذين كنتم تزعمون؟

والثالث: أن مواقف القيامة تتعدد وتتنوع.

* * *

س: ما المراد بـ «الشهيد» في قوله تعالى: ﴿وَنَزَعْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا فَقُلْنَا هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ﴾؟

ج: في ذلك قولان:

أولهما: أن المراد بـ «الشهيد» من كل أمة هو نبيها لقوله تعالى: ﴿**فَكَيْفَ**

إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَىٰ هَؤُلَاءِ شَهِيدًا ﴾ [النساء: ٤١] .

الثاني: أن المراد بـ «الشهيد» هو كبيرها العاتي المتمرد بدليل قوله تعالى: ﴿ فَوَرَبِّكَ لَنَحْشُرَنَّهُمْ وَالشَّيَاطِينَ ثُمَّ لَنُحْضِرَنَّهُمْ حَوْلَ جَهَنَّمَ جِثِيًّا ﴿٦٨﴾ ثُمَّ لَنَنزِعَنَّ مِن كُلِّ شِيعَةٍ أَيُّهُمْ أَشَدُّ عَلَى الرَّحْمَٰنِ عِتِيًّا ﴾ [مريم: ٦٨] .

* * *

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُوا يَفْتَرُونَ ﴾.

ج: إيضاحه ـ والله أعلم ـ: أن المشركين لما قيل لهم هاتوا برهانكم على أن لله شريكًا، ما أتوا بحجةٍ ولا برهانٍ، فعند ذلك اعترفوا بجرائمهم وشركهم، وغاب عنهم واضمحل ما كانوا يختلقونه في الدنيا من الشركاء الذين جعلوهم لله عزَّ وجلَّ.

* * *

إِنَّ قَٰرُونَ كَانَ مِن قَوۡمِ مُوسَىٰ فَبَغَىٰ
عَلَيۡهِمۡۖ وَءَاتَيۡنَٰهُ مِنَ ٱلۡكُنُوزِ مَآ إِنَّ مَفَاتِحَهُۥ لَتَنُوٓأُ بِٱلۡعُصۡبَةِ
أُوْلِي ٱلۡقُوَّةِ إِذۡ قَالَ لَهُۥ قَوۡمُهُۥ لَا تَفۡرَحۡۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلۡفَرِحِينَ
﴿٧٦﴾ وَٱبۡتَغِ فِيمَآ ءَاتَىٰكَ ٱللَّهُ ٱلدَّارَ ٱلۡأٓخِرَةَۖ وَلَا تَنسَ
نَصِيبَكَ مِنَ ٱلدُّنۡيَاۖ وَأَحۡسِن كَمَآ أَحۡسَنَ ٱللَّهُ إِلَيۡكَۖ
وَلَا تَبۡغِ ٱلۡفَسَادَ فِي ٱلۡأَرۡضِۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُفۡسِدِينَ ﴿٧٧﴾
قَالَ إِنَّمَآ أُوتِيتُهُۥ عَلَىٰ عِلۡمٍ عِندِيٓۚ أَوَلَمۡ يَعۡلَمۡ أَنَّ ٱللَّهَ قَدۡ أَهۡلَكَ
مِن قَبۡلِهِۦ مِنَ ٱلۡقُرُونِ مَنۡ هُوَ أَشَدُّ مِنۡهُ قُوَّةٗ وَأَكۡثَرُ جَمۡعٗاۚ
وَلَا يُسۡـَٔلُ عَن ذُنُوبِهِمُ ٱلۡمُجۡرِمُونَ ﴿٧٨﴾ فَخَرَجَ عَلَىٰ قَوۡمِهِۦ
فِي زِينَتِهِۦۖ قَالَ ٱلَّذِينَ يُرِيدُونَ ٱلۡحَيَوٰةَ ٱلدُّنۡيَا يَٰلَيۡتَ لَنَا
مِثۡلَ مَآ أُوتِيَ قَٰرُونُ إِنَّهُۥ لَذُو حَظٍّ عَظِيمٖ ﴿٧٩﴾ وَقَالَ
ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡعِلۡمَ وَيۡلَكُمۡ ثَوَابُ ٱللَّهِ خَيۡرٞ لِّمَنۡ ءَامَنَ
وَعَمِلَ صَٰلِحٗاۚ وَلَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلصَّٰبِرُونَ ﴿٨٠﴾ فَخَسَفۡنَا
بِهِۦ وَبِدَارِهِ ٱلۡأَرۡضَ فَمَا كَانَ لَهُۥ مِن فِئَةٖ يَنصُرُونَهُۥ مِن دُونِ
ٱللَّهِ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلۡمُنتَصِرِينَ ﴿٨١﴾ وَأَصۡبَحَ ٱلَّذِينَ تَمَنَّوۡاْ
مَكَانَهُۥ بِٱلۡأَمۡسِ يَقُولُونَ وَيۡكَأَنَّ ٱللَّهَ يَبۡسُطُ ٱلرِّزۡقَ لِمَن
يَشَآءُ مِنۡ عِبَادِهِۦ وَيَقۡدِرُۖ لَوۡلَآ أَن مَّنَّ ٱللَّهُ عَلَيۡنَا لَخَسَفَ بِنَاۖ
وَيۡكَأَنَّهُۥ لَا يُفۡلِحُ ٱلۡكَٰفِرُونَ ﴿٨٢﴾

س: اذكر معنى ما يلي:

(بغي ـ مفاتحه ـ لتنوء بالعصبة ـ أولي القوة ـ لا تفرح ـ الفرحين ـ ابتغ ـ لا تبغ الفساد في الأرض ـ على علم عندي ـ أكثر جمعًا ـ لذو حظ عظيم ـ فئة ـ المنتصرين ـ وي كأنّ ـ يبسط ـ يقدر).

ج:

الكلمة	معناها
بغى	تجاوز الحد في الكبر والتكبر والطغيان.
مفاتحه	مفاتيح خزائنه.
لتنوء بالعصبة	لتثقل على الجماعة ـ لتميل العصبة ـ لتميل بالجماعة من الناس ـ ليثقل حملُها الفئام من الناس.
أولى القوة	أولي الشدة ـ الأشداء الأصحاء.
لا تفرح	لا تبطر.
الفرحين	البطرين الأثرين ـ المرحين ـ الذين لا يشكرون اللّه على ما أعطاهم.
ابتغ	التمس ـ اطلب.
لا تبغ الفساد في الأرض	لا تسعَ في الأرض بالفساد.
على علم	

عندي	على علم علمنيه اللّه ـ على معرفة مني بوجوه المجيء بالمال .
أكثر جمعًا	أكثر جندًا ـ أكثر جمعًا للمال .
لذو حظ عظيم	لصاحب نصيبٍ وافرٍ من الدُّنيا .
فئة	جماعة ـ عصابة يتعصبون له .
المنتصرين	الممتنعين مما حلّ بهم ونزل .
وي كأن	ألم يعلم أنَّ ـ ألم تر أنَّه ـ أَعجب عالمًا أن . كلمة (وي) للتندم ، (وكأن) للتعجب .
يبسط	يوسع .
يقدر	يضيق .

س: ما وجه الربط بين قوله تعالى: ﴿إِنَّ قَارُونَ كَانَ مِن قَوْمِ مُوسَى﴾ وما تقدمها من الآيات؟ وما وجه الاتعاظ بذلك؟

ج: قال القرطبي رحمه الله:

لما قال تعالى: ﴿وَمَا أُوتِيتُم مِّن شَيْءٍ فَمَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَزِينَتُهَا﴾ [القصص: ٦٠] بيَّن أن قارون أوتيها واغترَّ بها ولم تعصمه من عذاب الله كما لم تعصم فرعون ولستم أيها المشركون بأكثر عدداً ومالاً من قارون وفرعون، و لم ينفع فرعون جنودُه وأموالُه، ولم ينفع قارون قرابته من موسى ولا كنوزه.

* * *

س: ما فائدة التذكير بأن قارون كان من قوم موسى في قوله تعالى: ﴿إِنَّ قَارُونَ كَانَ مِن قَوْمِ مُوسَى﴾؟

ج: فائدة ذلك: أن قرابته بموسى لم تنفعه، وذلك لكونه كان باغيًا كافراً، كما قال تعالى: ﴿فَلا أَنسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلا يَتَسَاءَلُونَ﴾ [المؤمنون: ١٠١].

* وكما قال تعالى: ﴿يَوْمَ يَفِرُّ الْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ ﴿٣٤﴾ وَأُمِّهِ وَأَبِيهِ ﴿٣٥﴾ وَصَاحِبَتِهِ وَبَنِيهِ﴾ [عبس: ٣٤].

* وكما قال النبي ﷺ: «ومن بطأ بِهِ عَمَلُهُ لم يُسْرِعْ بِهِ نسبُهُ»(١).

وفائدة أخرى: أن موسى لم يملك له الهداية مع أنه قريبه، وكما قال تعالى لنبيه محمد ﷺ: ﴿إِنَّكَ لا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَن يَشَاءُ﴾ [القصص: ٥٦].

---

(١) مسلم (حديث ٢٦٩٩) من حديث أبي هريرة رضي اللَّه عنه مرفوعًا.

وقد نزلت في أبي طالبٍ كما تقدم.

ولم يملك نوحٌ الهداية لولده.

ولم يملكها إبراهيمُ عليه السلام لأبيه.

وفائدة ثالثة: وهي مواساة رسول الله ﷺ، فإن كان أبو لهب بغىٰ عليك يا محمد وآذاك وعاداك، وهو عمُّك، فها هو موسىٰ عليه السلام أُوذي أيضًا من رجل من قومه وهو قارون فبغىٰ عليه قارونُ وظلمه. والله أعلم.

* * *

س: ما درجة قرابة قارون بموسى؟

ج: أكثر أهل العلم علىٰ أنه ابن عمه.

* * *

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الآخِرَةَ﴾.

ج: المعنىٰ - والله أعلم: طلب والتمس بالذي أعطاكه الله عزَّ وجل ثواب الله في الدار الآخرة، فتصدق وأنْفِقْ في طاعة الله عز وجل، وأحْسِنْ إلىٰ الأرامل والأيتام والمساكين وجهّز غزاة في سبيل الله، وأعتق الرقاب، وفكَّ الأسارىٰ وسدَّ عن الغارمين، واجتهدْ ساعيًا في أعمال البر والإحسان.

* **قال الحافظ ابن كثير رحمه الله:**

﴿**وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الآخِرَةَ**﴾ أي: استعمل ما وهبك الله من هذا المال الجزيل والنعمة الطائلة في طاعة ربك والتقرب إليه بأنواع القربات التي يحصل لك بها الثواب في الدار الآخرة.

* * *

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا ﴾.

ج: في ذلك لأهل العلم أقوال:

أحدها: لا تترك أن تعمل لله في الدنيا، ولا تغفل عن العمل بطاعته سبحانه وتعالى.

وأورد الطبري جملة آثارٍ تحمل هذا المعنى:

منها: من طرق عن مجاهد قال: تعمل في دنياك لآخرتك.

ومنها: عن عون بن عبد الله قال: ﴿ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا ﴾: إن قومًا يضعونها على غير موضعها، ﴿ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا ﴾ تعمل فيها بطاعة الله.

وأثر في سنده ضعف؛ عن ابن عباس رضي الله عنهما: لا تترك أن تعمل لله في الدنيا

وأثر بإسناد صحيح عن ابن زيد قال: لا تنس أن تقدم من دنياك لآخرتك، فإنما تجد في آخرتك ما قدَّمت في الدنيا فيما رزقك الله.

الثاني: أن معنى الآية الكريمة الحث على الاستمتاع بالطيبات كما قال تعالى: ﴿ قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ ﴾ [الأعراف: ٣٢] وكما قال تعالى: ﴿ وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ ﴾ [الضحى: ١١].

وكما قال النبي ﷺ: «إن الله يُحِبُّ أن تُرى نِعْمَتُهُ على عَبْدِهِ»(١).

---

(١) صحيح لشواهده، أخرجه أحمد (٢/ ١٨٢) وله شاهد عند النسائي (٨/ ١٨١).

قال الحافظ ابن كثير رحمه الله:

﴿ وَلا تنس نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا ﴾؛ أي مما أباح الله فيها من المآكل والمشارب والملابس والمساكن والمناكح فإن لربك عليك حقًا ولنفسك عليك حقًا ولأهلك عليك حقًا ولزورك عليك حقًا . فآت كل ذي حقٍّ حقه .

قال القرطبي رحمه الله:

قوله تعالى: ﴿ وَلا تنس نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا ﴾ اختُلف فيه:

فقال ابن عباس والجمهورُ: لا تضيع عمرك في ألا تعمل عملاً صالحًا في دنياك؛ إذ الآخرة إنما يعمل لها، فنصيب الإنسان عمره وعمله الصالح فيها . فالكلام على هذا التأويل شدّة في الموعظة .

وقال الحسن وقتادة: معناه لا تضيع حظك من دنياك في تمتعك بالحلال وطلبك إيَّاه، ونظرك لعاقبة دنياك . فالكلام على هذا التأويل فيه بعض الرفق به وإصلاح الأمر الذي يشتهيه . وهذا مما يجب استعماله مع الموعوظ خشية النبوة من الشدّة؛ قاله ابن عطية .

قلت[١]: وهذان التأويلان قد جمعهما ابن عمر في قوله: احرث لدنياك كأنك تعيش أبدًا، واعمل لآخرتك كأنك تموت غدًا .

وعن الحسن: قدّم الفضل، وأمسك ما يبلغ .

وقال مالك: هو الأكل والشرب بلا سرف .

وقيل: أراد بنصيبه الكفن . فهذا وعظ متصل؛ كأنهم قالوا: لا تنس أنك تترك جميع مالك إلا نصيبك هذا الذي هو الكفن .

(١) أي: القرطبي .

ونحو هذا قول الشاعر :

نَصيبُك مما تجمعُ الدهرَ كلَّه ... رداءان تُلْوَى فيهما وحَنُوط

وقال آخر :

وهي القناعة لا تبغي بها بدلاً ... فيها النعيم وفيها راحة البدن

انظر لمن ملك الدنيا بأجمعها ... هل راح منها بغير القُطْنِ والكَفَن

قال ابن العربي: وأبدع ما فيه عندي قول قتادة : ولا تنس نصيبك الحلال ، فهو نصيبك من الدنيا ويا ما أحسن هذا .

﴿ وَأَحْسِن كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ ﴾ [القصص:٧٧] أي : أطع اللهَ واعبدْهُ كما أنعم عليك ، ومنه الحديث : ما الإحسان؟ قال : «أن تعبد اللهَ كأنَّكَ تَرَاهُ»

وقيل : هو أمر بصلة المساكين .

قال ابن العربي: فيه أقوال كثيرة جماعها استعمال نِعَمِ الله في طاعة الله .

وقال مالك: الأكل والشرب من غير سرف .

قال ابن العربي: أرى مالكًا أراد الرد على الغالين في العبادة والتقشف ، فإن النبي ﷺ كان يحب الحلواء ، ويشرب العسل ، ويستعمل الشواء ، ويشرب الماء البارد . وقد مضى هذا المعنى في غير موضع .

﴿ وَلا تَبْغِ الْفَسَادَ فِي الأَرْضِ ﴾ أي : لا تعمل بالمعاصي ﴿ إِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ ﴾ . اهـ .

* * *

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَىٰ عِلْمٍ عِندِي﴾.

ج: في ذلك أقوال:

أحدها: إنما أوتيته لفضل علمٍ علمه اللهُ منِّي فرضي عني بذلك.

قال الحافظ ابن كثير رحمه الله:

﴿قَالَ إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَىٰ عِلْمٍ عِندِي﴾ أي: أنا لا أفتقر إلىٰ ما تقولون، فإن الله تعالىٰ إنما أعطاني هذا المال لعلمه بأني أستحقه لمحبته لي، فتقديره إنما أُعطيته بذلك لعلم الله فيَّ أني أهلٌ له كقوله تعالىٰ: ﴿فَإِذَا مَسَّ الإِنسَانَ ضُرٌّ دَعَانَا ثُمَّ إِذَا خَوَّلْنَاهُ نِعْمَةً مِّنَّا قَالَ إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَىٰ عِلْمٍ﴾ [الزمر: ٤٩] أي: علىٰ علم من الله بي، وكقوله: ﴿وَلَئِنْ أَذَقْنَاهُ نَعْمَاءَ بَعْدَ ضَرَّاءَ مَسَّتْهُ لَيَقُولَنَّ ذَهَبَ السَّيِّئَاتُ عَنِّي إِنَّهُ لَفَرِحٌ فَخُورٌ﴾ [هود: ١٠] أيْ: ذا ما أستحقُّه.

وأورد الطبري بإسناد صحيح: عن ابن زيد قال: ﴿إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَىٰ عِلْمٍ﴾ قال: لولا رضا الله عني ومعرفته بفضلي ما أعطاني هذا.

الثاني: إنما أوتيته لخبرتي ومهارتي باكتساب الأموال وخبرتي بالصناعات ومعرفتي بالتجارات التي تُدرُّ دخلاً ومالاً.

وقول ثالث: وهو أن قارون كان يعلم اسم الله الأعظم فتموَّل بسببه.

* * *

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿أَوَ لَمْ يَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ قَدْ أَهْلَكَ مِن قَبْلِهِ مِنَ الْقُرُونِ مَنْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُ قُوَّةً وَأَكْثَرُ جَمْعًا﴾.

ج: قال الطبري رحمه الله:

قوله: ﴿أَوَ لَمْ يَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ قَدْ أَهْلَكَ مِن قَبْلِهِ مِنَ الْقُرُونِ مَنْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُ

قُوَّةً وَأَكْثَرُ جَمْعًا﴾ يقول جل ثناؤه: أو لم يعلم قارون حين زعم أنه أوتي الكنوز لفضل علم عنده علمته أنا منه، فاستحق بذلك أن يُؤتىٰ ما أوتي من الكنوز، أن الله قد أهلك من قبله من الأمم من هو أشدُّ منه بطشًا، وأكثر جمعًا للأموال، ولو كان الله يؤتي الأموال من يؤتيه لفضل فيه وخير عنده، ولرضاه عنه، لم يكن يهلك من أهلك من أرباب الأموال الذين كانوا أكثر منه مالاً، لأن من كان الله عنه راضيًا، فمحال أن يهلكه الله، وهو عنه راضٍ، وإنما يهلك من كان عليه ساخطًا.

* * *

س: وضح معنى: ﴿وَلا يُسْأَلُ عَن ذُنُوبِهِمُ الْمُجْرِمُونَ﴾؟

ج: في ذلك أقوال لأهل العلم:

أحدها: يدخلون النار بغير حساب.

الثاني: لا تسأل عنهم الملائكة لأنهم يعرفون بسيماهم؛ كما قال تعالىٰ: ﴿يُعْرَفُ الْمُجْرِمُونَ بِسِيمَاهُمْ فَيُؤْخَذُ بِالنَّوَاصِي وَالأَقْدَامِ﴾ [الرحمن: ٤١].

ومن سيماهم أنهم زُرق العيون سود الوجوه، قال تعالىٰ: ﴿وَنَحْشُرُ الْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ زُرْقًا﴾ [طه: ١٠٢]، وقال تعالىٰ: ﴿يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ﴾[آل عمران: ١٠٦].

الثالث: لا يسألون سؤال استعتاب، إنما يُسألون سؤال توبيخ وتأنيب وتقريع.

الرابع: لا يُسأل المجرمون عن ذنوب هؤلاء الذين مضوا.

الخامس: لا يُسألون مجرمو هذه الأمَّة عن ذنوب الأمم الخالية الذين

عذبوا في الدنيا.

* * *

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿فَخَرَجَ عَلَىٰ قَوْمِهِ فِي زِينَتِهِ قَالَ الَّذِينَ يُرِيدُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا يَا لَيْتَ لَنَا مِثْلَ مَا أُوتِيَ قَارُونُ إِنَّهُ لَذُو حَظٍّ عَظِيمٍ﴾.

ج: قال الحافظ ابن كثير رحمه الله:

يقول تعالى مخبراً عن قارون: إنه خرج ذات يوم على قومه في زينة عظيمة وتجمل باهر، من مراكب وملابس عليه وعلى خدمه وحشمه، فلما رآه من يريد الحياة الدنيا ويميل إلى زخرفها وزينتها، تمنوا أن لو كان لهم مثل الذي أعطي ﴿**قالوا يا ليت لنا مثل ما أوتي قارون إنه لذو حظ عظيم**﴾ أي: ذو حظٍ وافر من الدنيا.

* * *

س: اذكر بعض الوارد في ذم الكبر والخيلاء؟

ج: من ذلك ما يلي:

* قوله تعالى: ﴿**إِنَّهُ لا يُحِبُّ الْمُسْتَكْبِرِينَ**﴾ [النحل: ٢٣].

* وقوله تعالى: ﴿**إِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ**﴾ [لقمان: ١٨].

* وقوله ﷺ: «**لا يدْخلِ الجنَّةَ من كان في قَلْبِه مثقالُ ذَرّةٍ من كِبْرٍ**»(١).

* وقوله ﷺ: «**ثَلاثةٌ لا يُكَلِّمُهُمُ اللهُ يومَ القيَامَة ولا يزكّيهم ولا يَنْظُرُ إليهم ولهم عذَابٌ أليمٌ: شيخٌ زانٍ وملكٌ كذَّابٌ، وعَائِلٌ مُسْتَكْبِرٌ**»(٢).

---

(١) مسلم (حديث ٩١) من حديث ابن مسعود رضي اللَّه عنه مرفوعًا.

(٢) مسلم (حديث ١٠٧) من حديث أبي هريرة رضي اللَّه عنه مرفوعًا.

* وقوله ﷺ فيما أخرجه البخاري(١) حديث أبي هريرة رضي الله عنه: «**اختصمت الجنَّةُ والنَّارُ إلى ربِّهَا؛ فقالت الجنَّةُ: يا ربّ ما لَهـا لا يدْخُلُهَا إلا ضُعَفَاءُ النَّاسِ وسقَطُهُم، وقالت النَّارُ: يعني أوْثِرْتُ بالمتكبِّرين...**»

* في لفظ مسلم(٢): «**فقالت النَّارُ: أوْثِرْتُ بالمتكبِّرينَ والمتجبِّرين**».

* وفي «صحيح مسلم» من حديث حارثة بن وهب رضي الله عنه أنه سمع النبي ﷺ يقول: «**ألا أُخْبِرُكُم بأهْلِ النَّارِ؟**» قالوا: بلى، قال: «**كُلُّ عتُلٍّ جَوَّاظٍ مُسْتَكْبِرٍ**»(٣).

* وعند الترمذي وأحمد(٤) بسندٍ حسن عن النبي ﷺ قال: «**يُحْشَرُ المُتَكَبِّرونَ يومَ القيامَةِ أمثالَ الذَّرِ في صُوَرِ الرِّجَالِ يَغْشَاهُمُ الذُّلُّ من كُلِّ مَكَانٍ فيساقُونَ إلى سِجْنٍ في جهنمَ يُسَمَّى (بولس) تعلوهُم نارُ الأنيارِ يسقَونَ من عصَارةِ أهْلِ النَّارِ طينَة الخَبَالِ**».

* وفي «الصحيحين»(٥) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «**بينما رجل يمشي في حُلةٍ تعجبه نفسه رُجِّل جمَّته إذ خسف اللَّه به فهو يتجلجل إلى يوم القيامةِ**».

---

(١) البخاري (حديث ٧٤٤٩) من حديث أبي هريرة رضي اللَّه عنه مرفوعًا.

(٢) مسلم (حديث ٢٨٤٦) من حديث أبي هريرة رضي اللَّه عنه مرفوعًا.

(٣) مسلم (حديث ٢٨٥٣).

(٤) أحمد في «المسند» (٢/ ١٧٩)، والترمذي (٢٤٩٢) من حديث عمرو بن شعيب، عن أبيه، عن جده، عن النبي ﷺ.
وقال الترمذي هذا حديث حسن صحيح.
قلت (مصطفى): وقد أعله بعض أهل العلم.

(٥) البخاري (٥٧٨٩)، ومسلم (٢٠٨٨).

* وفي «الصحيحين»(١) من حديث ابن عمر رضي اللَّه عنهما قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «مَن جرَّ ثوبه من الخيلاء لم ينظر اللَّه إليه يوم القيامة».

* * *

س: اذكر بعض ما ورد في الحث على التواضع.

ج: في هذا الباب من الآيات:

* قوله تعالى: ﴿وَلا تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ مَا عَلَيْكَ مِنْ حِسَابِهِم مِّن شَيْءٍ وَمَا مِنْ حِسَابِكَ عَلَيْهِم مِّن شَيْءٍ فَتَطْرُدَهُمْ فَتَكُونَ مِنَ الظَّالِمِينَ﴾ [الأنعام: ٥٢].

* وقوله تبارك وتعالى: ﴿وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ وَلا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ [الكهف: ٢٨].

* وقوله تعالى: ﴿تِلْكَ الدَّارُ الآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الأَرْضِ وَلا فَسَادًا وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾ [القصص: ٨٣].

* وقوله تعالى: ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ﴾ [الحجرات: ١٣].

* وقوله تعالى: ﴿وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الحجر: ٨٨].

وأما الأحاديث فمنها ما يلي:

* ما أخرجه مسلم(٢) من حديث أبي هريرة رضي اللَّه عنه عن رسول اللَّه ﷺ قال: «مَا نقصت صدقةٌ من مالٍ، وما زادَ اللَّهُ عبدًا بعفوٍ إلا عزًا، وما

(١) البخاري (٥٧٩١)، ومسلم ص (١٦٥٢)، واللَّفظ له.
(٢) مسلم (حديث ٢٥٨٨).

تَوَاضَعَ أحدٌ للَّهِ إلا رفعه اللَّه».

* وفي «صحيح مسلم»(١) من حديث عياض بن حمار المجاشعي رضي اللَّه عنه أن رسول اللَّه ﷺ قال: «... **وأن اللَّهَ أوحَى إليَّ أنْ تَوَاضَعُوا حتى لا يفخر أحدٌ على أحدٍ ولا يبغي أحدٌ على أحد»**.

* وأخرج الإمام أحمد(٢) بسند صحيح عن أبي زرعة قال: ولا أعلمه إلا عن أبي هريرة قال: جلس جبريل إلى النبي ﷺ فنظر إلى السماء فإذا ملك ينزل، فقال جبريل إن هذا الملك ما نزل منذ يوم خُلق قبل الساعة، فلما نزل قال: يا محمد، أرسلني إليك ربك قال: أفملكًا نبيًا يجعلك أو عبدًا رسولاً؟ قال جبريل: تواضع لربك يا محمد. قال: «**بَلْ عبدًا رَسُولاً**».

* وأخرج البخاري(٣) من حديث أنس بن مالك رضي اللَّه عنه قال: كانت ناقةٌ لرسول اللَّه ﷺ تُسمَّى العضباء، وكانت لا تُسبق، فجاء أعرابي على قعودٍ له فسبقها، فاشتد ذلك على المسلمين وقالوا: سُبقت العَضباء؟! فقال رسول اللَّه ﷺ: «**إنَّ حقًا على اللَّهِ أن لا يَرفع شيئًا من الدُّنيا إلا وضعه**».

* وفي هذا الباب ما أخرجه البخاري ومسلم(٤) من حديث أبي هريرة رضي اللَّه عنه أن رسول اللَّه ﷺ قال: «**إذا نظر أحدكم إلى من فُضِّل عليه**

---

(١) مسلم ص (٢١٩٩).

(٢) «مسند أحمد» (٢/ ٢٣١).

(٣) البخاري (حديث ٦٥٠١).

(٤) البخاري (حديث ٦٤٩٠)، ومسلم (٢٩٦٣).

في المال والخلق فلينظر إلى من هو أسفل منه ممن فضل عليه».

* وفي رواية لمسلم: «**انظروا إلى مَن أسفل منكم ولا تنظروا إلى من هو فوقكم؛ فهو أجدر أن لا تزدروا نعمة اللَّه**».

* وفي «صحيح مسلم»[١] من حديث خالدٍ بن عمير العدوي قال: خطبنا عتبة بن غزوان فحمد اللَّه وأثنىٰ عليه ثم قال: أما بعد، فإن الدُّنيا قد آذنت[٢] بِصُرمٍ[٣] وولَّت حذَّاء[٤]، ولم يبق منها إلا صُبابةٌ[٥] كصبابة الإناءِ، يتصابُّها[٦] صاحبها، وإنكم منتقلون منها إلىٰ دارٍ لا زوال لها. فانتقلوا بخير ما بحضرتكم، فإنه قد ذُكر لنا أن الحَجَرَ يُلقىٰ من شفة جهنّم فيهوي فيها سبعين عامًا لا يُدرِك لها قعرًا[٧]. وواللَّهِ لتُملأَنَّ. أفعجبتم؟! ولقد ذُكر لنا أنَّ ما بين مصراعين من مصاريع الجنة مسيرةُ أربعينَ سنةً، وليأتينَّ عليها يومٌ وهو كَظِيظٌ[٨] من الزِّحامِ، ولقد رأيْتُني سابعَ سبعَةٍ معَ رسولِ اللَّه ﷺ ما لنا طعامٌ إلا ورَقُ الشجرِ، حتَّىٰ قَرِحَتْ[٩] أشداقُنا. فالتَقَطْتُ بُرْدَةً فشَقَقْتُها بينى وبين سعدِ بن مالكٍ[١٠]. فاتَّزَرْتُ بنصفها واتَّزَرَ

---

(١) مسلم (حديث ٢٩٦٧).
(٢) آذنت: أي: أعلمت.
(٣) بصرم: الصرم الانقطاع والذهاب.
(٤) حذاء: مسرعة الانقطاع.
(٥) صبابة: البقية اليسيرة من الشراب تبقىٰ في أسفل الإناء.
(٦) يتصابها: في القاموس: تصاببت الماء شربت صبابته.
(٧) قعرًا: قعر الشيء أسفله. (٨) كظيظ: أي: ممتلئ.
(٩) قرحت: أي: صار فيها قروح وجراح، من خشونة الورق الذي نأكله وحرارته.
(١٠) سعد بن مالك: هو سعد بن أبي وقاص رضي اللَّه عنه.

سعدٌ بنصفها. فما أصبح اليومَ منَّا أحدٌ إلا أصبح أميراً على مِصرٍ من الأمصارِ. وإني أعوذُ باللَّهِ أنْ أكونَ في نفسي عظيمًا وعند اللَّه صغيراً. وإنَّها لم تكن نُبُوَّةٌ قطُ إلا تناسخت، حتى يكونَ آخِرُ عاقبتها مُلْكًا. فستخبرون وتُجَرِّبون الأمراء بعدنا.

* * *

س: أهل العلم دائمًا منارات هدى ودلالات خير، وضح ذلك من قصة هارون.

ج: يتضح ذلك من الموقف المشرف الذي وقفه أهل العلم، وقد خرج قارون في زينته وحاشيته، قد لبس أحسن ثيابه وركب أحسن مراكبه، وتتقدمه الجموع وتحيط به الحواشي، وقد أخذوا زخرفهم وزينتهم، ونظر إليه الذين يريدون الحياة الدنيا نظرة ابتهار وإعجاب، بل وتمنوا أن يكون لهم مثل ما له، فقالوا: ﴿**يَا لَيْتَ لَنَا مِثْلَ مَا أُوتِيَ قَارُونُ إِنَّهُ لَذُو حَظٍّ عَظِيمٍ**﴾ [القصص: ٨٠] فهنا وقف أهل العلم وقفتهم التي أوجبها اللَّه عليهم من بيان للحق وعدم كتمانه، فقالوا محذرين، وباللَّه وبثوابه مذكرين، قالوا لهؤلاء الذين أخذتهم زخارف الحياة الدنيا وحطامها الفاني: ﴿**وَيْلَكُمْ ثَوَابُ اللَّهِ خَيْرٌ لِّمَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا وَلا يُلَقَّاهَا إِلاَّ الصَّابِرُونَ**﴾ [القصص: ٨٠].

فذكَّروا قومهم وحذروا قومهم، وبينوا لقومهم فضل ثواب اللَّه وفضل العمل الصالح.

* * *

س: الضمير في قوله تعالى: ﴿وَلا يُلَقَّاهَا إِلاَّ الصَّابِرُونَ﴾ عائد على ماذا؟

ج: قال بعض العلماء: ذلك عائد على الجنة.

وقال آخرون: بل هو عائدٌ على الأعمال الصالحة.

وقال غيرهم: ذلك عائد على الكلمة نفسها ﴿ثَوَابُ اللَّهِ خَيْرٌ لِّمَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا﴾ [القصص: ٨٠]، والله أعلم.

* * *

س: الغنى لا يدل على محبة الله للعبد في كل الأحوال، دلّل على ذلك.

ج: من الأدلة على ذلك ما يلي:

* قوله تعالى في شأن قارون: ﴿وَآتَيْنَاهُ مِنَ الْكُنُوزِ مَا إِنَّ مَفَاتِحَهُ لَتَنُوءُ بِالْعُصْبَةِ أُولِي الْقُوَّةِ﴾، ثم قوله تعالى: ﴿فَخَسَفْنَا بِهِ وَبِدَارِهِ الأَرْضَ﴾.

* وقوله تعالى: ﴿وَاضْرِبْ لَهُم مَّثَلاً رَّجُلَيْنِ جَعَلْنَا لأَحَدِهِمَا جَنَّتَيْنِ مِنْ أَعْنَابٍ وَحَفَفْنَاهُمَا بِنَخْلٍ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمَا زَرْعًا (٣٢) كِلْتَا الْجَنَّتَيْنِ آتَتْ أُكُلَهَا وَلَمْ تَظْلِم مِّنْهُ شَيْئًا وَفَجَّرْنَا خِلالَهُمَا نَهَرًا (٣٣) وَكَانَ لَهُ ثَمَرٌ فَقَالَ لِصَاحِبِهِ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَنَا أَكْثَرُ مِنكَ مَالاً وَأَعَزُّ نَفَرًا﴾ [الكهف: ٣٤] إلى قوله تعالى: ﴿وَأُحِيطَ بِثَمَرِهِ فَأَصْبَحَ يُقَلِّبُ كَفَّيْهِ عَلَىٰ مَا أَنفَقَ فِيهَا﴾ [الكهف: ٤٢].

* وقوله تعالى: ﴿كُلاًّ نُّمِدُّ هَؤُلاءِ وَهَؤُلاءِ مِنْ عَطَاءِ رَبِّكَ وَمَا كَانَ عَطَاءُ رَبِّكَ مَحْظُورًا﴾ [الإسراء: ٢٠].

* وقوله تعالى: ﴿مَن كَانَ يُرِيدُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَالَهُمْ

فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لا يُبْخَسُونَ ﴿١٥﴾ أُوْلَئِكَ الَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِي الآخِرَةِ إِلاَّ النَّارُ وَحَبِطَ مَا صَنَعُوا فِيهَا وَبَاطِلٌ مَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾[هود: ١٥].

* * *

س: قوله تعالى: ﴿ الصَّابِرُونَ ﴾، صابرون على ماذا؟

ج: الصابرون هنا هم الصابرون على رزق الله الذي رزقهم إياهم، فلم يتطلعوا إلى الحياة الدنيا ولم يتطلعوا إلى زينة قارون التي خرج فيها بل صبروا على قسمة الله، وصبروا على الإيمان به وامتثال أمره وصبروا على جهالات الجاهلين واستخفاف المستخفين بهم. والله أعلم.

* * *

س: وضح المراد بقوله تعالى: ﴿ فَمَا كَانَ لَهُ مِن فِئَةٍ يَنصُرُونَهُ مِن دُونِ اللَّهِ وَمَا كَانَ مِنَ الْمُنتَصِرِينَ ﴾.

ج: المعنى ـ والله أعلم، لم تكن له جماعة تنصره من دون الله، ولم يكن هو من المنتصرين لنفسه، أي: أنهم لم ينصروه ولم ينتصر.

* * *

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿ وَأَصْبَحَ الَّذِينَ تَمَنَّوْا مَكَانَهُ بِالأَمْسِ يَقُولُونَ وَيْكَأَنَّ اللَّهَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ لَوْلا أَن مَّنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا لَخَسَفَ بِنَا وَيْكَأَنَّهُ لا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ ﴾.

ج: المعنى ـ والله أعلم ـ: وأصبح الذين تمنوا أن يكون لهم مثل ما لقارون من الثراء والمال والجاه والزينة، أصبح هؤلاء لما رأوا ما حلَّ به من العذاب ولما رأوا ما كان من خسفٍ به وبداره أصبحوا يتندمون على ما تمنوه ويقولون

نعجب عالمين أن اللَّه يوسع على من يشاء من عباده ويرزقه رزقًا واسعًا، ويضيق على من يشاء في الأرزاق، ثم ذكروا فضل اللَّه ونعمته عليهم بقولهم : لولا أن تفضَّل اللَّه علينا لخسف بنا، ونعلم ونؤمن أنه لا يسعد الكافرون ولا يظفرون بمطلوبهم ولا ينجون من مرهوبهم .

* * *

تِلۡكَ ٱلدَّارُ ٱلۡأٓخِرَةُ نَجۡعَلُهَا
لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوّٗا فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَا فَسَادٗاۚ وَٱلۡعَٰقِبَةُ لِلۡمُتَّقِينَ
٨٣ مَن جَآءَ بِٱلۡحَسَنَةِ فَلَهُۥ خَيۡرٞ مِّنۡهَاۖ وَمَن جَآءَ بِٱلسَّيِّئَةِ فَلَا
يُجۡزَى ٱلَّذِينَ عَمِلُواْ ٱلسَّيِّـَٔاتِ إِلَّا مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ٨٤
إِنَّ ٱلَّذِي فَرَضَ عَلَيۡكَ ٱلۡقُرۡءَانَ لَرَآدُّكَ إِلَىٰ مَعَادٖۚ قُل رَّبِّيٓ
أَعۡلَمُ مَن جَآءَ بِٱلۡهُدَىٰ وَمَنۡ هُوَ فِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٖ ٨٥ وَمَا كُنتَ
تَرۡجُوٓاْ أَن يُلۡقَىٰٓ إِلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبُ إِلَّا رَحۡمَةٗ مِّن رَّبِّكَۖ
فَلَا تَكُونَنَّ ظَهِيرٗا لِّلۡكَٰفِرِينَ ٨٦ وَلَا يَصُدُّنَّكَ عَنۡ ءَايَٰتِ
ٱللَّهِ بَعۡدَ إِذۡ أُنزِلَتۡ إِلَيۡكَۖ وَٱدۡعُ إِلَىٰ رَبِّكَۖ وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ
ٱلۡمُشۡرِكِينَ ٨٧ وَلَا تَدۡعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَۘ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا
هُوَۚ كُلُّ شَيۡءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجۡهَهُۥۚ لَهُ ٱلۡحُكۡمُ وَإِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ ٨٨

س: اذكر معنى ما يلي:

(عُلوًا ـ فسادًا ـ العاقبة ـ فرض عليك القرآن ـ لرادّك إلى معاد ـ ظهيرًا ـ لا يصدنك ـ إلا وجهه).

ج:

الكلمة	معناها
عُلوًا	تجبرًا ـ كبرًا على الخلق وترفعًا عليهم ـ استطالة على الناس.
فسادًا	عملاً بالمعاصي(١) ـ الأخذ بغير حق.
العاقبة	العاقبة الحسنة المحمودة، وهي الجنة.
فرض عليك القرآن	أنزله عليك وأعطاكه، وأوجب عليك العمل به، وأوجب عليك تبليغه.
لرادك إلى معاد	لرادُّك إلى مكة(١) وهذا رأي جمهور المفسرين. وقول آخر: إلى الجنة بعد ميعاد. وثالث: ليوم القيامة.
ظهيرًا	مساعدًا ومعينًا.
لا يصدنَّك	لا يصرفنَّك
إلا وجهه	إلا إياه.

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا﴾.

ج: قال القرطبي رحمه الله.

قوله تعالى: ﴿**تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ**﴾ يعني: الجنة. وقال ذلك على جهة التعظيم لها والتفخيم، يعني: تلك التي سمعت بذكرها، وبلغك وصفها ﴿**نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ**﴾ أي: رفعة وتكبراً على الإيمان والمؤمنين ﴿**وَلَا فَسَادًا**﴾ عملاً بالمعاصي. قاله ابن جريج ومقاتل.

وقال عكرمة ومسلم البطين: الفساد أخذ المال بغير حق. وقال الكلبي: الدعاء إلى غير عبادة الله، وقال يحيى بن سلام: هو قتل الأنبياء والمؤمنين.

﴿**والعاقبة للمتقين**﴾ قال الضحاك: الجنة. وقال أبو معاوية: الذي لا يريد علواً هو من لم يجزع من ذلّها، ولم ينافس في عزّها، وأرفعهم عند الله أشدهم تواضعًا، وأعزّهم غدًا ألزمهم لذلّ اليوم.

وأورد بإسناد صحيح عن إسماعيل بن أبي خالد قال:

مرّ عليٌّ بن الحسين وهو راكب على مساكين يأكلون كسرًا لهم، فسلّم عليهم فدعوه إلى طعامهم، فتلا هذه الآية: ﴿**تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا**﴾ ثم نزل وأكل معهم. ثم قال: قد أجبتكم فأجيبوني، فحملهم إلى منزله فأطعمهم وكساهم وصرفهم.

* * *

س: قوله تعالى: ﴿مَن جَاءَ بِالْحَسَنَةِ﴾ متى هذا المجيء؟

ج: هذا يوم القيامة.

س: ما المراد بالحسنة في قوله تعالى: ﴿مَن جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ خَيْرٌ مِّنْهَا﴾؟ وما المراد بالسيئة أيضًا في الآية الكريمة؟

ج: أما الحسنة: فمن أهل العلم من قال: إن المراد عموم الحسنات من: إخلاص التوحيد، ومن قول لا إله إلا اللَّه، ومن صلاة، وصيام، وزكاة، وحج، وبر، وأمر، ونهي، وسلام، وامتثال لأوامر اللَّه، إلىٰ غير ذلك من الحسنات.

أما السيئة: فهي عموم السيئات أيضًا، فيدخل في ذلك: الشرك باللَّه، وارتكاب ما نهىٰ اللَّه عنه من القتل، وعقوق الوالدين، وقول الزور، والسحر، وأكل الربا، وأكل أموال اليتامىٰ ظلمًا، والفرار من الزحف، وقذف المحصنات الغافلات المؤمنات، وعموم القذف بغير بينة، والاغتياب، والسرقة، والنميمة، وعدم غض البصر عن المحرمات، إلىٰ غير ذلك مما حرمه اللَّه عز وجل، واللَّه تعالىٰ أعلم.

* * *

س: وضح معنىٰ قوله تعالى: ﴿وَمَا كُنتَ تَرْجُو أَن يُلْقَىٰ إِلَيْكَ الْكِتَابُ إِلَّا رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ﴾.

ج: هذا تذكيرٌ من اللَّه عز وجل لنبيه محمد ﷺ، فالمعنىٰ: وما كنت يا محمد - قبل أن ينزل عليك القرآن - تتوقع أن ينزل عليك القرآن، فما كان رسول اللَّه ﷺ يتوقع أن يُوحىٰ إليه وأن يكون سيد ولد آدم، وأن يكون أول شفيع وأول مشفع، وأن لا تفتح الجنة لأحدٍ قبله، ولم يكن يتوقع أن أمته ستكون خير الأمم، لم يكن عليه الصلاة والسلام يتوقع هذا أبدًا بحالٍ من

الأحوال قبل البعثة، ولكنها رحمة اللَّه السابغة ونعمه وآلاؤه الوافرة، فللَّه الحمد وله الشكر، وصلوات ربي وسلامه على نبيه محمد وآله وصحبه.

* * *

س: من قوله تعالى: ﴿فَلَا تَكُونَنَّ ظَهِيرًا لِّلْكَافِرِينَ﴾ ما يفيد أن النعم ينبغي أن تُقابل بالشكر، وضح ذلك.

ج: وجه ذلك أن اللَّه تعالى ذكَّر نبيه محمداً ﷺ بنعمته عليه في إلقاء الوحي إليه ثم أتبع ذلك بقوله تعالى ﴿**فَلَا تَكُونَنَّ ظَهِيرًا لِّلْكَافِرِينَ**﴾.

فكما أن أنعمنا عليك فلا تكونن معاونًا لأهل الكفر والإجرام على كفرهم وإجرامهم.

* * *

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿وَلَا يَصُدُّنَّكَ عَنْ آيَاتِ اللَّهِ بَعْدَ إِذْ أُنزِلَتْ إِلَيْكَ﴾.

ج: المعنى ـ واللَّه أعلم ـ: احذر يا محمد هؤلاء المشركين أن يصرفوك عن تبليغ آيات اللَّه، بل استمر في التبليغ ولا تتركه وواصل الدعوة إلى اللَّه عز وجل غير ملتفتٍ إلى أحدٍ منهم وغير مكترث برأيهم فبلِّغ رسالة ربك إلى المشركين وبلغ آيات اللَّه إلى عموم خلقه، ولا تصرفنك أقوالهم ولا يصرفنك تكذيبهم وأذاهم.

* * *

س: وردت جملة من الأدلة تحذر من مظاهرة الكافرين ومعاونتهم. اذكر بعض هذه الأدلة.

ج: من ذلك ما يلي:

* قوله تعالى: ﴿**وَلا تَرْكَنُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا فَتَمَسَّكُمُ النَّارُ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ اللَّهِ مِنْ أَوْلِيَاءَ ثُمَّ لا تُنصَرُونَ**﴾ [هود: ١١٣].

* وقوله تعالى: ﴿**فَلا تَكُونَنَّ ظَهِيراً لِّلْكَافِرِينَ**﴾ [القصص: ٨٦].

* وقول موسى عليه السلام: ﴿**رَبِّ بِمَا أَنْعَمْتَ عَلَيَّ فَلَنْ أَكُونَ ظَهِيراً لِّلْمُجْرِمِينَ**﴾ [القصص: ١٧].

* وقوله تعالى: ﴿**وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ وَلا تَعَاوَنُوا عَلَى الإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ**﴾ [المائدة: ٢].

* * *

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿وَلا تَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ﴾.

ج: المعنى ـ والله أعلم ـ: ولا تعبد مع الله إلهًا آخر، ولا تسأل من دون الله ما لا ينفعك ولا يضرك،

والمعنى أيضًا: وحِّد الله في عبادته فلا معبود تصلح له العبادة إلا الله الذي كل شيء هالك إلا وجهه.

* * *

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلاَّ وَجْهَهُ﴾.

ج: قال الطبري رحمه الله: واختلف في معنى قوله ﴿**إِلاَّ وَجْهَهُ**﴾ فقال بعضهم: معناه: كل شيء هالك إلا هو.

وقال آخرون: معنىٰ ذلك: إلا ما أريد به وجهه، واستشهدوا لتأويلهم ذلك كذلك بقول الشاعر:

أستغفرُ اللَّه ذَنْبًا لستُ مُحصيَه ... رَبَّ العبادِ إليهِ الوجهُ والعَمَلُ

وقال الشنقيطي رحمه اللَّه (أضواء البيان):

* قوله تعالىٰ: ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلاَّ وَجْهَهُ﴾ لقوله تعالىٰ: ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ﴿٢٦﴾ وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلالِ وَالإِكْرَامِ﴾ [الرحمن: ٢٧]، والوجه من الصفات التي يجب الإيمان بها مع التنزيه التام عن مشابهة صفات الخلق.

وقال الحافظ ابن كثير رحمه اللَّه:

﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلاَّ وَجْهَهُ﴾ إخبار بأنه الدائم الباقي الحي القيوم الذي تموت الخلائق ولا يموت؛ كما قال تعالىٰ: ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ﴿٢٦﴾ وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلالِ وَالإِكْرَا﴾ [الرحمن: ٢٧] فعبر بالوجه عن الذات، وهكذا قوله هاهنا: ﴿كل شيء هالك إلا وجهه﴾أي: إلا إياه

* وقد ثبت في «الصحيح»[1]، من طريق أبي سلمة، عن أبي هُريرة، قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «**أصدق كلمة قالها الشاعر كلمة لبيد: ألا كُلُّ شيءٍ ما خلا اللَّهَ باطلُ**».

قال مجاهد والثوري في قوله: ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلاَّ وَجْهَهُ﴾ أي: إلا ما أريد به وجهه وحكاه البخاري في «صحيحه» كالمقرِّر له.

قال ابن جرير: ويستشهد من قال ذلك بقول الشاعر:

---

(١) البخاري (حديث ٣٨٤١)، ومسلم (٢٢٥٦).

أستغـفرُ اللَّهَ ذَنبًا لستُ مُحصِـيَهُ   ربُّ العبادِ ، إليـهِ الوجهُ والعَمَلُ

وهذا القول لا ينافي القول الأول ، فإن هذا إخبار عن كل الأعمال بأنها باطلة إلا ما أريد بها وجه اللَّه عز وجل من الأعمال الصالحة المطابقة للشريعة . والقول الأول مقتضاه أن كل الذوات فانية وهالكة وزائلة إلا ذاته تعالىٰ فإنه الأول والآخر الذي هو قبل كل شيء وبعد كل شيء .

* * *

س: ما المراد بقوله تعالى: ﴿ لَهُ الْحُكْمُ ﴾؟

ج: المعنىٰ : له القضاء النافذ في خلقه ، يقضي ما يشاء ويحكم ما يريد .

* * *

س: لماذا ختمت هذه السورة الكريمة المباركة بقوله تعالى ﴿ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾؟

ج: ذلك ـ واللَّه أعلم ـ للتذكير بالمرجع والمآب والبعث والحساب ، والجزاء والثواب ، وكل هذا يحمل على الصبر على الأذىٰ ، ويحمل علىٰ التزود بالتقوىٰ استعدادًا ليوم الوعيد ، واللَّه أعلم .

* * *

تمت السورة بتوفيق اللَّه

وصلِّ اللَّهمَّ على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليمًا كثيرًا

والحمد للَّه رب العالمين

كتبه

أبو عبد اللَّه / مصطفى بن العدوي

مصر ـ الدقهلية ـ منية سمنود

فهرست الموضوعات

الآيات رقم | **الصفحة**